# مكونات النظرية اللغوية
# بين الدراسة والتطبيق

تأليف
الدكتور
وحيد الدين طاهر عبد العزيز
أستاذ النحو والصرف المساعد
كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى

إهداء

( وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا )

الإسراء : 24

إلى والدىّ

حبا واعترافا

وحيد الدين طاهر

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد ،،،

فالنظرية اللغوية العربية أكبر من أن يجمعها كتاب ، وأجل من أن يعيها كاتب بمفرده ، ذلك أن مصادر هذه النظرية تشمل القرآن بقراءاته ، والحديث برواياته ، والشعر بدواوينه ، والمعاجم بمفرداتها ،ولهجات العرب مع اتساعها ، بالإضافة إلى ما ألفه العلماء بغية الوصول إلى نظرية لغوية مكتملة الأركان ، بيد أن مكونات النظرية قابلة للسرد،والإحصاء ، وثمة ثلاث نظريات يمكن أن تمثل النظرية اللغوية العربية ، هى النظم وتضافر القرائن ونحو النص ، وكل واحدة من ثلاث النظريات هذه تحتاج إلى مؤلفات لسبر أغوارها ، وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة لسرد عناصر مكونات النظرية اللغوية العربية ، من خلال النظريات الثلاث مع التطبيق على آى الذكر الحكيم ، والله اسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

إنه نعم المولى و نعم النصير ،،،

المؤلف

الدكتور وحيد الدين طاهر عبد العزيز

أستاذ النحو والصرف المساعد فى كلية الآداب بقنا

# الفصل الأول

# النظم وتضافر القرائن ونحو النص

# جذور النظرية وعناصر مكوناتها

**توطئة:-**

**لا تزال نظرية النظم تلقى بظلالها على الدرسين اللغوي والبلاغي ، حيث يستقى أكثر البلاغيين واللغويين مادتهم من أفكار هذه النظرية ، والحق أن الخط الفاصل بين دراسات البلاغيين ودراسات اللغويين أصبح دقيقا ودائم التعرج ، إلي الحد الذى يصعب معه الفصل بين دراسات هؤلاء وأفكار أولئك ،بل وامتد تأثير هذه الأفكار عن النظم والتعليق إلي الدرس الأدبي الحديث حيث استقى نقاد الأدب – إبان حديثهم عن البنيوية والتفكيك والتلقى – أكثر مادتهم من أفكار هذه النظرية التى تعنى بدراسة العلاقات بين البني والوحدات اللغوية حين تكون في حالة تركيب للوصول إلي دلالات المفردات أفقيا ومن ثم الوصول إلى ماسماه النحاة الأوائل دلالات التراكيب ، ولقد كان الجرجانى (472هـ ) عبقريًا عندما قال : " واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله"[1] إلى آخر نصه الشهير ، حيث قصد بالنحو معناه اللغوي وهو انتحاء طرائق العرب في نظم الآراء والأفكار والإبداعات ولم يقصد بالنحو معناه الاصطلاحي أو ظاهر معناه من حيث هو قواعد وتمرينات عقلية ، والدكتور تمام حسان واحد من المفكرين اللغويين المعاصرين الذين أفادوا من أفكار هذه النظرية ، وقد اعترف بذلك في مقدمة كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها ) ، فقال "لما ظهر الاتجاه البلاغي إلي دراسة المعني كان من طلائع كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للعلامة عبد القاهر الجرجانى الذي أعترفُ لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعني النحوى والدلالي " [2] ،إلا أن الدكتور تمام حسان استطاع – بذكاء المفكر– أن يفيد من أفكار الدرس اللغويّ الحديث فى الغرب – فأفاد من أفكار (دي سوسير) ونظريته عن اللغة بوصفها نظاماً من العلامات إلى جانب إلمامه بالفكر التراثى النحوى ، فطور نظريته التي سماها" تضافر القرائن "، وقال إنها "أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجرى بعد سيبويه وعبد القاهر "[3] أى أن فكر الدكتور تمام حسان قد انبني على أفكار عبد القاهر الجرجاني والفكر التراثى العربى إلى جانب معطيات الدرس اللغوى الحديث فى الغرب ،ومن**

---

[1] دلائل الإعجاز 68 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 18 .

[3] اللغة العربية معناها ومبناها 10 .

**الأفكار المنبنية علي أفكار عبد القاهر الجرجاني أيضا ما يسمي فى الدرس الحديث بنحو النص ، وهو " نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة ، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة ، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجى يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه " [1] وهذا البحث محاولة لسرد عناصر النظرية اللغوية العربية من خلال المقارنة بين ثلاث النظريات( النظم وتضافر القرائن ونحو النص) التى أرى أنها يمكن أن تمثل بجذورها أركان النظرية اللغوية العربية ،أى أنه بحث فى جذور النظرية اللغوية العربية وعناصر مكوناتها مع مقابلة ذلك بعناصر النظرية الغربية ، وأقول (عناصر )إذ ليس بوسعنا أن نستفيض في شرح النظرية اللغوية العربية من خلال هذه النظريات الثلاث فى بحث موجز ، وليس بمقدورنا عندما نتحدث عن النظرية اللغوية العربية متمثلة فى هذه النظريات الثلاث أن نعزل النظريات عن عوالمها التى أحاطت بها وأثرت فيها ، فكثير من أفكار ومعطيات النظريات الثلاث قد تناولتها جهود علماء العربية الأفذاذ فقد تحدث ابن جنى (392هـ)عن العلامة اللغوية وفكرة الاتصال ( التداولية ) عندما حد اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [2] ومن قبله تحدث الجاحظ (255هـ)عن إشكالية اللفظ والمعني في معرض حديثه عن البيان فى سفره (البيان والتبيين ) [3] " فقد تكون النظرية إنتاج مجموعة عقول أو جيل واحد من العقول ، وقد تكون أيضا إنتاج مجموعة عقول تنتمي لعدد من الأجيال " [4] إلا أن عبد القاهر الجرجانى هو أول من عكف على تطوير نظرية لغوية شاملة حيث حدد مجموعة القوانين والقواعد التى ينبنى عليها موضوع النظم والتعليق .**

***جذور النظرية :***

**لم يكن عبد القاهر الجرجانى بديع أفكاره ، ذلك أنه لم ينشئ أفكاره من عدم "لكنه استطاع أن يطور إنجازات البلاغيين السابقين على مدى قرنين إلى نظرية متكاملة للنظم**

---

[1] العربية من نحو الجملة إلى نحو النص :للدكتور سعد مصلوح 407 .

[2] الخصائص 44/1 .

[3] انظر البيان والتبيين 1/ 60 .

[4] المرايا المقعرة 198 .

**تقوم على تأكيد شبكة لعلاقات بين العلامات اللغوية أفقيا ورأسيا "[1] هذه النظرية تضاهي بحق ما وصل إليه علم اللغة الحديث في الغرب بل يمكن القول إن نظرية النظم تعد جذراً أو أساساً لنظريتى القرائن ونحو النص ولكن من أين استقى الجرجانى مادة هذه النظرية؟،إن أقدم نص عُثر عليه في كتب العربية يتحدث عن النظم يرجع إلى ابن المقفع ، يقول فيه " فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولا بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد يا قوتا وزبرجدا ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل ووضع كل فص موضعه " [2] ،بهذا يكون ابن المقفع قد تحدث في وقت مبكر عن النظم وإن كان معنى النظم عنده يختلف عن النظم عند عبد القاهر الجرجانى ، ولعل الجاحظ عندما تحدث عن عملية الاتصال ( التداولية ) قد تطرق إلى ركن مهم من أركان هذه النظرية ، "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة فى أذهانهم والمتخلجة فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية محجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها " [3] فبالاتصال والإخبار والاستعمال تحيا المعانى المستورة والأفكار المعدومة ،وفى كتاب الحيوان تطرق إلى ركن مهم آخر من أركان النظرية اللغوية العربية وهو النظم يقول " إن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوي والقروي والمدني إنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك " [4] والحق أن بعض رجال البيان والبلاغة العرب أخذوا المعنى السطحي الظاهر لمقولة الجاحظ باعتباره تركيزاً على اللفظ دون المعنى ، ومن**

---

[1]) المرايا المقعرة 235 .

[2] عبد القاهر الجرجانى بلاغته ونقده : أحمد مطلوب الكويت وكالة المطبوعات 1973 ص 53 .

[3] البيان والتبيين 1 /60 .

[4] الحيوان 3/ 131 –132 .

**هؤلاء أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) [1] يقول"ليس الشأن فى إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمى" [2] والصواب أن الجاحظ عندما يتحدث عن اللفظ في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان) "لا يقصد اللفظ المفرد بل ما ينتظم بالألفاظ من عبارات " [3] وليس أدل على ذلك من ذكره لفظة (السبك) قاصداً بها انتظام الألفاظ في عبارات ، أى أن الجاحظ يتحدث في الفقرة السابقة عن النظم لا عن ثنائية اللفظ والمعنى ، وإنما يقصد بلفظ (المعاني) عملية الاتصال التي يعرفها العربي والعجمى والبدوي والمدني والتى يمكن أن يعبر عنها بوسائل أخرى تتمثل في العقد أو الإشارة أو الخط [4] .**

**ولعل أقرب الكتب التى فتحت المجال لعبد القاهر في النظم كتاب أبى عبد الله محمد بن زيد الواسطى (306هـ) المسمى ( إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه )، فالعنوان يشير إلى أن موضوع الكتاب هو خصائص النظم القرآني التى تظهر جانب الإعجاز فيه ، كما أن عبد القاهر الجرجانى قد شرح هذا الكتاب شرحين أحدهما صغير والآخر كبير فلولا أن الشيخ وجد في الكتاب ما يوافق نظمه ما شرحه مرتين [5] ،ويفاجئنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (388هـ) بنص " يؤكد أن كل أفكار عبد القاهر الجرجانى لم تكن جديدة بالكلية فقد كان اجتهاد النحويين والبلغاء قد وصل إلى مرحلة تطوير نظرية لغوية تكاد تكون كاملة " [6] ، يقول الخطابي متحدثاً عن إعجاز القرآن " إنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور ثلاثة منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التى هي ظروف المعاني والحوامل لها ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التى يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض**

---

[1] انظر : المرايا المقعرة 276 .

[2] كتاب الصناعتين 71 .

[3] اللفظ والمعنى فى البيان العربى : محمد عابد الجابرى 38 .

[4] انظر البيان والتبيين 1 /61 .

[5] انظر نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربى الحديث للدكتور محمد نايل 14 .

[6] المرايا المقعرة 233 .

**،وإنما يقوم الكلام بأشياء ثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم " [1]، يتحدث الخطابى فى هذا النص عن اللغة بوصفها نظام علامات وجمهرة من العلاقات تتمثل فى النظوم التى تأتلف ويرتبط بعضها ببعض ، ويلخص الخطابى فكره اللغوي بإيجاز شديد فى الجزء الأخير من هذا النص عندما يذكر أن الكلام يقوم بثلاثة أشياء : لفظ حامل ،ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ،ويتقارب فكر القاضى عبد الجبار (415 هـ) فى حديثه عن مفهوم الضم مع فكر عبد القاهر الجرجانى تقارباً جعل الدكتور عبد العزيز حمودة يصف هذا التقارب بأنه وصل إلى درجة تدفع البعض إلى إرجاع فضل نظرية النظم إلى عبد الجبار وليس إلى عبد القاهر [2] يقول القاضى عبد الجبار :"اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام وإنما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه وقد تكون بالموقع " [3] .**

**يوضح عبد الجبار مفهوم الضم بأن الكلمة تدل على مدلول داخل التركيب أو في بنية الكلام لكنها حال إفرادها خارج التركيب لا تدل على شيء ، إذ تحقق العلامة اللغوية (اللفظ أو الكلمة ) معنى مرتبطًا بعلاقات البنى اللغوية ، والحركات الإعرابية هي التي تحدد هذا المعنى ، " إن عبد الجبار يعطى النحو دوراً يمهد للدور الأكبر الذي سيعطيه له عبد القاهر في النظم . المهم أننا نتحدث عن نظم قائم على شبكة من العلاقات تتحكم فيها قواعد النحو لتحقيق الدلالة "[4] وإذ أولى كل من عبد الجبار والجرجانى دوراً كبيراً للنحو فى الضم والنظم فإنه يمكن أن نعتبر كتاب سيبويه في النحو جذراً أصيلاً من جذور نظرية النظم أيضاً.**

**أما عن القرائن فإن نظرية النظم تعد جذرا استقى منه الدكتور تمام حسان أصول فكرته،وقد اعترف الدكتور تمام بفضل آراء عبد القاهر وأفكاره في مقدمة كتابه (اللغة**

---

[1] بيان إعجاز القرآن ، ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر 26- 27 .

[2] المرايا المقعرة 234 .

[3] المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، للقاضى عبد الجبار 16 /199 .

[4] المرايا المقعرة 235 .

**العربية معناها ومبناها) حين قال: " لما ظهر الاتجاه البلاغى إلى دراسة المعنى كان من طلائع كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للعلامة عبد القاهر الجرجانى الذى أعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل " [1] .**

**كما أن لفظة (القرائن) أو ( قرينة) جاءت فى مواضع كثيرة فى كتب تراثنا النحوى ، أهمها ما جاء فى حاشية العليمى على التصريح أن أهم قرائن منع اللبس القرينة اللفظية نحو ضرب زيد عمراً، وقتلت سلمى عيسى والمعنوية كأرضعت الصغرى الكبرى ، وأكل الكمثرى موسى [2] ، وربما كان الانطلاق الحقيقى لفكرة الدكتور تمام من هذا الموضع حيث قسم الدكتور تمام حسان فيما بعد القرائن قسمين رئيسين : قسم للقرائن اللفظية وآخر للقرائن المعنوية [3] وإذا كان عبد القاهر الجرجانى هو أول من حاول – بفكر منظم – الاهتمام بالعلاقات ودورها فى بناء الجملة فيما سماه بنظرية النظم إلا أنه لم يذكر لفظة (القرينة) صراحة فى نصوصه، أما الدكتور تمام حسان فهو الذي وضع آلية واضحة لدراسة النحو العربى فى إطار فكرة (تضافر القرائن)، هذا وقد أفرد العالم اللغوى أبو زيد النحوى (سعيد بن أوس الأنصارى) كتاباً سماه (القرائن) [4] وهو من الكتب التي فقدت [5]، و يتضح من عنوان هذا الكتاب أنه يعنى بالقرائن .**

**ولم يغفل الدكتور تمام اهتمام الدراسات اللغوية الحديثة بدراسة المعنى وأن المعنى فى هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية [6]، أى أن الدكتور تمام حسان أفاد من ثلاثة جذور انبنت عليها أفكاره عن تضافر القرائن هى : التراث النحوى واللغوى العربى الذى ورد فيه استخدام مصطلح (القرينة) أو (القرائن)، بالإضافة إلى إلمامه بهذا التراث،ونظرية النظم لعبد القاهرالجرجانى بجذورها ومنابع أفكارها ،وعلم اللغة الحديث فى الغرب بدءاً من أفكار دى سوسير ومحاضراته في اللغة وانتهاءً إلى علم النص .**

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 17–18 .

[2] انظر حاشية العليمى على التصريح 1 / 281 .

[3] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 194 .

[4] انظر الفهرست لابن النديم 84 .

[5] انظر : تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان 146/2 .

[6] انظر اللغة العربية مَعْناها ومبناها 28 .

وعن ( نحو النص ) فقد بدأت إرهاصات هذا العلم على يد العالم اللغوي (هاريس ) فى بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، ثم تطورت الدراسات النصية على يد العالم الهولندي (فان دايك ) بعد عقدين من أفكار هاريس عن النص ويعد فان دايك المؤسس الأول لعلم النص أو نحو النص حيث بدأ "ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة ، غير أن ذلك لا يعنى رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك فى صحتها بل إن الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد فى أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين " [1]، حتى أصبح نحو النص الذى وُلد فى عباءة علم النص حقيقة راسخة على يد ( روبرت دى بوجراند) و( دريسلر) فى الثمانينات من القرن المنصرم [2]، حيث حددا المعايير السبعة التى ينضبط من خلالها النص ، ويتأكد دور الربط من خلالها لتحقيق ما يطلق عليه (النصية)، وهذه المعايير هى : الربط والتماسك الدلالى والقصدية والمقبولية والإخبارية (الإعلام) والموقفية والتناص ،ولم يقصد دى بوجراند ودريسلرضرورة تحقق هذه المعايير السبعة فى كل نص ،وإنما يتحقق الاكتمال النصى بوجودها ،وأحيانا تتشكل نصوص بأقل قدر منها [3] وكان الدكتور سعد مصلوح من أوائل الذين نقلوا الفكر الغربي عن نحو النص إلى العربية وذلك فى مقالة كتبها في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية بكلية الآداب جامعة الكويت عام (1989-1990) بعنوان " العربية من نحو الجملة إلى نحو النص " ومن بعده أصدر محمد خطابي كتابه (لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب) ضمن مطبوعات المركز الثقافي العربي عام 1991 ، ثم أصدر الدكتور صلاح فضل كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) ضمن سلسلة عالم المعرفة بالكويت عام 1992 ،إلا أن كتاب (علم لغة النص * المفاهيم والاتجاهات) للدكتور سعيد حسن بحيرى الذي نُشر عام 1993ضمن منشورات مكتبة الأنجلو المصرية يعد أول كتاب مفصل نقل علم اللغة النصي إلى العربية نقلا وافيا ،ثم توالت بعدُ المؤلفات

---

[1] علم لغة النص ، للدكتور سعيد حسن بحيرى 210 .

[2] انظر نحو النص اتجاه جديد فى دراسة النحو العربى ، للدكتور أحمد عفيفى 279.

[3] انظر علم لغة النص ، للدكتور سعيد حسن بحيرى 142 .

**حيث ترجم الدكتور تمام حسان كتاب (النص والخطاب والإجراء) لدى بوجراند ونشره عام 1998 عن عالم الكتب بالقاهرة .**

**ويمكن القول إن نظرية النظم هي المعين الذي استقى منه علماء النص أفكارهم حيث تتقارب أفكار النظريتين إلى الحد الذي يصعب معه تحديد أي النظريتين أفادت من أفكار الأخرى ، وعندما يصل التقارب إلى هذا الحد يكون التاريخ حداً ا فاصلا لتحديد أى النظريتين أفادت من الأخرى ، وبالاحتكام إلى فكرة الزمن نجد أن نظرية النظم قد سبقت نحو النص بتسعة قرون تقريباً حيث اكتملت أركان نظرية النظم على يد كل من القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجانى في القرن الخامس الهجري في حين ظهرت أفكار نظرية النص في نهايات القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين ميلاديا) ، هذا وقد ساعدت كثرة التأليف وازدهار حركة الترجمة والنقل بدءاً من العصر العباسى إلى الآن – مع مراعاة فترات الانحطاط عربيا وأجنبيا – على تأثر الأفكار بعضها ببعض ، ولا نستبعد أن يكون علماء الغرب قد أفادوا من كتاب دلائل الإعجاز إما بترجمته إلى لغاتهم أو ربما ساعدت البعثات العلمية العربية في منتصف القرن التاسع عشر على نقل التراث اللغوي العربي إلى الغرب ومن ثم بنى الغرب أفكارهم على هذا التراث .**

**وهذا لا يعنى أن الغرب لم يضف جديداً في تطور النظرية ،إنهم فعلوا الخطوة التى كان على المفكرين العرب أن يفعلوها في القرن السادس الهجري لإكمال جهود عبد الجبار والجرجانى ،فقدموا(أي الغرب) للعالم نظرية لغوية مكتملة الأركان منظمة الأفكار .**

**هذا عن جذور (نحو النص) من الوجهة النظرية ، أما عن جذور الفكرة تطبيقيا فإن تفسير سور القرآن الكريم يعد تطبيقاً لفكرة نحو النص فقد درس علماء التفسير النص القرآني وطبقوا معايير ضبط النص دون أن يعرفوا فكرة المعايير، فدرسوا الربط والتماسك الدلالى ودرسوا الإخبار أو الإعلام والقصد إبان تحدثهم عن أهداف النص القرآنى وما يستفاد من السور ، ودرسوا معيار المقامية حين تحدثوا عن أسباب النزول ودرسوا التناص (القرآن يفسر بعضه بعضا) ، والمقبولية التى تتمثل فى مراعاة أحوال المخاطبين، بل إن علماء التفسير جعلوا كل سورة نصا مستقلا ، وكل نص من هذه النصوص ينضوى ضمن نص أكبرهو النص القرآنى بجميع سوره وثمة محاولة أجراها حازم القرطاجنى فى كتابه**

(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) [1]، فى تحليله لقصيدة المتنبى (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ) حيث قسم القصيدة إلى أجزاء وسمى كل قسم فصلا ، ثم أشار إلى طريقة وصل الفصول بعضها ببعض ، إذ يشترط أن يكون معني كل فصل تابعاً لمعنى سابقه ، ثم أورد القصيدة كاملة محللاً العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكونة لها على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين [2].

## مكونات النظرية

### *اللغة نظام علامات وشبكة علاقات*

#### *(أ) نظام العلامات*

اللغة – عند سوسير– نظام من العلامات ولا تعد الأصوات لغة إلا عندما تعبر عن الأفكار أو تنقلها ،وإلا فهي مجرد أصوات ،ولكي تعبر الأصوات عن الأفكار أو تنقلها ينبغي لها أن تكون جزءاً من نظام من الأعراف يربط بين الأصوات والأفكار ، وبعبارة أخرى ينبغى للأصوات لكى تعبر عن الأفكارأن تكون جزءاً من نظام من العلامات ، والعلامة هى اتحاد بين شكل يدل يسميه سوسير الدال وفكرة تدل عليها تسمى المدلول [3] وقد جعل سوسير من العلاقات بين البنى اللغوية مدخلا للتفكير فى طريقة الوصول إلى حقائق الأشياء من خلال منظور يحدد ما بينها من علاقات [4] وقد لاحظ نوعين من العلاقات اللغوية ، علاقات رأسية تصريفية تقوم بين الكلمة المذكورة وكل ما يمت إليها بصلة لفظية أو معنوية من كلمات لم تذكر فى النص ، وأخرى أفقية تركيبية تقوم بين الكلمة وسائر

---

[1] انظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى 298 .

[2] انظر بلاغة الخطاب وعلم النص ، للدكتور صلاح فضل 264 .

[3] انظر فرديناند دى سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات ) لجوناثان كللر ،ترجمة عزالدين إسماعيل 72 .

[4] انظر المرايا المقعرة ، للدكتور عبد العزيز حمودة 203 .

**الكلمات المتجاورة فى الجملة [1] وعلى هذه المقولات بنى علماء اللغة فى الغرب أفكارهم حتى طوروا نظرية النص ،والحق أن هذه الأفكار درسها علماء اللغة العرب منذ عشرة قرون تقريبا فقد أفرد ابن جنى (392 هـ) باباً فى كتابه (الخصائص) للقول على اللغة وما هى ، حد فيه اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، وعلى الرغم من قدم هذا التعريف وبساطته إلا أنه يحمل بين طياته ثلاث أفكار من أفكار علم اللغة الحديث فى الغرب حيث تعبر كلمة (أصوات) عن فكرة العلامة ومفهومها ، فى حين تعبر مفردات النص الأخرى عن فكرتى الاتصال (التداولية) والقصد ، أما عن اعتباطية العلامة التى يظن الغرب أن لسوسير قصب السبق فيها فقد تحدث ابن جنى (392 هـ) فى كتابه الخصائص عن هذه الفكرة أثناء حديثه عن أصل اللغة أإلهام هى أم اصطلاح [3] فقد تحدث عن المواضعة اللغوية وأن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة : يقول " ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلي غيرها فتقول الذى اسمه إنسان فليجعل مكانه مرد والذى اسمه رأس فليجعل مكانه سر ، وعلى هذا بقية الكلام "[4] فقد فطن علماء العربية إلى مفهوم العلامة اللغوية وفكرة اعتباطية العلامة وأن اللغة نشاط اجتماعى قبل سوسير بعشرة قرون تقريبا ، وفطنوا أيضا إلى العلاقات الأفقية والعلاقات الرأسية حيث أورد سيبويه لفظ ( المعاقبة) فى كتابه قاصداً به العلاقة الرأسية ،يقول"وكأنه شى ء يصير بدلاً من شى ء كالمعاقبة " [5] ليس ذلك فحسب بل أفرد ابن جنى كتابا فى هذا الموضوع سماه ( التعاقب) وهذا الكتاب مفقود حتى الآن وقد أشار إليه فى كتابه(الخصائص ) بقوله " وقد ذكرنا فى كتابنا الموسوم بالتعاقب من هذا النحو ما فيه كاف بإذن الله تعالى " [6]، إلا أن بعض المفكرين يستخدمون مصطلح التعاقب قاصدين به التتابع الأفقى لا الاستبدال الرأسى ومن هؤلاء الدكتورعبد العزيز حمودة حيث يقول " العلاقة الأفقية تربط بين المفردات الواردة**

---

[1] انظر مبادئ علم الأسلوب العربى ، لشكرى عياد49 .

[2] الخصائص 44/1 .

[3] انظر الخصائص 54/1 .

[4] الخصائص 54/1 .

[5] كتاب سيبويه 38/2 .

[6] الخصائص 231/1 .

**داخل البنية اللغوية أو الجملة على أساس التعاقب " [1] ويقصد بالتعاقب التتابع أو التوالى أفقيا ، والحق أن معظم علماء العربية الأوائل أمثال سيبويه وابن جنى وابن يعيش [2] والزجاجى [3] يستخدمون التعاقب أو المعاقبة بمعنى الاستبدال الرأسى لا بمعنى التتابع الأفقى .**

**هكذا يمكن القول إن الأفكار اللغوية عن نظام اللغة وعن فكرة العلامة ومفهومها واعتباطيتها ، والمحورين الأفقى التركيبى والرأسى التعاقبى الاستبدالى كانت متفرقة فيما قبل عبد القاهر الجرجانى الذى رتب هذه الأفكار ثم بنى عليها تفكيره اللغوى ، فنراه يتحدث عن المحورين الأفقى والرأسى حيث يقول " إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد بذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر" [4] فقوله (ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها) دلالة على المحور الأفقى التركيبى ، وحينما ينتقل عبد القاهر إلى المقارنة بين اللفظة تستحسن داخل سياق وتثقل على السامع فى سياق آخر دلالة على المحور الرأسى الا ستبدالى فالاستحسان والوحشة يرتبطان بممارسة الاختيار ،والاختيار أساس علاقة الاستبدال [5] ويطالعنا عبد القاهر الجرجانى فى مقدمات كتابه (دلائل الإعجاز) بنص يشرح فيه نظريته اللغوية يقول فيه " ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أن نظم الحروف هو تواليها فى النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى .. فلو أن واضع اللغة كان قد قال : (ربض) مكان (ضرب) لما كان فى ذلك مايؤدى إلى فساد ، وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفى فى نظمها آثار المعانى وترتبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس ،فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ،وليس**

---

[1] المرايا المقعرة 247 .

[2] جاء فى شرح المفصل لابن يعيش 286/6 قوله (الألف واللام تعاقب الإضافة) .

[3] جاء فى الإيضاح (ص 70) : معاقبة الحركة للسكون .

[4] دلائل الإعجاز 48 .

[5] انظر المرايا المقعرة 256 .

هو النظم الذى معناه ضم الشىء إلى الشىء كيف جاء واتفق ، وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشى والتحبير وما أشبه ذلك ممايوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكونَ لو ضِع كُلٍّ حيثُ وُضِعَ علةٌ تقتضى كونه هناك وحتى لو وضع فى مكان غيره لم يصلح " [1]، يشتمل هذا النص على ثلاثة أركان من أركان النظرية اللغوية العربية الأول : اللغة نظام علامات ويتضح ذلك فى قوله (حروف منظومة) والثانى: اعتباطية العلامة ويتمثل ذلك فى قوله (فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان فى ذلك مايؤدى إلى فساد)، والركن الثالث الأهم فى النظرية هو النظم أو العلاقات التى يُقتفى فى نظمها آثارالمعانى وترتيبها حسب ترتيب المعانى فى النفس وتتجلى عبقرية الجرجانى فى قوله (وما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة) حيث قصد بكلمة (منظومة) الأولى نظام العلامات فى حين قصد بالثانية النظم، وثمة فرق بين النظم والنظام ذلك أن النظم ركن أو فكرة من أفكار النظام وهذا ما توضحه فكرة النظام عند الدكتور تمام حسان "فاللغة عنده – منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة – النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى – يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعانى تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المبانى المعبرة عن هذه المعانى ،ثم من طائفة من العلاقات التى تربط ربطا إيجابيا والفروق (القيم الخلافية) التى تربط ربطا سلبيا بإيجاد المقابلات ذات الفائدة – بين أفراد كل من مجموعة المعانى أو مجموعة المبانى " [2]، ففكرة النظم التى يقصدها الجرجانى تندرج عند الدكتور تمام حسان ضمن فكرة النظام النحوى الذى يعنى بالعلاقات بين التراكيب ، على الرغم من أن عبد القاهر ربط المعنى بالتركيب ربطاً وثيقاً بخلاف الدكتور تمام الذي جعل للدلالة مستوى خاصاً به ، ويوضح الدكتور تمام فكرة العلامة اللغوية بقوله عن النظام إنه (يتألف من مجموعة من المعانى تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المبانى المعبرةعن هذه المعانى ) ،هذا وقد وضع الدكتور تمام حسان ضابطا للنظام فى كتابه (الأصول) بأنه " تتشابك فيه العلاقات العضوية حتى يصبح بهذا التشابك بنية جامعة مانعة لايستطاع نفى شى ء منها ولا إضافة شىء إليها "

---

[1] دلائل الإعجاز 50–51 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 34 .

**وعن العلاقة بين الرمز والمعني فقد قسم الدكتور تمام حسان فى معرض حديثه عن الرموز اللغوية فى كتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية) العلاقة بين الرموز اللغوية ومعانيها ثلاثة أقسام : الأول هو قسم العلاقة الطبيعية ومثل لها بأن الإحساس بتقلص المعدة يُعلم بالجوع فالرمز هو الإحساس بتقلص المعدة والمعنى هو الجوع ،والثانى هو قسم العلاقة المنطقية ،فعند النظر إلى السحاب مثلاً إن كانت داكنة توقعنا المطر ، وإن كانت بيضاء صافية كان لذلك معنى آخر ،أما النوع الثالث من أنواع العلاقة بين الرمز والمعنى فهو العلاقة العرفية (الاعتباطية) وهى من وجهة نظر الدكتور تمام حسان أهم من سابقتيها لوجودها فى الدلالات اللغوية فالعلاقة بين الاسم والمسمى غير طبيعية ولا منطقية ولكنها عرفية ونتيجة من نتائج الوضع [2] هذا ولم يفرط علماء النص فى الحديث عن نظام العلامات ومفهوم العلامة واعتباطيتها مكتفين بما قدمه سوسير حيث اعتبروا أنفسهم امتداداً لنظريته اللغوية فبنوا أفكارهم على فكره وشحذوا هممهم فى سبر أغوار النص واكتشاف كنهه .**

***(ب) شبكة العلاقات :***

**لقد أفرط عبد القاهر في شرح فكرة النظم في كتاب دلائل الإعجاز إلى الحد الذي يجعل القارئ يظن أنه كتاب فى النظم ليس غير والحق أنه كتاب في بيان إعجاز القرآن ، وأفرط علماء العربية من بعده في شرح هذه الفكرة فأفردوا مؤلفات كثيرة تتناول فكرة النظم وتشرح فكر عبد القاهر اللغوي إلا أن هؤلاء أغفلوا جانبا مهماً وهو أن عبد القاهر عندما يذكر النظم تارة يقصد به النظم من حيث هو وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتارة يقصد به التعليق ، والحق أن فكرة التعليق هي أهم ما في فكرة النظم فهي تهدف إلى إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة القرائن أو ما يسمى عند علماء النص معايير ضبط النص أو معايير النصية.**

**وقد فطن عبد القاهر إلى أهمية فكرة التعليق فبدأ بالحديث عن نظم الكلام بحسب المعاني ثم أتبع ذلك بنظم الكلام ومكان النحو منه ويتضح ذلك من خلال ثلاثة نصوص أسوقها مرتبة ترتيب ورودها في كتاب دلائل الإعجاز،الأول يقول فيه" ليس الغرض بنظم**

---

[1] الأصول 53 .

[2] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 110- 111 .

**الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالى الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وأنه نظير الصياغة " [1]، ويقول في النص الثاني "لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك " [2] وفى النص الثالث يبين عبد القاهر مكان النحو من نظريته فيقول " ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه " [3]، أي أن عبد القاهر يولى التعليق عناية واهتماماً ، ليس معنى ذلك أنه يغفل دور نظم الألفاظ وتتابعها في الكلام ، إن المسألة تشبه إلى حد كبير ما توصل إليه العلماء من أن الاهتمام بالمعاني لا يقلل من قيمة الألفاظ وكذلك الاهتمام بالتعليق أو العلاقات لا يقلل من قيمة نظم الألفاظ وتواليها في الكلام .**

**إن فكرة النظم عند الجرجانى ترتكز على عنصرين أساسيين هما التعليق ومقتضيات علم النحو ، وتعليق الكلام من أجل بناء بعضه على بعض يقتضي إدراك جميع أصناف العلائق التي تحصل بين المكونات المجردة للغة [4].**

**وقد شرح عبد القاهر جوهر فكرة النظم في نص اشتمل على بعض عناصر مكونات النظرية اللغوية عنده ، يقول فيه "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهيا واستخبارا وتعجبا ، وتؤدى في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة 000 وهل يقع في وهم أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة ،وتلك غريبة وحشية ؟ 000وهل نجد أحد ا يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم**

---

[1] دلائل الإعجاز 51 .

[2] دلائل الإعجاز 54.

[3] دلائل الإعجاز 69 –70 .

[4] انظر التلقى والتواصل الأدبى للدكتور أحمد المنادى 118 .

**وحسن ملاءمة معناها لمعاني جارتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها " [1] فاللفظة المفردة في رأى عبد القاهر علامة تدل على شي ء أو فكرة ما ، ولكنها لا تحدث معنى مفيداً إلا فى بناء لغوى . أي أن النظم لا يتحقق في الكلمة " حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض " [2].**

**والواقع أن ما يقوله الجرجانى هنا ينم عن وعى متقدم فالقول إن الكل هو الذي يحدد قيمة الجزء يقع في صلب نظرية النقد الجديد وهو الذي يبنى عليه علماء النص أفكارهم [3].**

**وفكرة تضافر القرائن تشبه إلى حد كبير فكرة النظم ، وإن لفظة (تضافر) تعادل (الضم) أو(النظم) إلا أن الدكتور تمام حسان استطاع أن يفيد من فكرة توظيف المصطلح في حين تناول الجرجانى فكرته فى إطار سرد شامل للفكرة فنراه " يعود مرات ومرات إلى تأكيد أهمية العلاقات التي تمكن الألفاظ مجتمعة من تحقيق الدلالة " [4] وقد قسم الدكتور تمام حسان قرائن التعليق [5] قسمين كبيرين : حالية تعرف من المقام ومقالية تعرف من النص أو المقال أو بمعنى أدق ترتبط بالنص أو المقال ، والقرائن المقالية تنقسم قسمين كبيرين أيضاً قسم للقرائن المعنوية وآخر للقرائن اللفظية ، ويندرج تحت قسم القرائن المعنوية مجموعة من القرائن هى الإسناد و التخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة ، ويندرج تحت قسم القرائن اللفظية مجموعة من القرائن هى الإعراب والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والتنغيم ، وتشمل قرينة الإسناد المسند إليه والمسند ، فى حين تشمل قرينة التخصيص التعدية والغائية والمعية والظرفية ، والنسبة تضم معانى الحروف والإضافة ، أما التبعية فتشمل النعت والعطف والتوكيد والبدل [6] وكما أفاد**

---

[1] دلائل الإعجاز 47 .

[2] دلائل الإعجاز 54 .

[3] انظر المرايا المقعرة 238 .

[4] المرايا المقعرة 238 .

[5] قرائن التعليق أحد ثلاثة أقسام كبرى هى القرائن المادية والقرائن العقلية وقرائن التعليق ، انظر اللغة العربية معناها ومبناها 190 .

[6] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 190 .

**الدكتور تمام من إلمامه بالتراث فاختار لنظريته لفظة القرائن ، أفاد كذلك من هذا التراث فى تقسيمه لأنواع القرائن فاللفظ والمعنى والإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة والإعراب والتضام والربط والأداة والتنغيم والتعدية والغائية والمعية كلها مصطلحات تراثية ، إلا أن الدكتور تمام استطاع توظيف هذه المصطلحات ثم قسمها تقسيما واعياً مطوراً نظريته فى تضافر القرائن معتمداً على فكرة النظم عند عبد القاهر وإلمامه بالتراث اللغوى العربى ، وضرب مثلا لتطبيق نظريته بقوله : ضرب زيد عمراً وراح يشرح كيفية تحليل هذه الجملة البسيطة من خلال فكرة تضافر القرائن فقال " وإذا طلب إلينا أن نعرب جملة مثل : (ضرب زيد عمراً) نظرنا إلى الكلمة الأولى (ضرب) وجدناها قد جاءت على صيغة (فعل)ونحن نعلم أن هذه الصيغة تدل على الفعل الماضي فهى تندرج تحت قسم أكبر من أقسام الكلم يسمى (الفعل) ومن هنا نبادر إلى القول بأن (ضرب فعل ماض) ثم ننظر بعد ذلك فى (زيد) فنلاحظ أنه ينتمى إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة) وأنه مرفوع (قرينة العلامة الإعرابية) وأن العلاقة بينه وبين الفعل الماض علاقة إسناد (قرينة تعليق معنوية) وأن رتبته التأخر (قرينة الرتبة) وأن الفعل معه مبنى للمعلوم (قرينة الصيغة) ، والفعل مسند إلى المفرد الغائب (قرينة المطابقة) وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن (زيد)هو الفاعل ، ثم ننظر بعد ذلك فى (عمراً ) ونلاحظ أنه ينتمى إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة) ، وأنه منصوب (قرينة العلامة الإعرابية) وأن العلاقة بينه وبين الفعل علاقة (تعدية) ، وأن رتبته من كل من الفعل والفاعل هى رتبة التأخر (قرينة الرتبة) وبسب هذه القرائن نسارع إلى القول بأن (عمراً) مفعول به "** [1]**، وقد لاقى الدكتور تمام نقداً شديداً إبان ظهور الفكرة لأول مرة عام 1973 ،ومن النقد الذى وجه إليه أن تطبيقه لفكرته كان تطبيقا على مستوى الجملة لا على مستوى النص إلى أن ألف الدكتور تمام كتابه (البيان فى روائع القرآن) فطبق فكرة تضافر القرائن تطبيقا موسعاً فى هذا الكتاب الذي يعد بحق واحداً من أفضل الكتب التى درست النص القرآنى دراسة نصية موسعة على المستويين اللغوي والبلاغى .**

**وليس معنى ذلك النقد التقليل من قيمة الجملة فلولا الجملة لما كان النص ، ولكى يفهم النص لابد من تفكيكه إلى وحداته المكونة له (الجمل) ، ولكى يفكك النص لابد من الاعتماد على إدراك بنيته العليا مما يعد شرطاً ضروريا لتحليل علاقاته وضبط خواصه ،**

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 181 –182 .

**وإذا كان النص يتكون عادة من كلمات وجمل ، فإن أجزاءه الطبيعية ليست مؤلفة من تلك الكلمات أو مركبة من مجموعة من الجمل ؛ لأن الوقوف عند هذه الوحدات بمستواها اللغوى الصرف لن يسهم فى الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص [1] وبإجراء مقارنة بين الجملة التى طبق عليها الدكتور تمام حسان فكرته وشرح الشيخ عبد القاهر لقوله تعالى{واشتعل الرأس شيباً} [2] نفهم كيف أفاد الدكتور تمام حسان من فكر عبد القاهر؟ ، يقول الجرجانى إن الشرف فى الآية لايمكن نسبته إلى الاستعارة " ولكن لأن يُسلك بالكلم طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشىء وهو لما هو من سببه فيرفع ما يسند إليه ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك إنما كان من أجل هذا الثانى ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة000 وذلك أنا نعلم أن (اشتعل) للشيب فى المعنى وإن كان هو للرأس فى اللفظ 000 واعلم أن فى الآية شيئاً آخر من جنس النظم وهو تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة وهو أحد ما أوجب المزية " [3] ففى نص الجرجانى ألفاظ هى عند الدكتور تمام حسان قرائن مثل الإسناد والنسبة والملابسة والاتصال (الربط) . وقد أدرك الدكتور تمام حسان أهمية التعليق مثلما أدرك عبد القاهر ذلك من قبل يقول " ولا شك أن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هى قرينة التعليق لأنها قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل " [4] وليس من الضرورى أن تتحقق جميع القرائن فى النص المراد تحليله وإنما يغنى بعضها عن بعض عند أمن اللبس " فالقرائن تتضافر على إيضاح المعنى الوظيفى النحوى ، والقرينة تسقط عند إغناء غيرها عنها " [5]، فكما أن معايير النص ليس من الضرورى أن تتحقق فى كل نص ، وأنه من الممكن أن يتحقق الاكتمال النصى بأقل قدر منها ، فكذلك القرائن يغنى بعضها عن بعض ويمكن فهم النص بأقل قدر منها .**

---

[1] انظر بلاغة الخطاب وعلم النص ، للدكتور صلاح فضل 253 .

[2] مريم {4}

[3] دلائل الإعجاز 82 –83 .

[4] اللغة العربية معناها ومبناها 182 .

[5] اللغة العربية معناها ومبناها 240 .

**هذا وقد أولى علماء النص عناية كبيرة لفكرة العلاقات ، حيث لجئوا فى تفسيرات النص إلى قواعد دلالية ومنطقية وتداولية إلى جوار القواعد التركيبية وحددوا للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها نحو الجملة ، لقد عنى علم اللغة النصى فى دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة منها : علاقات التماسك النحوى النصى ، وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب التابعة وحالات الحذف والجمل المفسرة ، والتنويعات التركيبية ،وغيرها من الظواهر التركيبية التى تخرج عن إطار الجملة المفردة . والتى لايمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية [1].**

**والصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة إلى الحد الذى لم تنجح معه كل محاولات الفصل بينهما ،إلا أن ذلك لايعنى الإخفاق فى توضيح مهام نحو النص حيث يرى (فان دايك) أن مهمة نحو النص هى صياغة قواعد تمكننا من وصف الأبنية وصفاً محكماً متكاملاً [2]، إن الجملة فى النص ذات دلالة جزئية ولا يمكن أن تتقرر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النص إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة فى ذلك التسلسل أو التتابع الجملى ، إذ ينظر إلى النص مهما صغر حجمه على أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء ، فالاعتداد هنا ليس بالامتداد الطولى للنص بل بالأبنية الكبرى المتلاحمة داخليا التى يقدمها النص ولاشك أن الجمل يمكن أن تستقل بدلالاتها الجزئية إذا كان التوجه إلى الحكم على هذه الجزئيات ،ولكن إذا أريد حكم كلى لا يستند إلى أشتات فلا يستقيم ذلك التوجه ، فالنص لا يجيز وجوداً مستقلا لعناصره ، حيث لا تكون القيم الجزئية ذات اعتبار كبير إلا باشتراكها فى القيمة الكبرى المتكونة من ذلك التكوين الأكبر[3].**

**وقد حدد كل من بوجراند ودريسلر مفهوم النص بأنه حدث تواصلى يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية هى السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص ، أى أن نحو النص يشمل النص وسياقه وظروفه وفضاءاته ومعانيه المتعالقة القبلية والبعدية مراعياً ظروف المتلقى وثقافته وأشياء أخرى كثيرة تحيط بالنص [4].**

---

[1] انظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،للدكتور سعيد حسن بحيرى 131 .

[2] انظر : علم لغة النص 132 .

[3] انظر : علم لغة النص 136 .

[4] انظر : نحو النص اتجاه جديد فى دراسة النحو العربى ، للدكتور أحمد عفيفى 294 .

**والتحليل النصى يبدأ دائماً من البنية الكبرى وهى تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك ، ويصبح النص متماسكا عندما تقبل كل جملة فيه أن تَفسرأو تؤول فى خط داخلى يعتبر امتداداً بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة فى النص ومن هنا فإن مفهوم النص تتحدد خصائصه بفكرة التفسير النسبى أى تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كليا [1]، وعن طريق مفهوم البنية الكبرى استطاع علماء النص مُقاومة الفكرة الشائعة عن أن التماسك النصى يتحدد فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل ، لأن هذا المستوى الأخيرلا يقدم سوى الأبنية الصغرى،وتظل البنية الكبرى هى التمثيل الدلالى الكلى الذى يحدد معنى النص باعتباره عملا كليا فريداً ، وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التى تحكمها يمكن أن ننزلق إلى تصور التماسك النصى على اعتبار أنه مجرد رابط سطحى بين الوحدات الجزئية بينما نجد أن هذه البنية الكبرى لاتؤدى فحسب إلى التماسك الكلى بل تؤدى أيضاً إلى التماسك الجزئى على مستوى الجمل،ومعنى هذا أن تحليل النصوص يعتمد على ملاحظة التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى والبنية الكبرى الكلية للنص [2].**

**وعند إجراء موازنة بين النظريات الثلاث من حيث فكرة العلاقات نجد أن الدكتور تمام حسان قد قسم القرائن المقالية قسمين كبيرين أحدهما للقرائن اللفظية والآخر للقرائن المعنوية ، والحق أن هذين القسمين يعادلان معيارين من معايير النص هما السبك والحبك ، فالقرائن اللفظية من إعراب ورتبة ومطابقة وتضام بالإضافة إلى الأداة والتنغيم تندرج عند علماء النص ضمن معيار السبك ، فى حين تندرج القرائن المعنوية من إسناد وتخصيص ونسبة وتبعية ضمن معيار الحبك ، هذا وقد أدرك كل من الدكتور تمام حسان وأصحاب النص أهمية المقام فى تحديد المعنى أو دلالة النص فأفرد الدكتور تمام حسان قسماً كبيراً قسيماً للقرائن المقالية سماه القرائن الحالية أو المقامية ، وخصص علماء النص للمقامية معياراً منفرداً ضمن معايير النص ، وقد عنى البلاغيون العرب بفكرة المقام حين قالوا : (لكل مقام مقال) و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام) أى أن فكرة المقام عرفها البلاغيون العرب منذ ألف سنة تقريبا ، وهى تضم المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث**

---

[1] انظر : بلاغة الخطاب وعلم النص 255 .

[2] انظر بلاغة الخطاب وعلم النص 266 .

**، وقد أولى علم اللغة النصى اهتماماً بالتعبير عن هدف النص فيما سُمى بمعيار القصدية الذى فطن إليه الدكتور تمام حسان عندما قال فى تقديم كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) " لابد أن يكون المعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب لأن كل دراسة لغوية – لا فى الفصحى فقط بل فى كل لغات العالم – لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة " [1] ولعله قصد بالمعنى هنا معيار(القصدية) ، ليس ذلك فحسب بل أفرد بحثا موجزاً فى الكتاب نفسه تحت عنوان (غايات الأداء) [2] قصد منه غايات النصوص وأهدافها ومن غايات الأداء –عنده – التشجيع والمصادقة والتثبيط والشتم والتمنى والترجى واللعن والفخر والتحدى والتحضيض والاستخفاف والتحقير والتعظيم والإخبار وغيرها من الغايات التى يهدف إليها النص [3] والمقبولية معيار من معايير النصية يتعلق بموقف المتلقى الذي يعطى انطباعا عن النص (هل النص متماسك ومقبول لديه أو لا ؟) هذا المعيار فطن إليه الدكتور تمام ، يقول " بحسب هذا الفهم الشامل لفكرة (المقام) يعتبر النص (المقال )غير منبت عمن ساقه ومن سيق إليه " [4] وواضح من نص الدكتور تمام أن فكرة المقام عنده أو (قرينة المقام) فكرة شاملة تضم ثلاثة معايير من معايير النص هى المقبولية والإخبارية والموقفية ، أما معيار التناص الذى يختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخل النص مع غيره من النصوص فإن الدكتور تمام حسان يرى أن " ذلك ليس غريبا على الفكر الإسلامى على كل حال فمن العبارات المشهورة فى عرف المفسرين للنص القرآنى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن السنة تخصص عموم القرآن وأن الاستشهاد وسيلة من وسائل التوثيق " [5]، ويوضح الدكتور تمام حسان فى كتاب( اللغة العربية معناها ومبناها ) مفهوم التناص قائلاً " إن من المقال ما يتصف بصفات معينة أو ما يتوافر له مزايا معينة تجعله صالحاً**

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 9 .

[2] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 363 .

[3] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 364 .

[4] اللغة العربية معناها ومبناها 351 .

[5] البيان فى روائع القرآن 1/ 403 .

للاستحضار فى المقامات التى تشبه مقامه الأصلى الذى قيل فيه فيصبح المقال جزءا من المقام الجديد فيدخل فى تحليل هذا المقام الجديد " [1].

وقد أجرى الدكتور تمام حسان موازنة بين فكرته عن تضافر القرائن وفكر الجرجانى عن النظم واصفاً محاولة الجرجانى فى تفسير العلاقات السياقية أنها (أذكى محاولة فى تاريخ التراث العربى حتى الآن) [2]، وقد استشهد الدكتور تمام بنصين للجرجانى الأول يقول فيه " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه ،فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لاتجد لها ازدياداً بعدها ، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها فى أنفسها ومن حيث هى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التى يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها من بعض " [3] والثاني يعمد إلى أن النظم " ليس شيئا غير توخى معاني النحو فيما بين الكلم "[4] ، وقد علق الدكتور تمام على ذلك قائلاً إن " النظم كما فهمه عبد القاهر هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لابناء الكلمات في صورة جملة "[5]، وعد لفظة (الفروق ) التى وردت في النص الأول إشارة ذكية إلى ماسماه القيم الخلافية أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى ، وأن قول الجرجانى (موقع بعضها من بعض) إشارة إلى ما اشتهر فى عرف النحاة باسم الرتبة ، وأن قوله (استعمال بعضها من بعض) إشارة إلى فكرة التضام[6].

وإذا وسعنا دائرة الموازنة بين تضافر القرائن والنظم يمكن القول إن نوعى القرائن اللفظية والمعنوية يعادلان النظم والتعليق على الترتيب فالقرائن اللفظية والنظم يعنيان ببناء الكلمات فى جمل من خلال ترتيب المعانى فى النفس أولا ثم ترتيب الألفاظ فى النطق

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 340 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 186 .

[3] دلائل الإعجاز 74 .

[4] دلائل الإعجاز 293 .

[5] اللغة العربية معناها ومبناها 186 .

[6] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 187 .

بحسب ترتيب المعانى فى النفس (السبك) ، والقرائن المعنوية والتعليق يعنيان بإنشاء العلاقات بين المعانى النحوية (الحبك) .

وقد تحدث الجرجانى عن قرينة الإعراب ،وظل يكرر أن ليس النظم إلا توخى معانى النحو ، يقول " وإذا نظرنا فى ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثانى صفة للأول أو تاكيداً له أو بدلاً منه أو تجى ء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثانى صفة أو حالا أو تمييزاً أن تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاماً أو تمنياً فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد فى فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً فى الآخر فتجى ء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى"[1]، إن فكرة الإعراب عند الجرجانى ركن مهم من أركان النظم إلا أن هذا الركن يجب أن يفهم أولاً ولكن لايكتفى به في تحليل النصوص ، يقول الجرجانى متحدثا عن الألفاظ " وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم ، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل"[2]، ويقول " الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها " [3]، وقد فطن الدكتور تمام أيضاً إلى أهمية هذه القرينة إلا " أن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون تضافر القرائن وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية وبهذا يتضح أن (العامل النحوى ) وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحى والخضوع لتقاليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاتها " [4]، وأفرد الجرجانى لقرينة الرتبة فصلاً موسعاً سماه (القول فى التقديم والتأخير) بدأه بقوله " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى بك إلى لطيفة ، ولاتزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف

---

[1] دلائل الإعجاز 54 .

[2] دلائل الإعجاز 54 .

[3] دلائل الإعجاز 38 .

[4] اللغة العربية معناها ومبناها 207 .

**عندك أن قدم فيه شى ء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " [1] وقد درس فى هذا الفصل ألوانا من التقديم والتأخير غلب عليها الطابع البلاغى مثل تقديم المسند إليه مع الاستفهام التقريرى والإنكارى ، والاستفهام له التقدم والصدارة وتقديم الاسم والمضارع مع الاستفهام ، والرتبة عند الدكتور تمام حسان " قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدل موضع كل منهما من الآخر على معناه " [2]، تتضافر هذه القرينة مع غيرها من القرائن لتعيين المعنى ، أما الصيغة عند الدكتور تمام فهى قرينة لفظية تدل على الباب النحوى ، ومعانى الصيغ وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية " فالفعل اللازم لا يصل إلى المفعول بغير واسطة ، وبعض الصيغ معناها اللزوم وذلك كالمطاوع والمبنى للمجهول من المتعدى لواحد وأفعال السجايا مثل فعل يفعل بضم العين وغير ذلك فمعنى الصيغة الصرفية ينبئ عن علاقاتها السياقية " [3]، يقول الجرجانى عن الصيغة "ليس الغرض بنظم الكلم (الصيغ) أن توالت ألفاظها فى النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل " [4]، ومن القرائن اللفظية الربط وهو من أهم القرائن اللفظية، وهذه القرينة تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر " والمعروف أن الربط ينبغى أن يتم بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره وبين الحال وصاحبها وبين المنعوت ونعته وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه ، ويتم الربط بالضمير العائد الذى تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو (أل) أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر "[5].**

**والحق أن قرينة الربط عند الدكتور تمام حسان فكرة جزئية لا تكاد تتعدى ما شرحه من وسائل الربط فى النص السابق أما الربط عند عبد القاهر الجرجانى فمعناه أوسع ومفهومه أشمل فهو يكاد يعادل النظم أو التعليق ، فالنظم ربط بين معانى المفردات فى الذهن يترتب عليه ترتيب الألفاظ فى الجمل والمتواليات والتعليق ارتباط المفردات من خلال ما بينها من**

---

[1] دلائل الإعجاز 85 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 207 .

[3] اللغة العربية معناها ومبناها 210-211 .

[4] دلائل الإعجاز 51 .

[5] اللغة العربية معناها ومبناها 213 .

**علاقات ،أى أن الربط بهذا المفهوم الواسع عند عبد القاهر يعادل معيارى السبك والحبك عند علماء النص ، يقول الجرجانى موضحاً مفهوم الربط " أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج فى الجملة أن تضعها فى النفس وضعاً واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال البانى يضع بيمينه ههنا فى حال ما يضع بيساره هناك " [1] وقد تحدث عبد القاهر عن الربط حديثا مطولا تحت عنوان الفصل والوصل .**

**أما التضام فالمقصود به عند الدكتور تمام حسان " أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين العنصر الآخر فيسمى التضام هنا (التلازم) أو يتنافى معه فلا يلتقى به ويسمى (التنافى ) [2]، فالتلازم يكون بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والصفة والموصوف والحال وصاحبها والصلة والموصول والجار والمجرور ، والتنافى معناه استبعاد أحد المتنافيين عند وجود الآخر مثل (أل) والإضافة ، أو التنوين والإضافة ، وقد عبر الجرجانى عن فكرة التضام هذه عندما تحدث عن معانى النحو بقوله " ليست المزية بواجبة لها فى أنفسها ومن حيث هى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها من بعض " [3]، ويقول " فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله وإذا نظرنا فى ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجئ باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثانى صفة أو حالا أو تمييزاً أو أن تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ،أو تريد فى فعلين أن تجعل أحدهما شرطا فى الآخر فتجى ء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى " [4].**

---

[1] دلائل الإعجاز 78 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 217 .

[3] دلائل الإعجاز 74 .

[4] دلائل الإعجاز 54 .

**ففى قول الجرجانى (جعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ) إشارة إلى ما يسمى فى عرف الدكتور تمام حسان قرينة التضام ، وفى باقى جمل هذا النص إشارة إلى قرائن التعليق المعنوية فالعلاقة بين المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل علاقة إسناد والعلاقة بين النعت والمنعوت أو التأكيد والمؤكد علاقة تبعية، ومعانى حروف النفى والاستفهام والشرط تندرج عند الدكتور تمام حسان ضمن قرينة النسبة ، ومن قرائن التعليق عند الدكتور تمام القرائن الحالية أو المقامية التى تعرف من المقام والتى تسمى عند علماء النص معيار المقامية ، الذى يقول عنه الجرجانى " إن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر" [1] ففى قول الجرجانى ( أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ) إشارة إلى فكرة المقام وكلمة (موضع) فى هذا النص معناها المقام ، وإن هذا النص ليطابق قول العرب (لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام).**

**هذا وقد تحدث الجرجانى عن معيارى القصد والإعلام فقال :" الدلالة على الشى ء هى لا محالة إعلامك السامع إياه وليس بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولاً عليه ، وأن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده " [2] وعن المقبولية فإن مجمل فكرة عبد القاهر الجرجانى فى النظم والتعليق هدفها نظم بناء سليم تتعلق معانى أجزائه ببعضها تعلقا محكما ،هذا البناء هدفه إعلام السامع أو القارئ بالأفكار التى يقصدها الناظم ، فيحكم المتلقى أو القارئ على النص بمقبولية النص لديه وإحكامه وتماسكه .**

***المعنى ودلالة النص :***

**لاشك أن المعنى هو الهدف الأخص لأى دراسة لغوية ، والمعنى ثلاثة أنواع معنى معجمى ، ومعنى وظيفى ، ومعنى دلالى ، أما المعنى المعجمى فهو معنى الكلمة خارج السياق ، أو هو المعنى الصامت المختزن بين دفتى المعجم ، وحين يتكلم الفرد يستعين بهذا المخزون الصامت فينقل كلمات المعجم من الصمت أو السكون إلى الحركة ، والمعجم**

---

[1] دلائل الإعجاز 48 – 49 .

[2] دلائل الإعجاز 343 .

**ليس نظاما من أنظمة اللغة وإنما هو قائمة مفردات مخزونة فى الذهن تنتقل بمجرد استخدامها فى نسق لغوى من اللغة إلى الكلام ذلك أن اللغة مجموعة أنظمة يضاف إليها المعجم ، أما الكلام فهو النطق حسب أنظمة هذه اللغة، وأما المعنى الوظيفى فيقصد به (المعنى النحوى) أو هو ما يعادل كلمة (باب) فى كتب النحاة كالابتداء والخبر والفاعلية والمفعولية وغيرها من المعانى النحوية وعندما قال النحاه (الإعراب فرع المعنى ) إنما قصدوا المعنى النحوى لا المعجمى ولا الدلالى ، أما المعنى الدلالى فقد قسمه الدكتور تمام حسان قسمين [1]: المعنى المقالى والمعنى المقامى أما المعنى المقالى فيتكون من المعنيين الوظيفى والمعجمى ، والمعنى المقامى يتكون من ظروف أداء المقال ، والمعنى الدلالى هو أهم الأنواع الثلاثة لاعتماده على المقال والمقام فى آن معا ، وكتاب دلائل الإعجاز هو كتاب فى علم المعانى ، عمد عبد القاهر الجرجانى فيه إلى دراسة المعاني دراسة شاملة فأشار إلى المعانى المفردة وعلاقتها بالألفاظ أو ما يعرف فى علم اللغة الحديث بفكرة العلامة أو الدال والمدلول كما أشار الجرجانى إلى أهمية المعنى الدلالى للتركيب أو النص ، والأهم عند عبد القاهر الجرجانى عندما يتحدث عن المعانى فى هذا الكتاب هو نوع المعانى النحوية أو الوظيفية التى ترتكز عليها فكرة النظم عنده ، وهذا لا يعنى أنه أفرد كل كتابه للمعنى الوظيفى وإنما استحوذت فكرة المعانى الوظيفية على جل اهتمام عبد القاهر لأنها مرتكز رئيس ترتكز عليه فكرة النظم ، يقول الجرجانى " ذلك لأنه أمر ضرورى لا يمكن الخروج منه " [2].**

**وقد أورد الجرجانى نصا يشتمل على أنواع المعنى الثلاثة المعجمى والدلالى والوظيفى يقول فيه " ينبغى أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها فى التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التى بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً (المعنى المعجمي) وتؤدى في الجملة معنى من المعاني التى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة ، وبناء لفظة على لفظة (المعنى الوظيفي) هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل فى الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذى وضعت له من صاحبتها على ماهى موسومة به ( المعنى**

---

[1] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 339 .

[2] دلائل الإعجاز 256 .

**الدلالى) " [1]، وقد قسم الجرجانى المعنى الدلالى قسمين فقال " الكلام (يقصد المعنى الدلالى) على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد ، وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل 000 وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة وهى أن تقول المعنى تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " [2].**

**لم يكتف عبد القاهر الجرجانى بدلالات الصياغة اللغوية وإنما بحث فيما وراء هذه الدلالات فيما سماه المعنى ومعنى المعنى , وقد ربط عبد القاهر الجرجانى بين المعانى المعجمية والمعانى الوظيفية ربطا رائعا يمكن من خلاله القول إن المعنى الدلالى ناتج عن المعانى المعجمية والمعانى الوظيفية وفكرة المقام**

| المعاني المعجمية + المعاني الوظيفية + المقام = المعنى الدلالي الأكبر |
|---|

**يقول الجرجانى " ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو " [3]. ذلك أن الفصاحة– وهى قمة الدلالة عنده –لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة ،فقولهم (أي القاضي عبد الجبار والخطابي وابن سنان وغيرهم ) بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما "[4], وليس أدل على اهتمام عبد القاهر بالمعنى من تكرار إثبات المزية للمعنى لا للفظ فى عشرات المواقع فى كتابه دلائل الإعجاز يقول "وجملة الأمر أنه لا بد لقولنا (الفصاحة) من معنى يعرف فإن كان ذلك**

---

[1] دلائل الإعجاز 47 .

[2] دلائل الإعجاز 177 .

[3] دلائل الإعجاز 226 .

[4] دلائل الإعجاز 256 .

**المعنى وصفاً فى ألفاظ الكلمات المفردة فينبغى أن يشار لنا إليه ,وتوضع اليد عليه ,ومن أبين ما يدل على قلة نظرهم أنه لاشبهة على من نظر فى كتاب تذكر فيه الفصاحة أن الاستعارة عنوان ما يجعل به اللفظ فصيحا وأن المجاز جملته والإيجاز من معظم ما يوجب للفظ الفصاحة, وأنت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدون ثم يذهب عنهم أن إيجابهم الفصاحة للفظ بهذه المعانى اعتراف بصحة ما نحن ندعوهم إلى القول به من أنه يكون فصيحاً لمعناه " [1].**

**وللوصول إلى المعنى فى صورته الشاملة- يقول الدكتور تمام حسان- " لابد أن نستخدم الطرق التحليلية التى تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة وهى الصوتيات والصرف والنحو (أي الفروع الخاصة بتحليل المعنى الوظيفي ) ثم المعجم (وهو الخاص بالمعنى المعجمي ) والحقائق التى نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي " [2].**

**وعن دلالة النص يقول الدكتور تمام حسان " حين تنفرد العلاقات العرفية بين الكلمات ومعانيها بالوجود فلا تكون هناك وظائف ولا مقام ,إن مجرد وضوح هذه العلاقات لا يؤدى إلى أي فهم للكلمات المفردة على المستوى المعجمي إذ إنها هنا لم توضع في سياق , ووضوح معنى المفردات لا يكشف حتى عن المعنى الحرفي الذي سميناه (ظاهر النص ) أو (معنى المقال ) لأن الذي لدينا هنا (المفردات ) وليس (النص ) , وذلك أيضاً لأن معنى (ظاهر النص) يحتاج إلى وظائف (المعنى الوظيفي) كما يحتاج إلى العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها (المعنى المعجمي ) إذ منهما معاً يكون معنى (المقال) وانفراد العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها يجعل الأمر بحاجة أيضاً إلى معنى (المقام) أو المعنى الاجتماعي الذي هو شرط لاكتمال (المعنى الدلالي ) الأكبر "[3] والمقام هو مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابا وسلبا ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان [4] وعند علماء النص فإن دلالة النص تعتمد على تفكيك النص**

---

[1] دلائل الإعجاز 296 .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها 341 .

[3] اللغة العربية معناها ومبناها 341 –342 .

[4] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 351 .

**إلى الوحدات المكونة له ، وتفكيك النص إلى الوحدات المكونة له يعتمد على الإدراك السليم لبنيته العليا [1]، أى أن الوصول إلى دلالة النص يعتمد على فهم الجزئيات المكونة له ، كما أن فهم هذه الجزئيات يعتمد على المعرفة الأولية لدلالة النص .**

**إن المعنى الكلى للنص أكبر من مجموع المعاني الجزئية للمتواليات الجملية المكونة له ، ولا تنجم الدلالة الكلية له إلا بوصفه بنية كبرى شاملة فالنص ينتج معناه بحركة جدلية أو تفاعل دائم بين أجزائه [2] فالجملة داخل النص ذات دلالة جزئية ولا يمكن أن تنفرد بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النص إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التتابع الجملي [3].**

**وتحليل النص لفهم دلالته الكلية لا ينحصر في مقولات اللغة (المقال) على الرغم من أنه مشكل منها ذلك أنه يراعى جوانب لا تتمثل في الواقع اللغوي الفعلي بل توجد في الواقع الخارجي الذي يعبر عن مقولات غير لغوية خارج النص ويلح علماء النص على أن النص عملية إنتاج بمعنى أنه ليس وصفاً أو سردا لحقائق اللغة ، بل يترك مساحة كبيرة من الحرية للمفسرين لكى يقوموا من خلال عمليات التفكيك أو التجزئة بالكشف عن الأبنية الدلالية الكبرى التى تجمع المتواليات الجملية ، وتخلق تواليداً مستمراً، هذه الأبنية الدلالية الكبرى يستطيع مفسر النص أن يربط من خلالها بين الجزئيات اعتماداً على خبرته وثقافته وتوجهه [4].**

**فالنص رمز لغوى مركب ، والرمز المركب إنما يساق للدلالة على معنى مركب ، وأن تركيب هذه الدلالة يبدو في صورة مزيج من المستويات الدلالية بعضها أصواتى وبعضها صرفي وبعضها نحوى أو معجمي أو دلالي ، ولكل مستوى من هذه المستويات اللغوية نصيب من الدلالة ، وتتجه الدراسة إلى جميعها بتحليل يشبه تحليل ألوان الطيف الضوئي ، وتسمى هذه المستويات مجتمعة باسم (الطيف اللغوي) [5].**

---

[1] انظر : بلاغة الخطاب وعلم النص ، للدكتور صلاح فضل 253 .

[2] انظر علم لغة النص 73 .

[3] انظر علم لغة النص 135 .

[4] انظر علم لغة النص 111 .

[5] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 117 .

***القارئ (المتلقى) والنص :***

**إن من يقرأ (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجانى يخلص إلى أن الجرجانى وهو يناقش مسألة الإعجاز والبلاغة والفصاحة كان لديه منطلق أساسي لم يفصح عنه منذ البداية وهو أن النص لكي يحقق تأثيره لابد من مراعاة عملية التواصل ومكوناتها المحدودة في ثلاثة عناصر هي المبدع والنص والمتلقي [1]، يقول الجرجانى " كما لا يتصور أن يكون هاهنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه ، كذلك لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته أو يكون له نسبة إليه ، وتعود التبعة فيه عليه ، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صادقا وبالكذب إن كان كاذبا (دور المتلقى) [2] أما المبدع فإن الأسلوب يرتبط أساسا بعقله وفكره قبل أن يرتبط باللغة ، ولذلك اشترط الجرجانى أن يكون التناسق أولاً في عقل المبدع وفكره وبعدهما فى الألفاظ [3]، يقول " ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها فى النطق ، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل " [4]، إنه استحضار للحظات التأمل والمعاناة والشعور عند المبدع حيث يرتب المعانى فى نفسه على نحو متسق منسجم،ثم يأتى وفق ترتيب المعانى فى النفس ترتيب الكلام ، فالصورة الجمالية قبل أن تدرك فى لغة المبدع وعمله ، تدرك فى انفعالاته النفسية ، وتأملاته الذاتية الداخلية [5] وبعد إنجاز المبدع لمهمته يكون النص أو الخطاب أو العمل الأدبى حلقة وصل بين المبدع والمتلقى الذى لا يمكن النظر إليه على أنه متلق واحد ،وإنما هو قراءة من بين قراءات مختلفة تتعامل مع الخطاب حسب آفاقها ومداركها ، ولعل هذا من الأسباب المباشرة التى تجعل النص يخترق الزمان والمكان ويحيا مع متلقيه وقارئه ،وإذا كان من أصناف المتلقين من يقرأ ويؤول بحثا عن المتعة والتسلية فإن منهم كذلك من يتلقى الخطاب وهو يروم استنباط القراءات**

---

[1] انظر التلقي والتواصل الأدبي قراءة في نموذج تراثي للدكتور أحمد المنادى 183 –184 .

[2] دلائل الإعجاز 342 .

[3] انظر التلقي والتواصل الأدبي 184 .

[4] دلائل الإعجاز 51 .

[5] انظر التلقي والتواصل الأدبي 185 .

**المتناهية [1] إن عبد القاهر الجرجانى لا مس جانبا مهما من مباحث الدلالة يرتبط بالجانب التداولي وهو المتلقي الذي يبذل جهداً في فك شفرة المعنى من خلال الاستدلال العقلي على المعنى المقصود ، وهذا من شأنه أن يجعل المتلقى طرفا مساهما في بناء النص من حيث تأويله وبيان دلالته [2] يقول الجرجانى مخاطبا القارئ " وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لابد لكل كلام تستحسنه ، ولفظ تستنجده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة [3] لقد كان الجرجانى على وعى كبير بأهمية عنصر التأثير في المتلقى ، والتأثير عنده قمة جمالية النص ، هذا التأثير يجعل المتلقى يقف على معاناة المبدع، وعنصر التأثير أخذ حيزاً كبيراً فى دراسة الجرجانى للصورة الشعرية حيث اعتبر الأدب قائما على قانون نفسى يتجاذبه النظم والتأثير ، فالمتلقى يستحسن الصورة أو النص الشعرى بحسب درجات حضور جمالية النظم والتصوير[4]، يقول الجرجانى " واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية فى نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى البعض حتى تكثر فى العين فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه 000 حتى تستوفى القطعة وتأتى على عدة أبيات ، ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك منه دفعة ويأتيك منه ما يملأ العين ضربة حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحذق " [5]، ومن ثم يصبح القارئ فى تصور الجرجانى مساهماً فى تشكيل النص وبناء دلالته.**

**وقد وضح الدكتور تمام حسان أن من مهام القارئ فى بناء النصوص إعادة بناء المقام ، يقول الدكتور تمام " ومغزى هذا أن المعنى الحرفى غير كاف لفهم ما قيل لأنه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن الحالية التى تدخل فى تكوين المقام ، وإن الكثير من نصوص تراثنا العربى قد جاء غامضاً لأن الذين رووا هذه النصوص لم يعنوا بإيراد وصف كاف للمقام الذى أحاط بالنص ومن ثم ينبغى لنا (القارئ) أن نبذل الجهد مضاعفاً عند التصدى لشرح هذه النصوص حتى نستطيع إعادة بناء المقام على أساس من التاريخ ومن**

---

[1] انظر التلقي والتواصل الأدبي 192 .

[2] انظر التلقي والتواصل الأدبي 194 .

[3] دلائل الإعجاز 45 .

[4] انظر التلقي والتواصل الأدبي 197 .

[5] دلائل الإعجاز 75 .

علم النفس والمجتمع العربى القديم والاقتصاد القديم أيضاً والمزاوجة بين كل من أولئك بواسطة الخيال والعقل الثاقب النفاذ " [1].

هذا وأولى علماء النص اهتماماً بالغاً بالمتلقي " فإذا كانت البنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية ، وكانت متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلى للنص فإن الذى يحدد إطارها هو المتلقى ، لأن مفهوم التماسك ينتمى إلى مجال الفهم والتفسير الذى يضفيه القارئ على النص ، وتأويل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التى يتضمنها النص بل يقتضى أيضاً إدخال عناصر القراءة التى يملكها المتلقى ، داخل ما يسمى بكفاءة النص ، ومعنى هذا أن القارئ لا يقوم فحسب بعملية ترجمة للبيانات دلاليا فى النص بل هو الذى يضع لها الإطار الذى يراها من خلاله"[2]، وتحتاج العلاقة بين النص والقارئ إلى إيضاح تسهم اتجاهات تحليل النص فيه من خلال اهتمامها بعملية القراءة ، فالنص نظام من الكتابة ولكن يندرج تحت نظام أكبر، ولهذا فإنه لا ينبغى للقارئ أن يركز على استنباط المعنى الخبرى أو يعطى له الصدارة فى التحليل ، كما يحدث فى القراءة التفسيرية بل ينبغى على القارئ أن يركز قراءاته على إدراك العلاقات بين المستويات المتعددة للغة [3]، والقارئ حر فى أن يدخل إلى النص من أى جانب منه ، إذ ليس هناك طريق واحد يعد أسلم الطرق المقاربة للنص ، وهو حر كذلك في أن يمتع نفسه بالنص مهملا قصد الكاتب [4].

وقد تركز الاهتمام على التفاعل بين القارئ ولغة النص ، فالنص عالم من البنيات والدلالات يتم إنتاجها من خلال النص نفسه ولا يُغفل دور الكاتب والقارئ في تفسير النص الذي يحتاج إلى معرفة عريضة شاملة تختلف طبيعتها في اتجاهات التحليل النصي المختلفة ، بمعنى أن دور القارئ لا يقتصر على مجرد تفسير ما هو قائم (بناء النص) بل يتخطى ذلك بإدخال معارف وتصورات ومقولات تثرى عملية التفسير [5].

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 373 .

[2] بلاغة الخطاب وعلم النص 260- 261 .

[3] انظر علم لغة النص 159 .

[4] انظر إلى علم لغة النص 160 .

[5] انظر علم لغة النص 162 – 164 .

**فبنيـة الـنص إذن بنيـة لغويـة منطوقـة فـى المقـام الأول ، غيـر أنهـا مرتبطـة فـى استمرارها وتحقق دلالتها بأركان التواصل وهي المنتج أوالمنتجون والمتلقى أوالمتلقون ، والتفاعل بين الطرفين من خلال عملية التلقى ، ذلك المكون الذى يضمن استمرار النص أو تتابع سلسلة الاتصال أو انقطاعها عند نقطة محددة أو فى موضع بعينه ، ويشترط فى التتابع تحقق المغزى ، وإذا فقد النص أى عنصر من هذه العناصر انهارت بنيته وتناثرت أجزاؤه ، غير أنها تظل قائمة محتفظة بدلالاتها المحددة [1].**

***فكرةُ التَّدَاخل المعرفي :***

**إن فكرة التداخل المعرفى تشبه إلى حد كبير ما قالته العرب فى تعريف الأديب بأنه " الملم من كل فن بطرف " وإنما قصدوا بالفنون الآداب والمعارف ، فالأديب أو المؤلف يجب أن يكون ملماً بالآداب والمعارف المختلفة ، وإن كثيرا من المؤلفين فى القرون الأولى كانوا يؤلفون فى علوم شتى ، فنجد أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمى يؤلف فى مجاز القرآن وغريب القرآن ومعانيه، والحديث، والحيوان، والأمثال ، والأخبار ، والقبائل ، والمنافرات ،والتاريخ ،واللغة [2]، ونجد ابن السراج يؤلف فى الأصول ، والاشتقاق ، واحتجاج القراءة والشعر والشعراء ، والرياح والهواء والنار ، والأخبار والمذكرات [3] هذا من ناحية التأليف ، أما من ناحية التحليل فقد وضع العلماء شروطا فى المفسر لآى الكتاب العزيز يجب أن يلم بها وهى أن يكون حافظا لكتاب الله العزيز ، فاهما لقراءاته ، مطبقا لشرائعه ، حافظا للحديث وعلومه ، متابعا للتفاسير الأخرى ، على دراية تامة بعلوم اللغة من صرف ونحو ومعاجم ، وأن يكون ملما بالأحداث التاريخية التى تساعده فى فهم أسباب نزول الآيات ومن ثم تفسير الآيات تفسيراً غير منفصل عن مقاماتها وسياقاتها الاجتماعية ، أى أن العلماء العرب فطنوا إلى فكرة التداخل المعرفى منذ بدء ظاهرة التأليف ، وكان ذلك مواكبا لتفسير القرآن الكريم ، وشرح الأحاديث النبوية الشريفة ، فالشروط التى وضعتها العرب فى المفسر تمثل فكرة التداخل المعرفى خير تمثيل ، وفكرة التداخل المعرفى**

---

[1] انظر علم لغة النص 187 .

[2] انظر الفهرست لابن النديم 81 – 82 .

[3] انظر الفهرست 94 .

**تتطلب دراية واسعة بفروع العلوم المختلفة يقول الدكتور سعيد حسن بحيرى في تقديمه لكتاب علم لغة النص " فقد تشعبت المنابع التى استقى منها (التداخل المعرفي) مفاهيمه وتصوراته ومناهجه ، واتسم هو نفسه بقدرة فائقة على استيعاب كل ذلك الخليط المتباين ، بل وتشكيل بنية منسجمة قادرة على الحفاظ على ذلك التداخل من جهة ، وإبراز جوانب التفارق بينه وبين العلوم الأخرى من جهة ثانية " .**

**هذه الفكرة يجب أن تتحقق لدى المبدع والمتلقى كليهما ، فالمبدع يوظف ما يتداخل عنده من أفكار وثقافات ومعارف يرتقى من خلالها بإبداعه ،والمتلقى يوظف هذا التداخل المعرفى فى فهم النص وسبرأغواره.**

**ولم تخل أفكار عبد القاهر الجرجانى من فكرة التداخل المعرفى ، يقول " قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وأنها من حيز المعانى دون الألفاظ ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك ، وتستنجد فى الجملة فهمك "[1]، لعل فى قول الجرجانى " إشارة إلى فكرة التداخل المعرفى لدى المتلقى حيث يستعين بفكره (معارفه المتداخلة) ويعمل رويته ويراجع عقله لفهم المعنى ، ويقول فى موضع آخر " وجملة الحديث أنا نعلم ضرورة أنه لا يتأتي لنا أن ننظم كلاماً من غير روية وفكر "[2] ففى هذا إشارة إلى فكرة التداخل المعرفى لدى المبدع الذى يحكم فكره ومعارفه من أجل الارتقاء بنظمه وإبداعاته .**

**ويقول الدكتور تمام حسان عن التداخل المعرفى " لعل السبب الرئيسى فى ضرورة التزام طلاب اللغة العربية وأدبها بدراسة مقررات من التاريخ الإسلامى والفلسفة الإسلامية والتفسير والحديث والأدب والشريعة وغيرها أن طالب اللغة العربية حين ينظر فى نص أدبى معين ينبغى أن يكون له من المعلومات الشاملة فى هذه الفروع جميعا ما يعينه على فهم المقام الذى قيل فيه هذا النص حين يلخص له هذا المقام ، وقد تعودنا أن نقول لطلبتنا دائماً عن هذه الفروع التى يطلقون عليها (العلوم المساعدة) إنها فروع إيضاح لمقامات النصوص التى نصادفها فى التراث العربى "[3].**

---

[1] دلائل الإعجاز 59 .

[2] دلائل الإعجاز 235 .

[3] اللغة العربية معناها ومبناها 347 .

**وقد شكلت الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنصوص صلب البحث النصى ، بمعنى أن البحث يتحقق على مستويات ثلاثة أساسية هى :المستوى النحوى ، والمستوى الدلالى ، والمستوى التداولى ، ولايجوز الفصل بين هذه المستويات مع مراعاة مواضع التماس بينها وبين علوم الأدب والبلاغة والأسلوب ، مع إدخال عناصر أخرى تعود إلى علم النفس وعلم الاجتماع ، والفلسفة والمنطق وغيرها ، ذلك أن فكرة التداخل المعرفى تهدف إلى الجمع بين العناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيراً إبداعيا [1]، يقول الدكتور صلاح فضل " لا مفر لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التى تنتمى إليها هذه النصوص فعندما نشرع فى قراءة رواية مثلا تصبح المكونات التى نتوقعها والتى تحدد معالمها الأساسية فى تجربتنا الجمالية والإنسانية خاضعة لطبيعة مفهومنا عن الرواية ، مما يجعل الأمر مختلفا عندما نشرع فى قراءة قصيدة أو مقال صحفى " [2].**

---

[1] انظر مقدمة علم لغة النص (هـ) .

[2] بلاغة الخطاب وعلم النص 254 .

## خاتمــة

يستقى هذا البحث أهميته من أنه يسرد عناصر النظرية اللغوية العربية التى أنتجتها عقول وأفكار المبدعين العرب في الفترة من الجاحظ حتى عبد القاهر الجرجانى ، وأن النظرية اللغوية الغربية حديثة عهد بالنسبة للنظرية العربية التى نضجت وأصبحت شبه متكاملة مع نهاية القرن الخامس الهجري ، وما فعله الغربيون من تطوير لأركان نظريتهم وتقديمها في أزهى ثوب كان على العرب أن يفعلوه بعد عبد القاهر الجرجانى مباشرة أي أن الفكر اللغوي لو تواصل بعد عبد القاهر الجرجانى لكان لدينا ما يدعيه الغرب من فضل في تأسيس نظرية لغوية مكتملة الأركان منذ القرن السادس الهجري تقريباً ، وثمة ثلاث أفكار تكفى بمفردها لشرح عناصر النظرية اللغوية العربية هي النظم وتضافر القرائن ونحو النص ، وإن كان مردها جميعا إلى فكرة النظم فإن كل فكرة بمفردها تضم أركان النظرية اللغوية العربية ، و يمكن القول إن هذه الأفكار هي ظلال نصوص لمعنى واحد أو لفكرة واحدة هدفها جميعاً بناء و تحليل النصوص الأدبية إلا أنه يمكن القول إن فكرة النظم هي فكرة بناء وتحليل معاً،أما تضافر القرائن فهى فكرة تحليل أكثر منها فكرة بناء ،ونحو النص فكرة تحليل ، وهذه أيضاً ميزة اتسم بها الفكر اللغوي لعبد القاهر الجرجانى مع مراعاة أنه لا يمكننا الفصل بين الهدف من البناء والتحليل .

وبعد دراسة عناصر النظرية اللغوية العربية المتمثلة في النظم وتضافر القرائن ونحو النص يمكن التوصل إلى النتائج الآتية :

1. يعد كتاب ( اللغة العربية معناها ومبناها ) للدكتور تمام حسان حلقة وصل بين فكرة النظم ونحو النص .
2. الوصول إلى دلالة النص يعتمد على فهم الجزئيات المكونة له ، كما أن فهم هذه الجزئيات يعتمد على المعرفة الأولية بدلالة النص.
3. نظرية النظم لعبد القاهر الجرجانى هى فكرة بناء وتحليل أما تضافر القرائن فهي فكرة تحليل أكثر منها بناء ، ونحو النص فكرة تحليل .
4. فكرة التداخل المعرفي يجب أن تتحقق لدى المبدع والمتلقي كليهما ، فالمبدع يوظف ما يتداخل عنده من أفكار ومعارف يرتقى من خلالها بإبداعه ، والمتلقي يوظف هذا التداخل المعرفي في فهم النص وسبر أغواره ، وثمة فرق بين التداخل

**المعرفي وما يقوله البعض من أن الفكرة متداخلة ، فالتداخل المعرفي فكرة ذهنية معناها تكامل المعارف داخل الذهن هذا التكامل يساعد في عمليتي البناء والتحليل ، أما تداخل الفكرة فيظهر بصورة مادية من خلال الإفصاح عن الفكرة نطقا أو كتابة ومعناه عدم وضوح الفكرة وأن لبساً يعترض أفكار المبدع أو المتلقى .**

## المراجـــع


1. الأصول (دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ) الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، 2000 م .
2. الإيضاح في علل النحو الزجاجى ، تحقيق مازن المبارك ، الطبعة الأولى ، دار النفائس 1974 م .
3. بلاغة الخطاب وعلم النص: الدكتور صلاح فضل ، عالم المعرفة 1992 م .
4. بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) . الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجانى، تحقيق محمد خلف ومحمد مندور ،وزغلول سلام ، دار المعارف 1976م.
5. البيان في روائع القرآن : الدكتور تمام حسان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، 1993م .
6. البيان والتبيين (بحاشية موفق شهاب الدين) . الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية 1998 م .
7. تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف القاهرة 1983.
8. التصريح بمضمون التوضيح (بحاشية العليمى) . الشيخ خالد الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية (بدون تاريخ).
9. التلقي والتواصل الأدبي (قراءة في نموذج تراث) . الدكتور أحمد المنادى ،بحث ضمن سلسلة عالم الفكر ،العدد الأول المجلد الرابع والثلاثون، يوليو – أغسطس 2005 م .
10. الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابى الحلبي ، 1948 م .
11. الخصائص : ابن جنى ، تحقيق عبد الحكيم بن محمد ،المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ) .
12. دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجانى ،المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ) .
13. شرح المفصل : ابن يعيش ،عالم الكتب ،(بدون تاريخ) .
14. العربية من نحو الجملة إلى نحو النص . الدكتور سعد مضلوع – مقالة في – التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذاكراه الثانية ، جامعة الكويت 1990 م .

15. علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) . سعيد حسن بحيرى ، الطبعة الأوكلى ، مكتبة الانجلو المصرية (1413هـ - 1993 م) .
16. (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) . فرديناند دى سوسير .جوناثان كللر ، ترجمة عز الدين إسماعيل ،المكتبة الأكاديمية بالقاهرة 2000م .
17. الفهرست : ابن النديم ، تحقيق محمد أحمد أحمد ،المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ) .
18. كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميمة ، دار الكتب العلمية بيروت ،1981 م .
19. اللغة العربية بين المعيارية والوصفية . الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ،2001م .
20. اللغة العربية معناها ومبناها. الدكتور تمام حسان ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب 1998 م.
21. اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي) . شكري عياد ، القاهرة 1988 م .
22. اللفظ والمعنى في البيان العربي . محمد عايد الجابرى ، مجلة فصول ، العدد الأول ، المجلد السادس 1985 م .
23. المرايا المقعرة : الدكتور عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، أغسطس 2001م.
24. المغنى في أبواب التوحيد والعدل . القاضي عبد الجبار ، تحقيق أمين الخولى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالقاهرة ،1960 م .
25. منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجنى ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، بيروت (دار الغرب الإسلامي) 1981 م.
26. نحو النص (اتجاه جديد في دراسة النحو العربي) . الدكتور أحمد عفيفى ،صحيفة دار العلوم ،العدد السادس عشر ، رمضان 1421 هـ ، ديسمبر 2000 م.
27. نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر الجرجانى والنقد الغربي الحديث : الدكتور محمد نايل أحمد ، دار المنار 1409 هـ - 1989 م.

# الفصل الثانى

# إعجام الصرف وتصريف المعجم

# توطئـة :

**ترتكـز صـناعة المعجـم علـى فهـم طرائـق التصـريف ،وتصـنيف المسـائل الصرفية يعتمد على فهم دلالات المفردات والمواد الأصلية التى يعنى المعجم بسردها فى شكل قائمة يراها كثير من اللغويين صامتة [1]، وأراها غير صامتة ، فالصامت فقط فى هذه القائمة هو المادة الأصلية ،أما التصاريف المنبثقة عن المادة الأصلية فلا يمكن أن نصفها على العموم بالصمت أو السكون ، فلا يستطيع جامع المعجم فهم معانى هذه البنيات إلا فى حالة حركة ولا يقوى من تلقاء نفسه على توضيح معانى هذه التصاريف وإنما يتحصل على معانيها من خلال السياقات التى وردت فيها ، بيد أنه يمكن أن نصف الكلمات التى هى من المشترك اللفظى مثلا أنها صامتة إذ يمكن للمفردة الواحدة منها أن تدخل فى سياقات مختلفة فتتعدد معانيها تبعا لتعدد السياقات الداخلة فيها فتنتقل المفردة من طور السكون إلى طور الحركة ، وما دامت صناعة المعجم ترتكز على فهم الصرف ، وتصنيف المسائل الصرفية يعتمد على فهم المعجم ، فإنه لا يمكن تجاهل العلاقة بينهما ، فلا يخلو معجم من المسائل الصرفية ولا يخلو كتاب فى**

---

[1] **انظر تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب 140 .**

الصرف من الحديث عن المواد الأصلية للتصاريف وعن دلالات الصيغ ، وعندما ألف الخليل بن أحمد معجم " العين " اعتمد فى الأساس على فكرة تصريفية فرأى أن كلمات العربية إما أن تكون مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ولا تزيد الكلمة عن ذلك باعتبار أصولها ثم رأى إمكانية حصر الكلمات الثنائية بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا هو الألف والثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء ، وكذلك الكلمات الثلاثية بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا هو الجيم ثم يقلب هذا الحرف مع باقي حروف العربية [1] ، وهذا ما سماه ابن جنى الاشتقاق الأكبر وعرف فيما بعد عند علماء الرياضيات بالتباديل ، ولكن ما نوع العلاقة بين الصرف والمعجم ؟ ثمة نوعان من العلاقات بين الصرف والمعجم ، النوع الأول هو علاقات الاتفاق ، ويندرج تحت هذا النوع العلاقات أو القواسم المشتركة التى يتفق فيها الصرف والمعجم ، ويمكن أن نسميها علاقات الإيجاب ، والنوع الثانى هو أوجه الاختلاف ، ويندرج تحت هذا النوع الأشياء التى يختلف فيها الصرف عن المعجم ، ويمكن أن نسميها علاقات السلب ، وهذا البحث محاولة لفهم نوعى العلاقة بين الصرف والمعجم .

---

[1] انظر تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب 140 .

# أولا علاقات الإيجاب :

**1) المناسبة :**

**الصرف والمعجم يرتبطان بفكرة المناسبة ، أما المناسبة المعجمية فيقصد بها صلاحية الكلمة بدلالتها المعجمية أن تتضافر مع كلمات أخرى بدلالاتها المعجمية فمن المناسبة أن نقول كتبت بالقلم ، وفى النهر ماء ، وليس من المناسبة أن نقول كتبت بالنهر وفى القلم ماء ، ذلك أن الكتابة يناسبها القلم والنهر يناسبه الماء ، وأما المناسبة على مستوى الصرف فيمثلها مظاهر كثيرة فالفعل الماضى مثلا يضم آخره عند اتصاله بواو الجماعة لمناسبة هذه الواو ، والمنادى المندوب يفتح آخره لمناسبة ألف الندبة ، والاسم المضافة إليه ياء المتكلم يكسر آخره لمناسبة الياء .**

**كتبَ + و( واو الجماعة ) ← علاقة مناسبة كتبوا**

**واعثمان + ا( ألف الندبة ) + ( هاء السكت ) ← علاقة مناسبة واعثماناه**

**كتاب + ى ( ياء المتكلم ) ← علاقة مناسبة كتابى**

**هذا ويعد طلب الخفة الهدف الأكبر من تجاور الحروف فى بنية الكلمة لذا نجد حروفًا لا تتناسب مع غيرها من الحروف كالصاد والشين اللذين لا يتناسبان فى بنية الكلمة ، هذه الحروف لا يقرها الاستعمال لصعوبة النطق بها**

مجتمعة ولعدم التناسب فيما بينها عند المجاورة ، وقد صنف ابن جنى فى الخصائص بابا فى ( إمساس الألفاظ أشباه المعانى ) [1] عرض فيه أمثلة شتى للمناسبة بين بنية الكلمة ودلالة هذه البنية ( عمل المعجم ) ، وقد أفاد فى ذلك من قول سيبويه فى المصادر التى جاءت على ( الفعلان ) أنها تأتى للاضطراب والحركة كالغليان والغثيان حيث لاحظ سيبويه تناسبا بين توالى حركات المثال وتوالى حركات الأفعال ، وراح ابن جنى يعرض أمثلة كثيرة لهذا التناسب ، كالخضم والقضم ، يقول " فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول من الرطب والقضم للصلب اليابس 000 فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " [2]، فالخاء فى ( خضم ) والقاف فى ( قضم ) قيمتان خلافيتان تفرقان بين الفعلين والقيم الخلافية وظيفتها التفريق بين الصيغ فى النظام الصرفى ، ولما كانت الخاء رخوة اختاروها للرطب ، ولما كانت القاف صلبة اختاروها لليابس أى أن الخاء تناسبها الرخاوة ، والقاف تناسبها الشدة ، والرخاوة تناسب أكل الرطب ، والشدة ( الصلابة ) تناسب أكل

---

[1] انظر الخصائص 2 / 100 .

[2] الخصائص 2 / 104 .

**اليابس أى أن المناسبة هنا ليست بين حروف البنية الواحدة ولا بين المعنى المعجمى للصيغتين ، وإنما هى بين البنية الصرفية ودلالتها المعجمية أى بين الصرف والمعجم ، فالمناسبة قد تكون فى داخل البنية بين الحروف وبعضها أو بين الحركات والحروف وهذه تسمى المناسبة الصرفية ، وقد تكون بين دلالات المفردات وهذه المناسبة تسمى معجمية ، أو بين المفردات ودلالاتها فتسمى صرفية معجمية ، وعكس المناسبة الصرفية التنافر بين الحروف داخل بنية الكلمة ، وعكس المناسبة المعجمية المفارقة المعجمية التى مثل لها الأستاذ الدكتور تمام حسان بقوله " قرأ الحجر دم النخلة " يقول : " فإنك ستجد مفارقة معجمية بين ( قرأ ) و( الحجر ) وبين (قرأ) و ( الدم ) وبين ( الدم ) و ( النخلة ) فلا الحجر يقرأ ولا هو يقرأ الدم ولا الدم مما يخضع للقراءة ولا النخلة من ذوات الدماء " وأما المجاز كأن نقول ( محمد بحر) أى علمه غزير كالبحر فليس هذا من المفارقة المعجمية لدلالة قرينة الحال على غزارة علم محمد [1]**

.

**2)** الاشتقاق :

---

[1] **الخلاصة النحوية 81.**

ثمة قاسم مشترك بين الصرف والمعجم يتمثل فى وجود صلة بين الكلمات أو الصيغ قوامها اشتراك الكلمات أو الصيغ فى أصول ثلاثة ، وهذه الصلة تدرس عند علماء الصرف تحت اسم ( الاشتقاق ) وعند علماء المعجم تدرس تحت عنوان ( المادة الأصلية ) ولعل هذه الصلة هى أوضح نقاط الاتصال بين الصرف والمعجم فكلاهما ينبنى على فكرة الأصول الثلاثة وهى فاء الكلمة وعينها ولامها ، وكلاهما يأخذ هذه المادة منطلقا أو معينا ينطلق منه لتصنيف المسائل الصرفية أو لسرد قوائم المفردات بين دفات المعاجم ، بيد أن المعجميين ينطلقون من المادة الأصلية مباشرة نحو سرد قوائمهم فيسردون كل الكلمات التى تشترك فى هذه المادة ثم يبينون معانى هذه الكلمات من خلال سياقاتها التى وردت فيها ، وكل مادة تعد بابا مستقلا بذاته ، أما الصرفيون فينطلقون من الصيغة التى تعد مرتكزا لدراساتهم معتمدين على فهم المادة الأصلية والميزان الصرفى ، والصيغة ملخص شكلى لجمهرة من العلامات ، وقد تطلق ويقصد بها الوزن فيقولون صيغة ( فعل) أو ( انفعل )أو ( فاعل) وقد تطلق ويقصد بها شكل معين لترتيب طائفة من الحروف كصيغة منتهى الجموع وتكون عندئذ أعم من الوزن إذ يندرج تحتها أوزان كثيرة فأوزان ( فعائل) و ( مفاعل )و ( فواعل) جميعها يسمى صيغة منتهى الجموع وملخصها الشكلى هو

( حرفان متحركان بالفتح بعدهما ألف بعدها حرفان الأول منهما مكسور) ، وينظر الصرفيون إلى الصيغة من ناحيتين الأولى ناحية المعنى الوظيفي كاشتراك المشتقات فى الدلالة على المعنى وصاحبه ، والثانية هى التجرد والزيادة ودلالات الحروف الزوائد [1]، أما المعجميون فلا يقفون عند الصيغ ولكن يهتمون بمفردات أو كلمات ثم يبحثون عن دلالات هذه المفردات أو الكلمات ، هذا ولا يخلو معجم من المعاجم من التعرض لشرح الكلمة صرفيا ومن ثم تبيين نوع الصيغة التى تنتمى إليها الكلمة ، فإذا كانت الصيغة هى مرتكز اهتمام الصرفيين ، فإنها ذاتها خطوة ضرورية يستعين بها المعجميون لشرح المفردات ومن ثم الوصول إلى معانيها المعجمية فلا يتمكن المعجمى من الوصول إلى المعنى المعجمى للكلمة إلا إذا عرف مبناها الصرفى والمعنى الوظيفى لهذا المبنى [2]، ليس ذلك فحسب فالمعجمى يجب أن يكون ملما بدروس التصريف إلماما وافيا للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، فتارة يصف المعجمى الكلمة بوزنها صرفيا فيقول ( ضرب ) بوزن ( فعل ) ، وتارة يصفها بتحديد نوعها من المشتقات ، ومن عمل المعجمى أيضا أن يبين ما

---

[1] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 166 .

[2] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 327 .

**حدث فى الكلمة من إعلال أو إبدال أو حذف أو زيادة أو تضعيف وبهذا يمكن القول إن الصرف معجم للصيغ والمعجم تصريف للمفردات ، ومن هنا يمكن جمع معجم للصيغ الصرفية فى محاولة للوقوف على دلالات الصيغ الصرفية مجتمعة كما فعل الصرفيون فى بعض الصيغ فقالوا ( فعُل ) تدل على اللزوم و( فعلان) تدل على الاضطراب والحركة و ( مفاعلة ) تدل على المشاركة وإذا كانت الصيغة عند الصرفيين هى المرتكز الرئيس الذى ترتكز عليه دراساتهم ، فالصيغة عند المعجميين طور من أطوار عدة يمر بها المعجميون للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، والمادة الأصلية أو ( جرثومة معنى الحدث ) هى المرتكز الرئيس الذى يرتكز عليه عمل المعجميين ، وعندما يعبر المعجميون عن صلة الرحم بين الكلمات لا يقنعون بالمبانى الصرفية أو الصيغ فقط ، فالصيغ قاصرة عن الوفاء بمطالب المعجم ، ذلك بأن المعجم لا يمكن حصر مفرداته ،أما الصرف فيمكن حصر صيغه ، وإن كانت الصيغة طوراً من أطوار شرح المعنى المعجمى للكلمة ، فهى عاجزة عن الوفاء بمطالب المعجم ، وتبقى المادة الأصلية مدخلاً رئيسا إلى شرح معانى المفردات ، ولكن المعجميين لا ينسبون إلى حروف المادة معنى معينا – وهذا الذى دعانى للحكم على المادة بأنها صامتة – ويعترفون بتعدد معانى المفردات التى تشترك**

**فى المادة الأصلية وليست المادة عندهم سوى علاقة رحم بين المفردات التى ترتبط معجميا بواسطتها ولذا يفصلون فى الكتابة بين أصول المادة تنبيها على عدم دلالتها على معنى معين [1] .**

**3)** المعنى :

**لا شك أن المعنى هو الهدف الأكبر لأى دراسة فى أى فرع من فروع اللغة ، ومن هذه الفروع الصرف والمعجم " فموضوع علم الصرف المفردات العربية ، من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعانى " [2]، وموضوع المعجم هو المفردات العربية من حيث البحث فى صياغتها الموجودة بالفعل – لا عن كيفية الصياغة – من أجل سرد قائمة من المفردات تقابلها قائمة من معانى هذه المفردات ، وقائمة المعانى هى الهدف الرئيس الذى يسعى إليه المعجميون ذلك أن قائمة المفردات موجودة بالفعل وعلى المعجمى أن يعمد إلى السياقات التى وردت فيها هذه المفردات للتوصل إلى معانيها المعجمية ، وفى نشأة المعجم العربى المتعلقة بالقرآن الكريم دلالة واضحة على أن الهدف**

---

[1] **انظر اللغة العربية معناها ومبناها 168 .**

[2] **دروس التصريف ( المقدمات وتصريف الأفعال ) لمحمد محيى الدين عبد الحميد / 8 .**

**الأسمى الذى يسعى إليه المعجميون هو الوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، ذلك أن النواة الأصلية للمعجم بدأت بسؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ، التى " جمعت فى كتاب باسم ( سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ) نشره الدكتور إبراهيم السامرائى ببغداد سنة 1968 م ، ونشرها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ملحقة بمعجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى بالقاهرة سنة 1950 ، وذكرها السيوطى فى النوع السادس والثلاثين من كتابه ( الإتقان فى علوم القرآن )" [1] ، قال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى :**

**" عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ" [2]**

قال ابن عباس : العزون : حلق الرفاق ، وقال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ،أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول [الوافر ]:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :

**" وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ " [3]**

---

[1] **المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران ، الطبعة الأولى 2005 مكتبة زهراء الشرق 5 .**

[2] **المعارج 37 .**

[3] **المائدة 35 .**

قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عنترة وهو يقول [ الكامل ]

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلى وتخضبى

وهكذا مضى نافع يسأل ، وابن عباس يفسر ، ويستشهد بأبيات من الشعر لتفسير ما يسأل عنه من المفردات التى وصل عددها إلى مائتين وخمسين مفردة من مفردات القرآن الكريم [1].

والمعجم بوصفه كتابا يضم ألفاظا مرتبة بوجه مخصوص فإن هدفه الأسمى هو إزالة إبهام هذه الألفاظ ، ولكن كيف يستقيم ذلك مع مادة [ ع .ج . م ] التى تدور حول الإبهام والغموض ؟ الحق أن علماء العربية ذهبوا فى ذلك كل مذهب فراح كل واحد منهم يسأل : كيف يكون المعجم معناه التبيين والإفهام لا الغموض والإبهام ليتناسب مع طابع المعجم الذى يشرح ويوضح معانى المفردات ؟ فنجد ابن جنى يقول " إنهم لما قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته ، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لاإثباته " [2] ويقول " إن قولهم ( أعجمت ) وزنه ( أفعلت ) ، ( وأفعلت)هذه وإن كانت فى غالب أمرها إ نما تأتى

---

[1] انظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط4 ، مصطفى البابى الحلبى مصر 1398 هـ 1 / 157 و 158 ، وانظر : المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران 6 .

[2] الخصائص 3 / 75 .

للإثبات والإيجاب نحو أكرمت زيدًا أى أوجبت له الكرامة 000 فقد تأتى (أفعلت ) أيضا يراد بها السلب والنفى ومنه قوله تعالى : " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا " [1] تأويله – والله أعلم – عند أهل النظر أكاد أظهرها 000 وكذلك أيضا يكون قولنا ( أعجمت الكتاب )أى أزلت عنه استعجامه " [2] ، ومما ذهب إليه المبرد أن المعجم مصدر بمنزلة الإعجام [3]، "فمعنى المعجم إذا هو الكتاب الذى أزيلت العجمة فيه ، وحروف المعجم كما حكى عن الخليل هى الحروف المقطعة لأنها أعجمية "[4] ، ويوضح ابن فارس هذا بقوله : " أى أنها مادامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم فهى أعجمية لا تدل على شىء " [5].

" وقال الليث : المعجم الحروف المقطعة سميت معجمًا لأنها أعجمية ، قال : وإذا قلت كتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه لكى تستبين عجمته وتتضح " [6]، وعندى أن رأيى ابن فارس والليث أولى بالأخذ فى الاعتبار ، ولا حاجة إلى افتعال تخريجات

---

[1] طه 15 .

[2] سر صناعة الإعراب 1 / 45

[3] انظر : سر صناعة الإعراب 1 / 42

[4] دراسات فى المعاجم العربية للدكتور أمين محمد فاخر ط 3 1997 ، ص 6 .

[5] مقاييس اللغة (ع . ج . م ) .

[6] لسان العرب (ع . ج.م ) .

تزيل إبهام العلاقة بين وظيفة المعجم ومسماه ، ذلك أن لفظة المعجم معناها الغموض والإبهام ، وعمل المعجم يعمد إلى كلمات مقطعة غير مؤلفة فى شكل كلام مفهوم ولا علاقة بينها ولا تدل على شىء ،ويمكن القول إن عمل المعجم يسير فى محورين متلازمين الأول أفقى والثانى رأسى ، أما المحور الأفقى فمحل دراسته المواد الأصلية والتتابع فيما بينها ، ولا علاقة بين هذه المواد الأصلية المتتابعة ، أما المحور الرأسى فمحل دراسته المادة الأصلية الواحدة وما ينبعث عنها من تصاريف وتكون العلاقة بين هذه التصاريف هى اشتراكها فى مادة أصلية واحدة ، أى

أن الحدث فيها ثابت والاختلاف يتمثل فى جهة الحدث ، فاسم الفاعل يدل على الحدث ومن وقع منه ، واسم المفعول يدل على الحدث ومن وقع عليه ، واسم المكان يدل على الحدث ومكانه ، واسم الزمان يدل على الحدث وزمانه ، ولا جهة للحدث فى المصدر فهو اسم الحدث مبرأ من الجهة والزمن .

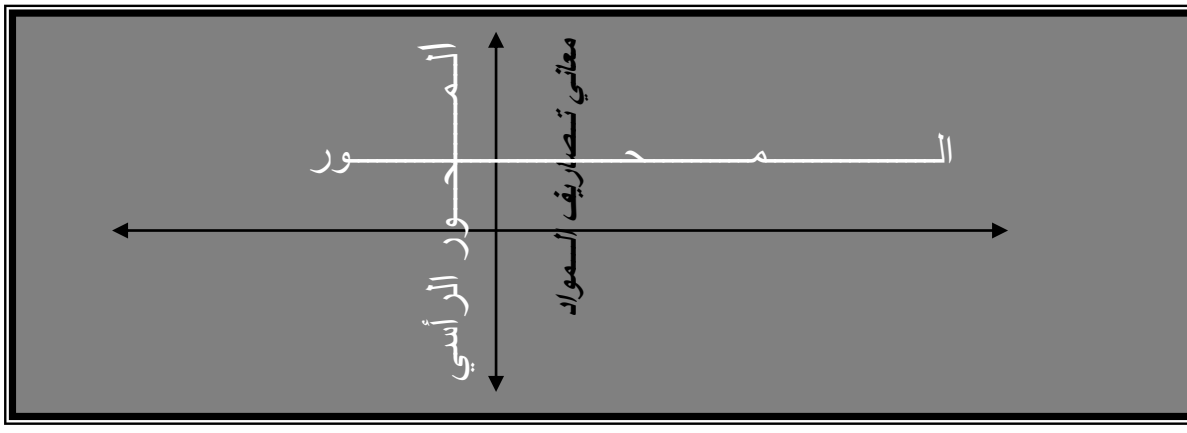

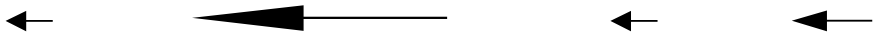

وللوصول إلى المعنى الشامل لأى جملة أو فقرة أو نص لابد من استخدام طرائق التحليل التى تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة وهى الصوتيات والصرف والنحو ، وهذه الثلاثة هدفها المعنى الوظيفى ، ثم المعجم وهو الخاص بالمعنى المعجمى ، وكل معنى نصل إليه بواسطة التحليل على أى مستوى مفرد هو معنى جزئى بالنسبة إلى المعنى الدلالى الأكبر ، والعلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية علاقة عرفية اعتباطية ، وحين تنفرد هذه العلاقة بالوجود فلا وظائف ولا مقام فإن فهم هذه العلاقة لا يؤدى إلا إلى فهم الكلمات المفردة على المستوى المعجمى فقط [1]، ذلك أن كلمات المعجم لا تؤلف فيما بينها ولا علاقة بينها على المستوى الأفقى .

وعلى مستوى الصرف فثمة معنى صرفى أو معنى للصيغ الصرفية يشبه إلى حد كبير المعنى المعجمى ، بيد أن هذا على مستوى المفردات وذاك على

---

[1] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 341 .

مستوى الصيغ ، أو على مستوى الأبواب الصرفية ، " فالمصدر يفيد المعنى من زاوية الحدث والميميات تفيد المعنى نفسه من زاوية مكانه أو زمانه أو آلته والصفات تفيد المعنى من زاوية دلالتها على موصوف بالحدث والأفعال تفيده من زاوية الاقتراب بين زمنه وحدثه "[1] ، أى أن المعنى الصرفى الوظيفى أعم وأشمل من المعنى المعجمى ، والمعنى الصرفى للصيغة الواحدة يمكن أن يندرج تحته عشرات المفردات بمعانيها المعجمية ، هذا العدد قابل للزيادة والنقصان بحسب الصيغة نفسها ، وقد جاء آنفا أن المعجم لا يمكن حصر مفرداته بينما يمكن حصر الصيغ الصرفية ،ومن الطبعى أن تتسع اللغة وتتطور مع مرور الزمن ومن ثم تتسع مفرداتها وتتغير تراكيبها وأساليبها مع التطور الفكرى والثقافى والاجتماعى الذى تشهده المجتمعات ، وأحد أشكال التطور هذه هو التطور اللغوى الذى يطرأ على مفردات بعينها فتتغير تبعًا لذلك مدلولاتها وبهذا تتسع حصيلة المفردات المعجمية وتتسع تبعًا لذلك معانيها المعجمية ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد محمد المعتوق " وعلى ضوء ذلك فإنه مهما كانت معرفة الإنسان باللغة ومهما كثر محفوظه من مفرداتها وتراكيبها فإن إحاطته بكل مفردات اللغة تكاد تكون أمرًا مستحيلا وأن الاحتفاظ بكل ما تلقن وحفظ من

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 140 .

هذه المفردات يبقى أمرًا صعبًا أيضًا ، بل إنه لا يكاد يحتفظ فى ذاكرته إلا بأقل القليل منها وفى حدود ما يستعمله ويستحضره فى ذهنه منها " [1]، فى حين تظل الصيغ الصرفية ثابتة سواء أقصد بالصيغة وزنها الصرفى أم ملخصها الشكلى لجمهرة أو لطائفة من العلامات ، وكل مفردة جديدة من مفردات اللغة يراعى أن تنبنى على شكل صيغة من صيغ العربية الموجودة بالفعل ، وللحكم على الكلمة أنها عربية يكون الضابط الرئيس فى ذلك هو انتماؤها لصيغة من صيغ العربية أو وزن من أوزانها ، ولكى يتم تعريب كلمة ما يجب أن تكون على وزن من أوزان العربية ، كل ذلك يدل على محدودية الصيغ والأوزان الصرفية فى مقابل لا محدودية المفردات والمعانى المعجمية .

وثمة نقطة يتفق فيها عمل الصرفى مع عمل المعجمى وذلك عندما يحاول كل منهما استخلاص المعنى من الصيغة أو المفردة ، فإنه يعمد إلى تحديد الحروف الزوائد ، وقد نسب الصرفيون لهذه الحروف معانى صرفية فالهمزة والنون مثلا تدلان على المطاوعة ، والألف تدل على المشاركة ، والهمزة والسين والتاء تدل على الطلب ، وبعيدًا عن الجدل الذى دار حول الصيغة وهل تستلهم معناها من هذه الحروف الزوائد أو من مجمل حروفها ؟ فإن للحروف

---

[1] الحصيلة اللغوية ، للدكتور أحمد محمد المعتوق ، عالم المعرفة 1996 ، ص 221 .

الزوائـد دورًا مهمـا يعـين الصـرفيين والمعجميـين لإفـادة المعـانى ، بيـد أن الصرفيين يبحثـون فـى كيفيـة الصـياغة ، والمعجميـين يبحثـون فـى المفـردات الموجودة بالفعل التى تنتمى إلى صيغ وأوزان صرفية ،ويبحث الاثنان عن إفادة المعنى ، فصيغة " استفعل " مثلا يدرسها الصرفى بوصفها صيغة فيحدد أحرف الزيادة فيها ثم يذكر معنى الصيغة من خلال هذه الأحرف فيقول إنها تدل على الطلب ، أما المعجمى فإنه يعرض لعدد غير محدود من المفردات التى تنتمى إلى هذه الصيغة على مستوى المعجم كله ، فلا تكاد تخلو مادة أصلية من شكل من أشكال هذه الصيغة فنجد استقدم واستكتب واستخرج واستعلم واستفسر وهكذا ، فالكلمة فى المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق بيد أنها دل على معانيها سياقات ، أما الصيغة فقد يحدد معناها من خلال الزوائد .

ومما يتفق فى عمله الصرفيون والمعجميون وله علاقة بالمعنى الضبط فنجد كليهما لا يستغنى عن ضبط الكلمات ، بل إن من الفريقين من لا يكتفى بالضبط بالعلامات ، ويضبطون الكلمات باللفظ كى لا يكون الضبط عرضة للتحريف والتغيير ، فالضبط يغير من معانى الصيغ الصرفية كما يغير فى معانى المفردات المعجمية فـ ( تفاعل ) بفتح العين واللام تختلف عن ( تفاعل ) بضم العين ، وعن (تفاعل) بفتح العين وسكون اللام ، و( حسن ) بفتح

الحاء والسين تختلف عن ( حسن ) بضم الحاء وسكون السين ، وعن ( حسن ) بفتح الحاء وضم السين .

وعن الدلالة فإن فكرة الحقول الدلالية أو الحقول المعجمية تشبه المعانى الصرفية وما يندرج تحتها من أوزان صرفية أو مفردات ، فالحقل الدلالى هو طائفة من الكلمات ترتبط فيما بينها بمعنى عام مشترك ، أو يجمعها لفظ مشترك أو قاسم مشترك ، كالحيوان والطيور أو الألوان ، أو أعضاء البدن أو الصغير من كل شىء فهذه كلها حقول دلالية بوب لها علماء العربية من أمثال ابن سيده فى المخصص وكراع النمل فى المنجد ، والثعالبى فى فقه اللغة ، وتعرف عندهم بمعاجم الموضوعات ، وعندما يتحدث فى الصرف عن المطاوعة مثلاً فإنها معنى صرفى هو بمثابة حقل دلالى يندرج تحته طائفة من الأوزان الصرفية ( كانفعل – وينفعل – وانفعل – وانفعال – ومنفعل ) وكل وزن يندرج تحته طائفة من المفردات المعجمية ، وعندما يتحدث عن الطلب أوالصيرورة يكون ذلك بمثابة حقل دلالى يندرج تحته طائفة أو مجموعة من الأوزان ( كاستفعل – ويستفعل – واستفعال – ومستفعل – ومستفعل ) وكل وزن يندرج تحته طائفة من المفردات المعجمية ، وبذلك يمكن القول إن المعانى الصرفية تمثل حقولا دلالية يندرج تحتها جمهرة من الصيغ الصرفية ، مع مراعاة أن

**الحقول المعجمية تعنى بالمفردات والحقول الصرفية تعنى بالصيغ لا بالمفردات ، هذا ولم تخل كتب الصرفيين من هذه الفكرة فقد تحدثوا عن الفعل اللازم بوزن ( فعل ) وأنه لا يجيء إلا فى أفعال الغرائز والطبائع وذكروا طائفة من الأفعال يجمعها هذا المعنى ، وكذا ما دل على الألوان بوزن( فعل )، وكل هذه حقول دلالية .**

**4)** تعدد المعنى للمبنى :

**المعانى التى تعبر عن المبانى تتسم بالتعدد والاحتمال فالمبنى الواحد صالح لأن يعبر عنه أكثر من معنى ، مادام غير مركب فى سياق محدد ، فإذا ركب المبنى فى سياق ما يتحقق له معنى واحد وذلك بفضل القرائن اللفظية والمعنوية والحالية [1] وهذا الكلام ينسحب على المعانى المعجمية والمعانى الصرفية ، فالمبنى الواحد تتعدد معانيه خارج السياق ، وهذا التعدد يكون فى الصرف على مستوى المعنى الوظيفى وفى المعجم على مستوى المعنى المعجمى ، أى أن التعدد فى المعانى**

**الوظيفية يماثله على مستوى المعجم تعدد فى المعانى المعجمية للمبنى الواحد وهو ما يدرس عند**

---

**[1] انظر : اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان 163 .**

علماء الدلالة تحت عنوان ( المشترك اللفظى ) فكلمة ( عين) مثلا تسبح خارج السياق فيما يمكن أن نسميه فضاءات اللاتركيب فتحمل مجموعة من المعانى وعند التركيب قد تدخل فى سياق بمعنى (عين الماء ) وفى سياق آخر بمعنى ( البصر ) وفى سياق ثالث (الجاسوس ) أى أنها تحمل كل هذه المعانى خارج السياق وفى السياق تحمل معنى واحدا تحدده القرائن ، " والصيغ أيضا صالحة لهذا التعدد والاحتمال ، ويكفى أن تنظر فى معنى صيغة مثل ( أفعل ) لتجد أن معناها يكون التعدية ومصادفة الشىء على صفة والسلب ، والإزالة ، وصيرورة الشىء ذا شىء والدخول فى شىء والاستحقاق والتعريف والتمكين " [1]، وعن المعانى الوظيفية فإن الاسم المرفوع مثلا يمثل مبنى صالحا لأن يكون فى السياق فاعلا أو نائب فاعل أو اسمًا لكان أو خبرًا لإن أو مبتدأ أو خبرا أو صفة أو بدلاً فكلمة ( صديقان )مثلا لا معنى لها خارج السياق على المستوى الوظيفى وفى السياق تكون بمعنى من المعانى الوظيفية السابقة ، وبذلك يكون تعدد المعنى للمبنى من نقاط الاتفاق بين الصرف والمعجم ، وهذا التعدد ذاته هو من نقاط الاختلاف بين هذين المعنيين والمعنى الدلالى الأكبر للسياق الذى لا يمكن أن يتعدد .

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 164 .

**المعاقبة (تعدد المبنى للموقع ) :**

**المعاقبة هى صلاحية عنصر لغوى أن يحل محل عنصر لغوى آخر ،وإذا حل محله أخذ حكمه ، والمقصود بها التبادل ، ومعناها تعدد المبنى للموقع ، فالمعاقبة تقليب لا تركيب [1]، وفى الصرف والمعجم معاقبة ، فالصرف تقليب للصيغ والمعجم تقليب لجراثيم معنى الحدث أو المواد الأصلية ومن ثم تقليب للمفردات ، حيث تتعدد المفردات ومعانيها المعجمية فى موقع المادة الواحدة ، وعن تقليب الصيغ فإن الصرفيين يعمدون إلى هذه الفكرة عند دراسة الصيغ وكيفية صياغتها ، فإذا تحدثوا عن الزيادة مثلا فإنهم يعددون الصيغ التى تشتمل على أحرف الزيادة فى موقع الحديث عن حروف الزيادة فالمعاقبة تتعدد فيها المبانى للموقع الواحد ، وهى علاقة رأسية ولا علاقة لها بالتركيب حيث إنه علاقة أفقية ، هذا ويمتنع معاقبة العنصر لأخيه إذا تغايرت طبيعة كل منهما أي أن فى المعاقبة مراعاة لصلة تجمع بين المتعاقبين وتجعل كلا منهما يعاقب الآخر ، فعندما نتحدث عن حروف الزيادة ونقلب الصيغ التى تشتمل على هذه الحروف تكون فكرة الزيادة هى الصلة بين تقليب هذه الصيغ فى**

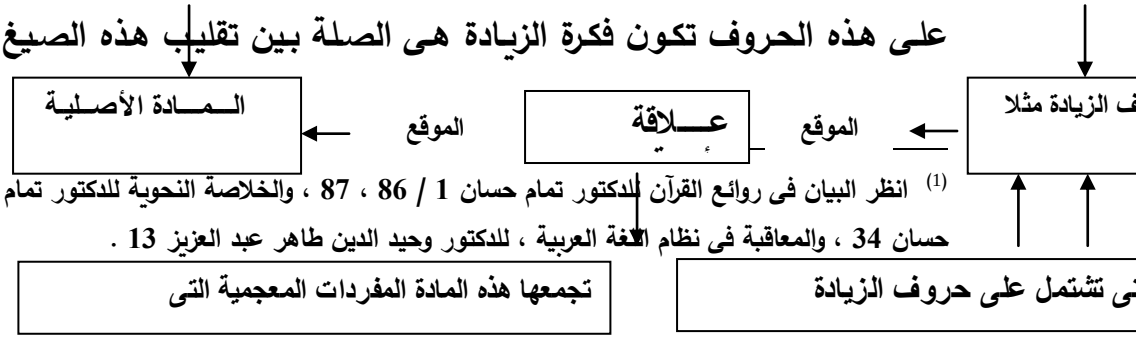


[1] انظر البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان 1 / 86 ، 87 ، والخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان 34 ، والمعاقبة فى نظام اللغة العربية ، للدكتور وحيد الدين طاهر عبد العزيز 13 .

**الموقع الواحد ، وعند تقليب المفردات المعجمية على المادة الأصلية فى موقعها تكون الصلة بين المفردات المتعاقبة فى الموقع هى انتماؤها لأصل واحد أو لصلة رحم تجمع بينها .**

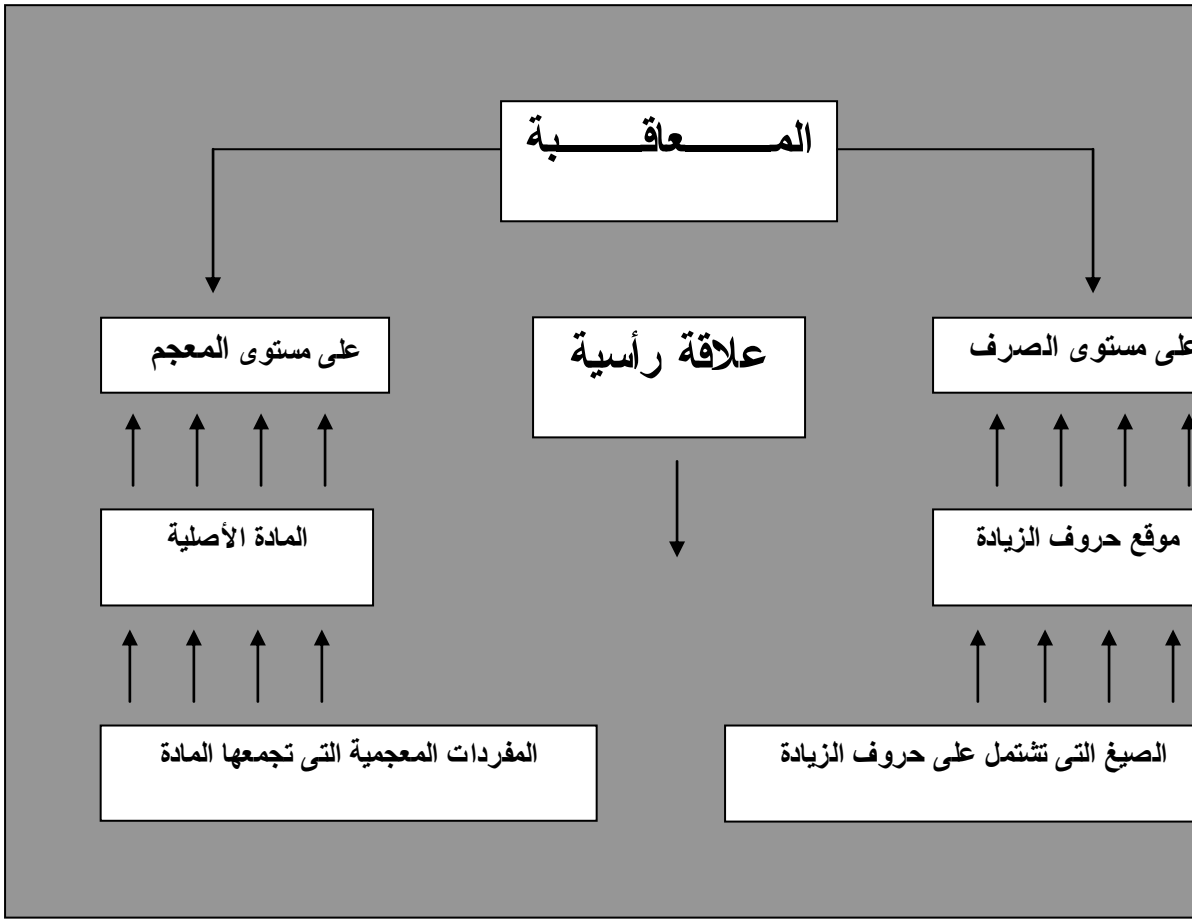
المـــــعاقـــــبة
على مستوى المعجم
علاقة رأسية
على مستوى الصرف
المادة الأصلية
موقع حروف الزيادة
المفردات المعجمية التى تجمعها المادة
الصيغ التى تشتمل على حروف الزيادة

ثانيا علاقات السلب :

# النظـام

**فكرة النظام من العلاقات السلبية بين الصرف والمعجم ، أو هى من أوجه الخلاف بينهما ، فاللغات منظمات كبيرة يعبر بها الأقوام عن أغراضهم ونشاطاتهم الاجتماعية ،وبها يسجلون موروثاتهم الأدبية ، وكل لغة من هذه اللغات نظام أو منظمة كبيرة تشتمل على عدد من الأنظمة ، واللغة العربية تشتمل على ثلاثة أنظمة هى النظام الصوتى ، والنظام الصرفى ، والنظام النحوى ، بالإضافة إلى قائمة المفردات التى تعد المخزون الأكبر لمفردات اللغة وهى المعجم ، فالمعجم ليس نظامًا ولا ينبغى له أن يكون نظامًا من أنظمة اللغة ،لافتقاده للضابطين الرئيسين للنظام وهما القواعد التى تبحث فى المعانى الوظيفية ، وشبكة العلاقات العضوية والقيم الخلافية ، فالمعجم ليس إلا قائمة من المفردات تقف بإزائها طائفة من معانى هذه المفردات ، وهذه القائمة ليست من القواعد ولا تربطها أى علاقة ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد محمد المعتوق " معلوم أن استشارة المعجم أو الرجوع إليه لمعرفة مفردات اللغة والاطلاع على معانيها فيه ليس كقراءة الكتاب العادى أو قراءة موضوع فى**

دورية ما ، إذ لا رابط موضوعيًا أو معنويًا يشد القارئ لمادة المعجم ويستحثه على متابعة فقراته ومواصلة قراءته " [1]، وعلى الرغم من أن المعجم ليس نظامًا من أنظمة اللغة إلا أنه يعتمد فى تحليل مفرداته اعتمادًا كليًا على فكرة النظام ، فلم يعرف المعجميون المعانى المعجمية للمفردات إلا من خلال سياقاتها التى وردت فيها ، ولتحليل هذه السياقات يعتمدون على فهم العلاقات العضوية التى تربط بين مفردات كل سياق ، أى أن المعجميين ينطلقون بمعاونة فكرة النظام إلى تحليل السياقات للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات التى لا تسمى نظامًا أى أنهم ينطلقون من سياقات صغيرة تنبنى على فكرة النظام للوصول إلى قائمة كبرى يمكن أن نسميها اللانظام .

والحق أننا عندما نتحدث عن فكرة النظام يتبادر إلى أذهاننا على الفور النظام النحوى ، وذلك لما يتضمنه هذا النظام من قواعد وعلاقات عضوية بشكل أوضح من النظامين الصوتى والصرفى ، ولاعتماد النحو على كل من الصرف والأصوات لفهم العلاقات العضوية التى تربط بين المفردات المعجمية ، وقد أفاض علماء العربية فى الحديث عن فكرة النظام بدءًا من عبد القاهر

---

[1] الحصيلة اللغوية ، للدكتور أحمد محمد المعتوق 229 .

**الجرجانى الذى تحدث عن هذه الفكرة تحت عنوان النظم ، يقول الجرجانى " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا**

**من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب "[1] ، وانتهاءً بالأستاذ الدكتور تمام حسان الذى أفرد كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " للحديث عن نظام اللغة العربية وما يشتمل عليه من أنظمة ، وقد أفاض الدكتور عبد العزيز حمودة فى الحديث عن فكرة النظام فى كتاب " المرايا المقعرة "[2] مقربا وجهات النظر بين علماء العربية وعلماء الغرب فى ذلك مثبتا السبق للعرب فى الحديث عن النظام ، إلا أنه لم يتحدث أحد عن النظامين الصوتى والصرفى – فيما أعلم– على نحو ما فعل الأستاذ الدكتور تمام حسان فى كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " يقول متحدثا عن النظام الصرفى وأما النظام الصرفى للغة فهو مكون من ثلاث دعائم[3]:**

---

[1] أسرار البلاغة فى علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجانى ، صححها وعلق عليها محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة مكتبة محمد على صبيح بالقاهرة 1959 ص 2 .

[2] انظر المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة عالم المعرفة 2001 ص 218 .

[3] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 35 و 82 .

1. مجموعة من المعانى الصرفية أو الوظيفية كالاسمية والفعلية والحرفية ، والإفراد والتكلم والتذكير والتأنيث والطلب والصيرورة والمطاوعة والتعدية والتأكيد .
2. طائفة من المبانى تتمثل فى الصيغ الصرفية واللواصق والزوائد والأدوات التى تحدد معانى هذه المبانى بوجودها أو بعدمها أو بالإيجاب والسلب .
3. طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وأخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى وبين المبنى والمبنى كالعلاقة بين (ضرب) و ( شهم ) يمكن أن تكون إيجابية من حيث تشابههما فى صيغة ( فعل) ، ويمكن أن تكون سلبية تتمثل فى المقابلة أو القيمة الخلافية بينهما من جهة المعنى الوظيفى ف ( ضرب ) مصدر و ( شهم ) صفة مشبهة باسم الفاعل ، وهذه المقابلات – كما يقول الأستاذ الدكتور تمام حسان – هى عصب النظام الصرفى .

فالنظام الصرفى إذًا يتكون من مجموعة من المعانى الصرفية الوظيفية وطائفة من المبانى وطائفة من العلاقات أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى ، أما المعجم فيتكون من قائمة من المفردات ومعانيها

المعجمية ولا تربط أى علاقة بين مفردات هذه القائمة ، ولا يوجد بينها أى نوع من المقابلات ، يقول الدكتور تمام حسان " أما من حيث العلاقات العضوية فليس بين كلمات المعجم أى علاقة عضوية وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية معينة هى اشتراكها فى أصول المادة ولكن هذه العلاقة الاشتقاقية تختلف عما نقصده من العلاقة العضوية لأن العلاقة العضوية لأى وحدة من وحدات النظام تدخلها فى علاقة خلافية مع بقية الوحدات جميعًا أيا كان موضعها من النظام " [1]، وإذا عمدنا إلى كلمتى ( ضرب ) و ( شهم ) اللتين بين الأستاذ الدكتور تمام حسان العلاقة العضوية بينهما يمكن أن نفهم عمل كل من الصرفى والمعجمى فيهما ، أود أن أشير أولاً إلى أن المعجمى لا يهمه اجتماع الكلمتين معًا لأنه يتحدث عن مفردات لا عن مقابلات أما الصرفى فإنه يتحدث عن مقابلات أو علاقات ( طبيعة النظام ) ، وبذلك يهمه الكلمتان والعلاقات والمقابلات بينهما ، فالمعجمى عندما يتناول هاتين الكلمتين يتناول كل مفردة منهما على حدة فيحدد المادة الأصلية لكل مفردة ثم يتحدث عما يشتق من هذه المادة الأصلية من مفردات ، ثم يبين معانى هذه المفردات من خلال مجموعة من السياقات التى تستنبط منها هذه

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها 312 و 313 .

المعانى ، أما الصرفى فيحدد المادة الأصلية لا ليحدد المشتقات المنبثقة عنها ومعانيها المعجمية وإنما ليحدد ما إذا كانت الكلمة مجردة أو مزيدة ، وإذا كانت مزيدة ما دلالة أحرف الزيادة ؟ ومن ثم يحدد المعنى الصرفى الوظيفى للكلمة وإذا كانت مجردة ما وزنها ؟ وما نوعها؟ وإذا طبقنا ذلك على الكلمتين السابقتين يحدد الصرفى أن الكلمتين مجردتان ووزنهما ( فعل ) بيد أن ( ضرب ) مصدر و ( شهم ) صفة مشبهة باسم الفاعل ، والمقابلة بين المعنيين الوظيفيين للكلمتين تدل على خضوع الصرف لفكرة النظام ، هذا ومن عمل المعجمى أن يحدد للقارئ المبنى الصرفى للكلمة من حيث كونها اسمًا أو فعلاً أو ما شابه ذلك ، وهذا يعين فى فهم المعنى المعجمى ، أى أن المعجمى يقوم ببعض عمل الصرفى من وزن الكلمات صرفيا وتحديد مبناها أو نوعها من المشتقات أو بذكر أحرف الزيادة فيها ، بل إن المعجمى قد يجرى بعض المقابلات بين المفردات وكل ذلك لا يخضع المعجم لفكرة النظام ، لعدم وجود مقابلات بين الكلمات تدخل فيها كل كلمة فى علاقات خلافية مع بقية الكلمات .

# القاعدة :

**تبحث القاعدة فى المعاني الوظيفية ، وذلك من أجل سبر أغوار البنية المفردة على المستوى الصرفى ، ومن أجل سبر أغوار التركيب على المستوى النحوى ، ومن المعانى الوظيفية على مستوى الصرف التذكير والتأنيث والطلب والصيرورة والتعدية وغيرها، ومن المعانى الوظيفية على مستوى النحو الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها والذى يعنى بهذه المعانى الوظيفية هو القاعدة ، وليس المعجم مجموعة من القواعد ، بل هو قائمة من المفردات هدفها النظر فى العلاقة بين المفردات وما تدل عليه من المعانى المعجمية أو بين الكلمة [ الدال ] وما تدل عليه [ المدلول ] ، وعلى الرغم من أن المعجم ليس كتابًا فى القواعد إلا أنه لا يخلو معجم من المعاجم من القواعد النحوية والصرفية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس " المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هى توضيح تلك الدلالة الاجتماعية غير أنها قد تعرض لبحث مسائل من النحو والصرف 000 ولكن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفًا أساسيًّا وتكاد توجه إليه كل عنايتها " [1]، ولما كان المعجم خاليًا من القواعد**

---

[1] **دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الأولى 1962 ، ص 46 و 47 .**

وكـان الصـرف نظامًـا ذا قواعـد خاضـعًا للعلاقـات العضـوية والقـيم الخلافيـة ، أصـبح مـن الممكـن أن نعـد " القاعـدة " علاقـة سـلبية بـين الصـرف والمعجـم ، فـالمعجم يقـدم طريقـة نطـق ، والصـرف يحفـل بالقواعـد ، وعنـدما يقـال " اسـم الفاعل يصاغ من الثلاثى على وزن فاعل " فهذه قاعدة صرفية أو واحدة من عشرات القواعد التى يحفل بها الصرف ، تبين هذه القاعدة الهدف من دراسة الصرف وهى البحث فى كيفية الصياغة من أجل إفادة المعانى الوظيفية وليس المعاني المعجمية ، كالبحث فى كيفية صياغة اسم المفعول والصفة المشبهة ، واسمى المرة والهيئة ، والزمان والمكان ، وكل ذلك تبحث فيه القواعد ، وقد نجد مثل هذه القواعد بين صفحات المعجم لكن المعجم لا يبحث فى كيفية الصياغة من أجل الوصول إلى المعاني الوظيفية أو وظائف الصيغ بل يبحث في المفردات من أجل الوصول إلى معانيها المعجمية ، يقول الدكتور تمام حسان " دراسة العلاقة بين الصيغة والصيغة هي علم الصرف ، ودراسة العلاقة

---

وانظر المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة الحديثة للطباعة والنشر 1966 ، ص 20 .

بين الباب والباب هى علم النحو ، ودراسة العلاقة بين معنى الكلمة والكلمة هو من صميم علم المعجم [1] .

وينبغى أن نفرق بين نوعين من القواعد الأول ناشئ عن اتخاذ اللغة مادة للملاحظة ثم الاستقراء والوصف جاعلا نواحى الشركة فيما وقع عليه الاستقراء قواعد وهذا النوع من القواعد يعنى بتخريجه الوصفيون ، والثانى تكون فيه القواعد معايير يجب اتباعها ، والقاعدة على المستوى الصرفى تفهم باعتبارها تعبيرات عن الوظائف اللغوية التى تؤديها الوحدات اللغوية التى وقع عليها الاستقراء ، والمعاجم دراسة للغة لا معايير للاستعمال فهى من عمل الباحث وتتجه إلى وصف عمل المجتمع [2] والفرق بين القاعدة عند الوصفيين والمعياريين يبدو واضحًا عندما يتكلم أحد الأفراد اللغة بالسليقة فينحرف عن " القاعدة " فيرفع ما قررت القاعدة أنه منصوب مثلا ، فالوصفى سيلاحظ هذه الحالة ويعرضها على معلوماته فإذا كانت مطابقة دخلت فى نطاقها وإذا كانت غير مطابقة لا يتهم النص بأنه خارج عن طرائق التركيب وإنما يرويه باعتباره

---

[1] اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان الطبعة الرابعة عالم الكتب 2000 ، ص 150 .

[2] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 27 : 30 .

ظاهرة فرعية إلى جانب هذه القاعدة وأما إذا كان معياريا فإنه سيحكم على النص بالخروج أو عدم مطابقة طرائق التركيب المعيارية المعروفة لديه [1] .

وقد وضح الدكتور تمام حسان مفهوم القاعدة فى كتابه " اللغة بين المعيارية والوصفية " على النحو الآتى [2] :

1. القاعدة وصف لسلوك عملى معين فى تركيب اللغة ، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطردا حتى يعبر عنه بالقاعدة .
2. القاعدة جزء من المنهج لا جزء من اللغة .
3. القاعدة تتصف بالعموم ، وليس من الضرورى أن تتصف بالشمول ، أى أن تكون عامة وليست كلية ، فتنطبق على جمهرة مفرداتها وليس من المحتم أن تنطبق على كل المفردات .
4. القاعدة تكون مختصرة لئلا تفقد فائدتها العلمية .
5. إيراد بعض الشواهد التى وقع عليها الاستقراء لتكون سندًا للقاعدة .

وإذا عدنا إلى القاعدة الصرفية التى سقتها منذ قليل وهى " اسم الفاعل يصاغ من الثلاثى على وزن فاعل " نجد أنها وصف لسلوك عملى مطرد ،

---

[1] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 158 .

[2] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 158 .

وأنها جزء من المنهج ، وتتصف بالعموم وهى مختصرة إلى حد مقبول ولا يذكر أى صرفى هذه القاعدة إلا ويذيلها بإيراد بعض الشواهد التى تفيد القاعدة وتشرحها عمليًا ، أما المعجم فيقدم طريقة نطق ، ولا علاقة بين المعجم والقاعدة ، فلا يدرس المعجمى العلاقة بين الدوال والمدلولات باعتبار هذه المعايير التى تنضبط من خلالها القاعدة .

نخلص من ذلك إلى أن القاعدة هدفها المعانى الوظيفية ومن ثم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأنظمة اللغة الثلاثة التى تعنى بهذه المعانى الوظيفية وهى النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى ،أما المعجم فهو ليس نظامًا ولا يعنى بالمعانى الوظيفية وهدفه العلاقة بين الكلمة ومعناها ، ومن ثم لا يعنى المعجم بالقواعد ويركز كل اهتمامه على العلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية .

## 2) المنهج ( طريقة العمل):

يختلف عمل الصرفى فى البحث فى كيفية الصياغة لإفادة المعانى الوظيفية عن عمل المعجمى فى البحث عن علاقة الدوال بالمدلولات لإفادة المعانى المعجمية ، فلو كان العمل واحدًا لكانت النتيجة واحدة ، والأمر ليس كذلك فالنتيجة المتوخاة من الصرف تختلف تمامًا عن نتيجة العمل المعجمى ،

بذلك تكون العلاقة بين خطة عمل الصرف وخطة عمل المعجم علاقة سلبية ولا ينبغى لها أن تكون إيجابية مطلقًا لاختلاف الهدف الذى يسعى إليه كلا الدرسين .

وقد اصطلح الدكتور تمام حسان كلمة ( وسائل ) للتعبير عما قصدته من طريقة العمل وجعل تحديد المعنى الوظيفى ينبنى على وسائل سلبية وهى القيم الخلافية ، وتحديد المعنى المعجمى ينبنى على وسيلة إيجابية تقوم بعد تعيين الهجاء والنطق على تحديد البنية تحديدًا صرفيًا ثم شرحها من بعد ذلك من وجهتى نظر التاريخ والاستعمال مع الدخول إليها من مداخل مختلفة والاستشهاد على كل مدخل ، فالذى يتوافر على دراسة الكلمة فرع خاص من فروع الدراسات اللغوية هو المعجم [1]، ويعنى الصرفيون بالميزان الصرفى وتحديد الأصول والزوائد والمشتق والجامد ثم تحديد شكل الصيغة وحصر أماكن الإلحاق والزيادة فيها وما يلحق بالصيغ من إعلال وإبدال [2]، أى أن طريقتى العمل تلتقيان عند تحديد البنية الصرفية ، ويمكن توضيح ذلك من خلال الرسم الآتى :

---

[1] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية 120 – 121 .

[2] انظر اللغة العربية معناها ومبناها 15 .

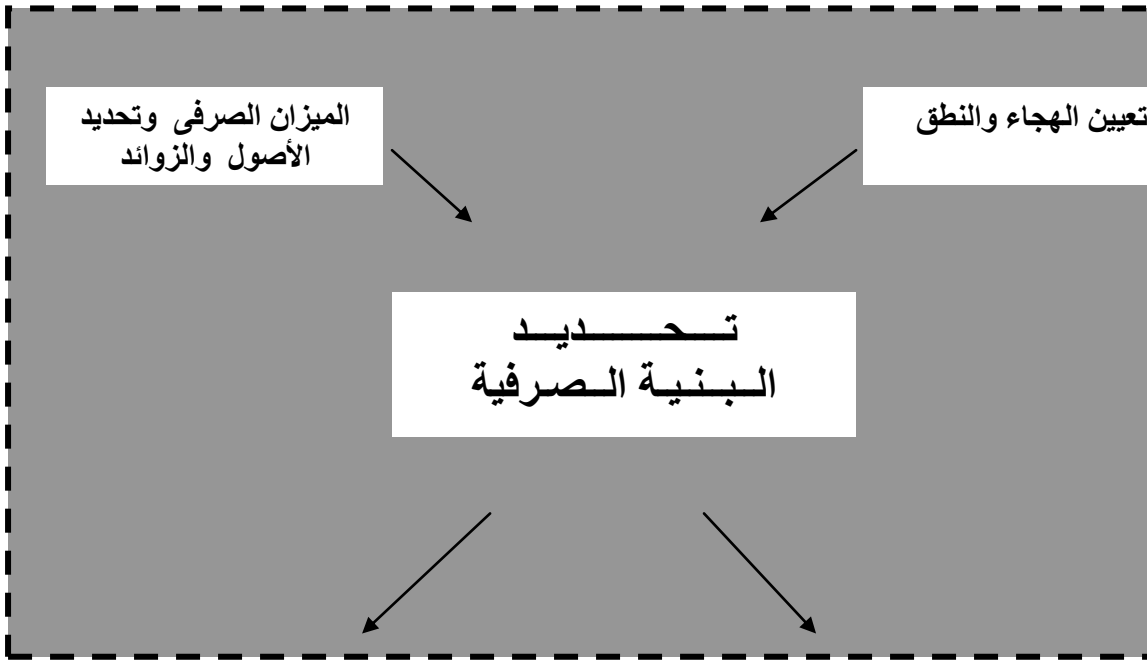
الميزان الصرفى وتحديد
الأصول والزوائد
تعيين الهجاء والنطق
تحديد
البنية الصرفية
شرح المعنى الصرفى للصيغة
( المعنى الوظيفى )
شرح المعنى المعجمى للصيغة
(التاريخ والاستعمال )

# الخلاصة :

وبعد ، يمكن القول إن عمل الصرفى يتداخل مع عمل المعجمى ، وعمل المعجمى يتداخل مع عمل الصرفى فى بعض المواطن ، ولابد أن يكون المعجمى ملما بطرائق التصريف ، والصرفى ملما بطرائق اشتقاق المفردات من موادها الأصلية ومعرفة معانيها المعجمية ، والقارئ قد يقرأ بين طيات المعجم بعض الفقرات فيحس أنه يقرأ كتابًا فى الصرف ، ويقرأ بين ثنايا الصرف فقرات يحس من خلالها أنه يقرأ فى المعجم ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على وثيق الصلة بين الصرف والمعجم ، ويكفى أن كليهما يبحث فى المفردة لسبر أغوار معناها سواء أكان هذا المعنى وظيفيا أم معجميًا .

## ويمكن سرد ما يخلص إليه البحث فى النقاط الآتية :

1. العلاقات بين الصرف والمعجم نوعان :

الأول : هو علاقات الإيجاب [ المناسبة – الاشتقاق – المعنى – تعدد المعنى للمبنى – المعاقبة ]

الثانى : هو علاقات السلب [فكرة النظام – القاعدة – منهج العمل ]

2. المناسبة ثلاثة أنواع : صرفية ومعجمية وصرفية معجمية أما الصرفية فهى داخل البنية بين الحركات والحروف أو بين الحروف والحروف ، وأما المعجمية فهى بين دلالات المفردات ، وأما الصرفية المعجمية فهى بين المبانى ودلالاتها المعجمية .
3. الصرف معجم للصيغ والمعجم تصريف للمفردات .
4. يبحث الصرفيون فى كيفية الصياغة بينما يبحث المعجميون فى الصياغات الموجودة بالفعل ، ويبحث الاثنان عن إفادة المعنى الصرفى أو المعجمى .
5. فى الصرف والمعجم معاقبة ، فالصرف تقليب للصيغ والمعجم تقليب للمواد الأصلية ينبنى عليه تقليب للمفردات .
6. إذا كان الصرف نظامًا من أنظمة اللغة فإن المعجم ليس نظامًا لافتقاده لضابطى النظام وهما القواعد التى تبحث فى المعانى الوظيفية وشبكة العلاقات العضوية والقيم الخلافية ، وعلى الرغم من لا نظامية المعجم إلا أن المعجميين ينطلقون بمعاونة فكرة النظام إلى تحليل السياقات للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات التى تسمى نظامًا أى أنهم ينطلقون من سياقات صغيرة

تنبنى على فكرة النظام للوصول إلى قائمة كبرى يمكن أن نسميها اللانظام .

7. تعنى القاعدة بالمعانى الوظيفية ومن ثم ترتبط بفكرة النظام ، والنظام الصرفى حافل بالقواعد أما المعجم فهو ليس نظامًا ولا يعنى بالمعانى الوظيفية وهدفه العلاقة بين الكلمة ومعناها حيث يقدم طريقة نطق ، ومن ثم لا يعنى بالقواعد ويركز كل اهتمامه على العلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية .
8. العلاقة بين خطة عمل الصرفيين وخطة عمل المعجميين علاقة سلبية ولا ينبغى لها أن تكون إيجابية مطلقًا لاختلاف الهدف الذى يسعى إليه كلا الدرسين ، ولو كان الهدف واحدًا لاندمج الدرسان فى علم واحد .

# المراجــع


1. **الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى , ط4 مصطفى البابى الحلبى , مصر 1398 هـ .**
2. **أسرار البلاغة فى علم البيان ،للإمام عبد القاهر الجرجانى , صححها وعلق عليها محمد رشيد رضا , ط6 محمد على صبيح بالقاهرة 1959 .**
3. **البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان , عالم الكتب (لمكتبة الأسرة)2002 .**
4. **تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب 1991 .**
5. **الحصيلة اللغوية للدكتور أحمد محمد المعتوق , عالم المعرفة 1996 .**
6. **الخصائص لابن جنى بتحقيق عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية .**

7. الخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان , ط1 عالم الكتب 2000 .

8. دراسات فى المعاجم العربية للدكتور أمين محمد فاخر ط3 / 1997 .

9. دروس التصريف ( فى المقدمات وتصريف الأفعال ) لمحمد محيى الدين عبد الحميد , دار الطلائع 2005 .

10. دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ط1 / 1962 .

11. سر صناعة الإعراب لابن جنى بتحقيق أحمد فريد أحمد , المكتبة التوفيقية .

12. اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان ط4 عالم الكتب 2000 .

13. اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان , عالم الكتب ط 3 / 1418 – 1998.

14. المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة , عالم المعرفة 2001 .

15. المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، للدكتور محمد أحمد "أبو الفرج" , دار النهضة الحديثة للطباعة والنشر 1966 .

16. المعاقبة فى نظام اللغة العربية للدكتور وحيد الدين طاهر عبد العزيز ,دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2006 .

17. المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران ط1 , مكتبة زهراء الشرق 2005.

الفصل الثالث

# الغلبة والتغليب فى البنية والتركيب

**توطئة:**

فى اللغة العربية جمهرة من المصطلحات والمعانى الوظيفية، ومن هذه المصطلحات والمعانى الوظيفية مصطلحا الغلبة والتغليب من الجذر اللغوى [غ. ل. ب]، وقد أكثر المعجميون العرب من الحديث عن مشتقات هذا الجذر اللغوى، لاسيما الغلبة والمغلب من هذه المشتقات، إلا أن حديثهم عن التغليب لم يكن فى مستوى الحديث عن الغلبة والمغلب، ولو من حيث الكم، فلم يذكر الخليل لفظة التغليب فى معجم العين فى حين ذكر الغلبة والمغلب، وذلك فى معرض حديثه عن مادة [غ. ل. ب]، وكذا الزبيدى فى تاج العروس، والفيروزآبادى فى القاموس المحيط، والفيومى فى مصباحه، فى حين اكتفى ابن منظور فى لسان العرب بقوله "وغلبته أنا عليه تغليبا" [1]، وقد يكون من الأجدى أن أسوق أحاديث هؤلاء عن الغلبة والتغليب بغية الوصول إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، وإلى الفرق الدقيق بينهما، جاء فى العين: "غلب يغلب غلبا وغلبة، والغلاب النزاع، والمغلب الذى يغلبه أقرانه فيما يمارس، والمغلب قد يكون المفضل على غيره، والأغلب الغليظ الشديد القصرة، وأسد أغلب، وقد غلب غلبا يكون من داء أيضا، وهضبة غلباء، وعزة غلباء، وتغلب كانت تسمى الغلباء" [2]، وفى لسان العرب: "غلبه يغلبه غَلْبا وغَلَبا، وهى أفصح، وغلبة ومغلبا ومغلبة ... والمغلب المغلوب ... والمغلب الذى يغلب كثيرا ... وغُلِّب الرجل فهو غالب : غلب وهو من الأضداد، وغَلَب على صاحبه حُكم له عليه بالغلبة" [3]، وفيه أيضا: "تغلب على بلد كذا: استولى عليه قهرا، وغلبته أنا عليه تغليبا، محمد بن سلام: إذا قالت العرب: شاعر مُغَلَّب فهو مغلوب، وإذا قالوا: غُلّب فلان فهو غالب، ويقال غلبت ليلى الأخيلية على نابغة بنى جعدة لأنها غلبته، وكان الجعدى مغلبا"[4]، وفى

---

[1] لسان العرب [غ. ل. ب] 1003/2.

[2] كتاب العين مرتبا على حروف المعجم [غ. ل. ب] 286/3.

[3] لسان العرب [غ. ل. ب] 1003/2.

[4] لسان العرب [غ. ل. ب] 1003/2.

القاموس المحيط: "والمغلب المغلوب مرارا، والمحكوم له بالغلبة، ضد" [1]، وفى المصباح المنير: "غلبه غلبا من باب ضرب، والاسم الغلب بفتحتين، والغلبة أيضا"[2]، وفى تاج العروس: "والمغلب كمعظم المغلوب مرارا، والمغلب من الشعراء المحكوم له بالغلبة على قرنه كأنه غلب عليه ... المغلب الذى يغلب كثيرا، وشاعر مغلب أى كثيرا ما يغلب، وهو ضد" [3]، أما من الناحية الوظيفية فقد سار سيبويه على درب أستاذه الخليل فلم يذكر لفظة التغليب فى كتابه، واكتفى بكلمات مثل (غلب) حيث عقد بابا قال عنه: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة" [4]، وقال فى موضع آخر فى معرض حديثه عن قلب الواو ياء متى اجتمعتا وسبقت أولاهما بالسكون – قال: "وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف" [5]، وقد ذكر سيبويه (غلب) و(يغلب) فى موضعين قاصدا بهما التغليب، ففى الجزء الثانى فى معرض حديثه عن العلم بالغلبة قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر"[6]، وقال فى الموضع الثانى "وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث" [7]، وقد أصبح هذا الموضع الأخير فيما بعد أوضح صورة من صور التغليب فى اللغة العربية، وربما يكون الخليل وتلميذه قد تأثرا بآى الكتاب العزيز، حيث لم تُذكر لفظة التغليب فى القرآن الكريم، فى حين ذكرت اشتقاقات كثيرة لهذا الجذر اللغوى مثل (غلبت) و(غلبوا) و(أغلبن) و(يغلبون) و(غالب) و(مغلوب) و(غُلْبا)، ولم تذكر لفظة الغَلَبة إلا فى موضع واحد فى القرآن الكريم فى قول ربنا فى أول سورة الروم: "آلم

---

[1] القاموس المحيط [غ. ل. ب] 111/1.

[2] المصباح المنير [غ. ل. ب] 450.

[3] تاج العروس [غ. ل. ب] 414/1.

[4] الكتاب 81/2.

[5] الكتاب 365/4.

[6] الكتاب 100/2-101.

[7] الكتاب 561/3.

غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [1]، مجردة من التاء، وهو الأفصح كما مر فى لسان العرب، هذا وقد خلت مؤلفات اللغويين فيما بعد من الحديث عن التغليب إلا من بعض المحاولات على يد السيوطى فى كتابيه (الأشباه والنظائر) و(المزهر فى علوم اللغة)، اللذين وسع فيهما دائرة الحديث عن التغليب، ففى كتابه الأشباه والنظائر فى معرض حديثه عن مسائل متفرقة ذكر "اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة" [2]، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل على حد قوله، وقال فى موضع آخر من نفس الكتاب: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية، وفى الجمع، وفى عود الضمير، وفى الوصف، وفى العدد " [3]، وقد عقد بابا فى كتاب المزهر فى (ذكر المثنى على التغليب) عزا فيه إلى ابن السكيت قوله: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جُؤَية [4]، وآخر فى ذكر المجموع على التغليب قال فيه: "وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى والمكنى بابا لذلك" [5]، أما التهانوى فقد عقد بابا للتغليب قال فيه: "التغليب باللام عند أهل المعانى إعطاء الشىء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر إجراء للمختلفين مجرى المتفقين" [6]، ولم يكتف بتعريف التغليب بالحد وإنما عرج على تعريف التغليب بالرسم، فذكر أمثلة للتغليب، كتغليب المذكر على المؤنث، والعاقل على غير العاقل والعكس، وتغليب المشرق على المغرب بلفظ المشرقين، وعد إبليس من الملائكة بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم، واستشهد على ذلك كله بآيات من الكتاب العزيز، وعد التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما

---

[1] الروم 1-3.

[2] الأشباه والنظائر 113/1.

[3] الأشباه والنظائر 114/1.

[4] انظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها 185/2.

[5] المزهر 204/2.

[6] كتاب كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3.

وضع له [1]، فكانت محاولته رائعة، ومؤخرا عرف مجمع اللغة العربية فى معجمه الوسيط التغليب بالقول: "التغليب فى اللغة : إيثار أحد اللفظين على الآخر فى الأحكام العربية إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط، كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر" [2]، وباستقراء التعريفين السابقين للتغليب نجد أن تعريف مجمع اللغة العربية لهذا المصطلح أكثر دقة وإحكاما من تعريف التهانوى، وأن تعريف التهانوى الأول الذى عزاه إلى أهل المعانى أكثر إحكاما من لاحقه للأسباب الآتية:

– ذكر التهانوى فى تعريفه الثانى لفظة (قيل) ولم يذكر القائل أو لم يعزُ هذا الكلام إلى قائل معين أو إلى أهل علم بعينه، وهذايفقد أى تعريف قيمته ومصداقيته.

– ذكر التهانوى كلمة ترجيح فى تعريف التغليب، ولو قال (تغليب) أحد المغلبين لكان أولى وأنسب لفكرة نصرة عنصر على آخر وأن الغالب يعم الاثنين معا، فالتغليب أقرب إلى العموم.

– ذكر التهانوى لفظة (المغلوبين) حين قال (ترجيح أحد المغلوبين)، ولا يمكن أن يكون العنصران مغلوبين، ولفظة (مغلوب) ليست من ألفاظ الأضداد ولو قال ترجيح أحد المغلبين لكان أصوب؛ لأن لفظة (مغلب) تطلق على الغالب والمغلوب وهى من ألفاظ الأضداد، وذلك واضح من كلام المعجميين السابق.

– فى قول التهانوى (إجراء للمختلفين مجرى المتفقين) إيحاء بأن التغليب يكون بين الشيئين المتضادين فقط، والأمر بخلاف ذلك، فقد يكون التغليب بين الشيئين المتضادين أو لا، وإن كان غالبا بين المتضادين، وقول مجمع اللغة العربية (إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط) أدق وأصوب، ودليل ذلك ما عزاه السيوطى إلى ابن السكيت من إطلاق العَمْرين على اثنين من الناس فى اسميهما (عمرو)، والعُمَرين كما جاء فى تعريف مجمع اللغة العربية على أبى بكر وعمر.

---

[1] انظر: كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3 و 1090.

[2] المعجم الوسيط [ غ. ل. ب ] 658.

وباستقراء كل ما تقدم يمكن حد التغليب بأن يجتمع عنصران لغويان ويغلب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم – ويمكن حد الغلبة بالتعريف نفسه مع إبدال (يَغْلِبُ أحدهما الآخر) بـ(يُغَلَّبُ أحدُهما على الآخر)، ويمكن التفريق بين الغلبة والتغليب على النحو الآتى:

– الغلبة من (غَلَب)، والتغليب من (غَلَّب)، وكأنه فى الغلبة يغلب العنصر أخاه بنفسه أو بسبب من داخل السياق، وفى التغليب يغلب الناس عنصرا على آخر، كتغليب المذكر على المؤنث والعاقل على غير العاقل أو العكس، وتغليب الأب على الأم بإطلاق لفظ الأبوين عليهما، للخفة أو للشهرة كما جاء فى المزهر منسوبا إلى ابن السكيت، فلشهرة المشرق غلب على المغرب فأطلق عليهما المشرقان، أو لكثرة أحد المغلبين أو لشرف الآخر وهكذا، ولذا كان ابن منظور مبدعا عندما قال: (وغلبته أنا عليه تغليبا).

– تضعيف عين الفعل – كما هو معلوم – يدل على تكرار حدوث الفعل وهذا يتحقق فى التغليب لا فى الغلبة، أى أن التغليب تكرار لمجىء لفظ يعم نفسه وغيره كما يعم المذكر المؤنث فى كثير من آى الكتاب العزيز.

– الغلبة من ألفاظ الأضداد بمعنى الفوز والهزيمة كالمغلب بمعنى الغالب والمغلوب، ومنه قوله تعالى "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [1] أى من بعد كونهم مغلوبين مهزومين، والتغليب ليس كذلك.

– التغليب يكون بين شيئين بينهما علقة أو اختلاط، والغلبة لا يشترط لها ذلك.

وقد تستخدم الغلبة بمعنى التغليب كما فى قول سيبويه:

"وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث" [2]، فقوله يغلب من الغلبة، والغلبة هنا بمعنى التغليب، وقد يخرج قول سيبويه على أن المذكر غلب المؤنث، فغلب عليه، أى أن التغليب قد يكون فى أول الأمر

---

[1] الروم 3.

[2] الكتاب 561/3.

غلبة، بحيث يغلب أحد العنصرين المغلبين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب.

هذا ولكل من الغلبة والتغليب دلالات فى السياقات التى ترد فيها، ذكر العلماء بعضها فى المواطن التى تحدثوا فيها عن الغلبة أو التغليب، وبدورى سأحاول الوقوف على هذه الدلالات، فالهدف الأسمى لأى دراسة لغوية هو المعنى، وسأقسم بحثى هذا إلى مستويين الأول لدراستهما على مستوى البنية، والثانى للدراسة على مستوى التركيب، منطلقا من أقوال العلماء فى هذين المصطلحين، وصولا إلى دلالة كل منهما، من طريق استقراء ما قال العلماء فى كل شكل من أشكال الغلبة أو التغليب فى اللغة العربية.

## المبحث الأول: الغَلَبَة

### أولا: الغلبة على مستوى البنية:

### (أ) اجتماع الواو والياء وغلبة الياء:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وقال: "إذا اجتمع الواو والياء غلبت الياء نحو طويت طيا والأصل طويا" [1]، وذكر لفظى (غلبة) و(غلبت)، فعد هذا من الغلبة وحدد لنفسه منهجا سار عليه فى أكثر من موضع وهو أن الغلبة بمعنى الفوز فى كل ما يذكر فعندما يقول (وغلبة الياء) أى أن الفوز للياء، وهو ما أسير عليه فى هذا البحث، وسار عليه كل علماء اللغة تقريبا، فالغلبة بمعنى الفوز، وقد عقد سيبويه بابا فى كتابه قال فيه: "هذا باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة، وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التى تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد، ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف، وذلك قولك فى فيعل: سيد وصيب، وإنما أصلهما سيود وصيوب" [2]، وفى الأصول لابن السراج: "كلما التقت واو وياء وسكن الأول منهما، قلبوا الواو ياء، وأدغموا الياء فى الياء، وأكثر الكلام على هذا إلا أحرفا شاذة" [3]، وفى الخصائص: "الياء والواو متى اجتمعتا وسبقت الأولى بالسكون منهما ولم تكن الكلمة علما، ولا مرادا بصحة واوها التنبيه على أصول أمثالها، ولا كانت تحقيرا محمولا على تكسير، فإن الواو منه تقلب ياء" [4]، وفى موضع آخر منه:

---

[1] الأشباه والنظائر 115/1.

[2] الكتاب 365/4.

[3] الأصول 262/3.

[4] الخصائص 155/1.

" وليعلم أن هذا الضرب من التركيب وإن قل فى الاستعمال فإنه مراد على كل حال" [1]، وفى شرح الشافية: "وتقلب الواو عينا أو لاما أو غيرهما ياء إذا اجتمعت مع ياء وسكن السابق" [2]، وبالنظر فى كل ما تقدم نلحظ أن كلمة (غلبة) لم تأت إلا فى نص السيوطى، واكتفى سيبويه بقوله: (وكانت الياء الغالبة)، إلا أن نص سيبويه واف فى هذه المسألة، حيث شرح منطق الغلبة بدقة وإتقان ؛ فكانت الدلالات دقيقة متقنة، فالغرض الأسمى من أى إجراء بنيوى هو طلب الخفة، والغرض الأسمى من أى إجراء تركيبى هو أمن اللبس، وغلبة الياء هنا بقلب الواو ياء هدفه طلب الخفة ولذا قال سيبويه: "ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم" [3] فذكر كلمة (أخف) مرتين، وفى نصه عديد الدلالات، منها:

– تقلب الواو ياء هنا لأن الياء والواو بمنزلة ما تقارب مخرجاهما.

– غلبة الياء فى القلب نابعة من خفة الياء لشبهها بالألف.

– إدغام الياء فى الياء خفيف لأن رفع اللسان من موضع واحد أخف من رفعه من موضعين.

– كراهية اجتماع الواو مع الياء، ذكره سيبويه فى موضع آخر من كتابه، قال: "وإذا قلت يفعل فبعض العرب يقولون ييجل كراهية الواو مع الياء، شبهوا ذلك بأيام ونحوها" [4].

وفى قول ابن جنى عن هذا القلب (فإنه مراد على كل حال) إشعار بأن هذا النوع من الغلبة يقترب كثيرا من التغليب، فالخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق، وكثيرا ما يميل نحو هذا أو ذاك؛ ولأن الواو هنا تُعطى حكم الياء، ثم تُغَلَّبُ الياء فى البنية.

---

[1] الخصائص 156/1.

[2] شرح شافية ابن الحاجب 139/3.

[3] الكتاب 365/4.

[4] الكتاب 111/4.

**(ب) اجتماع الساكنين وغلبة الثانى:**

من القواعد المقررة أنه إذا التقى ساكنان يتم التخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه، وأحيانا يحرك الثانى؛ وذلك لكراهة التقاء الساكنين فى اللغة العربية، وبذلك تكون الغلبة للساكن الثانى، الذى غالبا ما يبقى صامدا أمام الساكن الأول إلى أن يحذف أو يحرك، وفى ذلك يقول سيبويه: "ومن كلامهم أن يحذفوا الأول إذا التقى ساكنان، وذلك قولك: اضرب ابن زيد، وأنت تريد الخفيفة (اضربن)" [1]، والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر، يقول سيبويه: "لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر، وذلك قولك اضرب الرجل [2]، ويقول الاستراباذى فى شرح الشافية: "وإذا خليت نفسك وسجيتها وجدت منها أنها لا تلتجئ فى النطق بالساكن الثانى المستحيل مجيئه بعد الساكن الأول من بين الحركات إلا إلى الكسرة، وإن حصل لها هذا المقصود بالضمة والفتحة أيضا" [3]، ويقول فى موضع آخر: "والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر لما ذكرنا أنه من سجية النفس، إذ لم تستكره على حركة أخرى، وقيل إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذى نحن فيه، ومن همزة الوصل الكسر لأن السكون فى الفعل: أى الجزم أقيم مقام الكسر فى الاسم أى الجر، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص" [4]، وقد يكون التقاء الساكنين فى كلمة واحدة نحو: قل، أو فى كلمتين نحو: قامت الصلاة، والتخلص منه فى الكلمة غلبة على مستوى البنية، وإذا كان فى كلمتين فالتخلص منه غلبة على مستوى التركيب، وفى كلتا الحالتين يكون التخلص طلبا للخفة؛ لأن الساكن الأول كالموقوف عليه، والثانى كالمبدوء به، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بساكن كما لا يوقف على متحرك، فالغلبة هنا لتحقيق خفة الكلام، ولذا اغتفر

---

[1] الكتاب 504/3 و505.

[2] الكتاب 532/3.

[3] شرح شافية ابن الحاجب 210/2-211.

[4] شرح شافية ابن الحاجب 235/2 وانظر 240/2.

التقاء الساكنين عند الوقف مطلقا، وفيما اشتمل على تضعيف تال لمد لتحقق الخفة فيهما، وفى هذين الموضعين لا تكون غلبة، حيث لم يغلب شيء شيئا.

**(ج) اجتماع الهمزتين المتحركة والساكنة وغلبة المتحركة:**

فى الكتاب: "واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة"[1]، وفى المفصل: "وإذا التقت همزتان فى كلمة فالوجه قلب الثانية إلى حرف لين كقولهم آدم وأيمة وأويدم" [2]، وفى شرح المفصل لابن يعيش: "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف فى الحلق، فاستثقل النطق به، إذ كان إخراجه كالتهوع (التقيؤ)، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف ... وتخفيفها كما ذكر بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين" [3]، وفيه أيضا فى موضع آخر: "فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف، فإذا كانتا فى كلمة واحدة كان الثقل أبلغ، ووجب إبدال الثانية إلى حرف لين نحو: آدم وآخر وأيمة وجاء وخطايا، فأما آدم فأصله أَأْدم بهمزتين الأولى همزة أفعل والثانية فاء الفعل لأنه من الأدمة" [4]، فإذا اجتمع همزتان الأولى متحركة والثانية ساكنة، تقلب الثانية مدة من جنس حركة الهمزة الأولى، فتكون الغلبة للهمزة الأولى المتحركة، وإنما كانت الغلبة للأولى المتحركة لكونها متحركة ولكون الثانية ساكنة، وبدهى أن تتأثر الساكنة بالمتحركة، فالحركة أقوى من السكون، ذلك أنه إذا اجتمع ساكنان يُتخلص من هذا الاجتماع بتحريك أحد الساكنين، وغالبا ما يكون الأول، لكراهة اجتماع الساكنين، فإذا اجتمع متحرك وساكن لا يمكن بحال أن يسكن المتحرك فيلتقى ساكنان، فيكون هذا هروبا مما هو مستثقل إلى ما هو أكثر استثقالا، هذا بالإضافة إلى أن المتحرك أول الكلمة، وإن سكن بدئ بساكن، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بالساكن كما تقدم، وبهذا يكون لهذا الشكل من أشكال الغلبة فى العربية دلالات منها:

---

[1] الكتاب 552/3.

[2] شرح المفصل 116/9.

[3] شرح المفصل 107/9.

[4] شرح المفصل 116/9.

– الهمزة حرف شديد مستثقل لخروجه من أقصى الحلق، فإذا اجتمع همزتان زاد الثقل، ووجب التخفيف، فإن كان اجتماعهما فى كلمة واحدة كان الاستثقال أكبر وأبلغ. فيلزم التخفيف من طريق غلبة الأولى على الثانية، بإبدال الثانية حرفا من جنس الأولى.

– الغلبة هنا سببها استثقال اجتماع الهمزتين، وغلبة الأولى على الثانية تحديدا سببها تحرك الأولى وسكون الثانية، بالإضافة إلى الثقل فى خروج الحرف من أقصى الحلق، وبذلك يكون للغلبة هنا سببان الأول من داخل السياق والآخر من خارجه، فاجتماع الهمزتين مستثقل ولا يكون الاجتماع إلا فى سياق، والنطق بالهمزة على المستوى العضوى ثقيل فكيف إذا كانتا اثنتين.

**ثانيا: الغلبة على مستوى التركيب:**

**(أ) اجتماع ألف الاستفهام وأحرف العطف وغلبة الاستفهام:**

ذكر ابن هشام فى حديثه عن أحكام ألف الاستفهام" أنها إذا كانت فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها فى التصدير" [1] وذكر لذلك أمثلة من القرآن الكريم، والحق أن الأمثلة على ذلك كثيرة جدا فى القرآن الكريم، وقد نص على ذلك سيبويه فى كتابه، فقال: "وهذه الواو التى دخلت عليها ألف الاستفهام كثيرة فى القرآن" [2].

وإنما اختص سيبويه الواو بالذكر من بين أحرف العطف المذكورة؛ لكثرة مجيئها فى القرآن بعد ألف الاستفهام مقارنة بـ (ثم) ولأنها أم الباب، ومن ذلك قوله تعالى: "أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" [3]، وقوله تعالى: "أولم ير الإنسان أنا خلقناه" [4]، وقد ورد (أفلا تعقلون) فى القرآن الكريم بتاء الخطاب فى ثلاث عشرة مناسبة [5]، وبالياء فى مناسبة واحدة فى قوله تعالى فى سورة يس: "أفلا يعقلون" [6]، وقال تعالى: "أثم إذا ما وقع آمنتم به" [7]، فى حين تتأخر أدوات الاستفهام الأخرى عن العاطف، قال تعالى: "فأين تذهبون" [8]، وقال تعالى: "فأنى تؤفكون" [9]، فالأصل أن تتقدم حروف العطف على ألف الاستفهام كما تتقدم على غيرها من أدوات الاستفهام، لأنها جزء من جملتها، وجملة الاستفهام معطوفة على غيرها ولا يتقدم جزء من المعطوف على حرف العطف، وقد خولف ذلك تنبيها على أصالة الهمزة فى التصدير،

---

[1] مغنى اللبيب 38/1.

[2] الكتاب 188/3.

[3] الأعراف 185.

[4] يس 77.

[5] انظر: البقرة 44 و76، وآل عمران 65، والأنعام 32. وغيرها من الآيات.

[6] يس 68.

[7] يونس 51.

[8] التكوير 26.

[9] غافر 62.

كما ذكر ابن هشام فى مغنى اللبيب وقال: "هذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى فزعموا أن الهمزة الأولى فى تلك المواضع فى محلها الأصلى، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف فيقولون فى "أفلم يسيروا" [1]: أمكثوا فلم يسيروا، ويضعف قولهم ما فيه من التكلف وأنه غير مطرد فى جميع المواضع" [2]، وعلى رأى سيبويه والجمهور القائل بأن الهمزة قدمت من تأخير تنبيها على أصالتها فى التصدير تكون هذه المواضع مواضع مغالبة بين ألف الاستفهام وحروف العطف المذكورة، غلبت فيها ألف الاستفهام هذه الأحرف فقدمت عليها تنبيها على أصالتها وحقها فى التصدير ؛ لأصالتها فى الاستفهام، وهو من باب الغلبة التى تقترب كثيرا من التغليب، لأن الأمر يغلب فى كل جملة اجتمع فيها ألف الاستفهام بالواو أو بالفاء أو بـ (ثم)، فتقدم ألف الاستفهام على أحرف العطف، فإذا خولف هذا الأصل مع غير ألف الاستفهام وقدمت حروف العطف كانت الغلبة للعطف على الاستفهام، ولا يعد هذا تغليبا تاما لأن العطف والاستفهام هنا لا يأخذان حكما واحدا.

**(ب) اجتماع الضميرين وغلبة المتكلم ثم المخاطب ثم الغائب:**

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، ونص على لفظة الغلبة، وقال: "إذا اجتمع ضميران متكلم ومخاطب غلب المتكلم نحو قمنا، وإذا اجتمع مخاطب وغائب غلب المخاطب نحو قمتما" [3]، ولعله يقصد اجتماع الضميرين المتصلين، فمعلوم أن ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب، فإن اجتمع ضميران أحدهما أخص من الآخر وكانا متصلين، وجب تقديم الأخص منهما [4]، قال تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" [5] فقدم (نا) المتكلم على كاف المخاطب، وقال

---

[1] غافر 82.

[2] مغنى اللبيب 38/1 وانظر شرح التصريح على التوضيح 155/2.

[3] الأشباه والنظائر 115/1.

[4] انظر: شرح ابن عقيل 52/1.

[5] الكوثر 1.

تعالى: "فسيكفيكهم الله" [1]، فقدم كاف المخاطب على ضمير الغيبة (هم)، فالغلبة عند اتصال الضمائر للمتكلم ثم للمخاطب ثم للغائب على الترتيب.

[1] البقرة 137.

**(ج) اجتماع الطالبين وغلبة الطالب الأول:**

ذكره السيوطى أيضاً ولم ينص على لفظة (غلبة)، بينما قال : "اجتماع الطالبين ومراعاة الطالب الأول (وقال) إذا اجتمع القسم والشرط جعل الجواب للأول منهما إذا لم يتقدمهما شيء، ومنها أن العرب راعت المتقدم فى قولهم عندى ثلاثة ذكور من البط وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتو بالتاء مع ثلاثة لما تقدما لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، ومنها قال الكوفيون إذا تنازع عاملان فالأولى إعمال الأول جريا على هذه القاعدة"[1]، بذلك يكون السيوطى قد ذكر ثلاثة أشكال للغلبة تندرج تحت اجتماع الطالبين وغلبة الأول، أولها اجتماع الشرط والقسم وغلبة المتقدم فى الظفر بالجواب إذا لم يتقدمهما شيء، ذلك أن كل واحد من الشرط والقسم يستدعى جوابا، فإذا اجتمعا حذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه [2]، وإنما كانت الغلبة للمتقدم لاستواء كل من الشرط والقسم فى حق التصدير، فلما كان لكل واحد منهما الحق فى التصدير، جعلت الغلبة لمن يتقدم من باب أن العرب دائما تقدم الذى هو أهم، ومن باب الترتيب ليكون الأول للأول، والأمر غير مطرد كما سيأتى فى التنازع، ولعدم اطراده عد من الغلبة لا التغليب، والثانى من هذه الأشكال ما ذكره السيوطى من قول العرب: عندى ثلاثة ذكور من البط، وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتوا بالتاء لما تقدم لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، فآلت الغلبة إلى الطالب الأول منهما، فلغلبة (ذكور) أنث العدد للمخالفة، وخلا العدد من التاء لما غلب لفظ (البط) وهو مؤنث، وغلبة كل واحد منهما كانت بالتقديم على الآخر، والحق أن السيوطى لم يكن بديع أفكاره فى ذلك، فقد ذكره سيبويه فى كتابه عندما قال: "وتقول له ثلاث من البط لأنك تصيره إلى بطة، وتقول له ثلاثة ذكور من الإبل؛ لأنك لم تجئ بشيء من التأنيث، وإنما ثلثت المذكر ثم جئت بالتفسير" [3]، والثالث مما ذكره السيوطى من أشكال الغلبة التنازع، "وحقيقته أن يتقدم فعلان متصرفان أو اسمان يشبهانهما أو فعل

---

[1] الأشباه والنظائر 114/1.

[2] انظر: شرح ابن عقيل 21/4.

[3] الكتاب 562/3.

متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببى وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى" [1].

وقد ورد لذلك مثالان فى الكتاب العزيز: الأول "آتونى أفرغ عليه قطرا" [2]، والثانى "هاؤم اقرءوا كتابيه" [3] فهاؤم اسم فعل أمر بمعنى (خذوا) ويشبهه فى العمل، واشترط العلماء للتنازع هذا أن يكون العامل من جنس الفعل أو شبهه من الأسماء، فلا تنازع بين الحروف ولا بين الحرف وغيره، ولا بين الجوامد، وأجازه المبرد فى فعلى التعجب، نحو: ما أحسن وأجمل زيدا! وأحسن به وأجمل بعمرو!، وألا يتقدم المعمول على الشيئين المتنازعين أو يتوسط بينهما فإذا حدث ذلك انتفى التنازع [4]، وفى ذلك قال سيبويه: "وهو قولك ضربت وضربنى زيد، وضربنى وضربت زيدا، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين، وأما فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصب ورفع، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره، وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد" [5]، وقد فصل ابن الأنبارى فى الإنصاف [6] القول فى منطق الغلبة بين المتنازعين، حيث ذهب الكوفيون فى إعمال الفعلين إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثانى أولى، واستدل كل من الفريقين فى ترجيح كلامه بالدليل نفسه الذى استدل به الآخر وهو النقل والقياس، إلا أن نقل البصريين كان عن رب العزة فى كتابه – ومن أصدق من الله حديثا؟!– فقد قال الله تعالى (آتونى أفرغ عليه قطرا) فأعمل الفعل الثانى وهو (أفرغ) ولو أعمل الفعل الأول لقال أفرغه عليه، وقال تعالى (هاؤم اقرءوا كتابيه) فأعمل الثانى وهو (اقرءوا) ولو أعمل الأول لقال اقرءوه، أما

---

[1] أوضح المسالك 96.

[2] الكهف 96.

[3] الحاقة 19.

[4] انظر: شرح شذور الذهب 425.

[5] الكتاب 73/1 و74.

[6] انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف 83/1–92.

القياس عند الكوفيين فهو أن الفعل الأول سابق الفعل الثانى وهو صالح للعمل كالفعل الثانى، إلا أنه لما كان مبدوءا به كان إعماله أولى؛ لقوة الابتداء والعناية به، وأما القياس عند البصريين فقد انبنى على أن الفعل الثانى أقرب إلى المتنازع عليه من الفعل الأول وليس فى إعماله دون الأول نقض معنى فكان إعماله أولى، وبذلك تكون الغلبة للطالب الأول عند الكوفيين لقوة الابتداء والعناية به، وتكون للطالب الثانى عند البصريين لقربه من المتنازع عليه وانتفاء نقض المعنى فى عمله دون الأول، ولقوة النقل عندهم لأنه جاء عن رب العزة سبحانه.

ومن خلال ما تقدم من أشكال الغلبة نلحظ أنه لم يُعط شيء حكم شيء آخر كالتغليب، أو لم يجر شيئان مجرى شيء واحد، فيتفقا فيه، ولم نُغَلّب نحن عنصرا لغويا على آخر من تلقاء أنفسنا، وإنما كانت المواضع التى ذكرتها مواضع مغالبة يتغالب فيها عنصران لغويان فيغلب أحدهما الآخر إما لتقدمه، أو لأنه الأحق بالصدارة، أو لأنه أخص من أخيه، أو لقوته المنبثقة من حركته وسكون الآخر، أو لخفة تقتضيها هذه الغلبة، فعندما يلتقى الساكنان مثلا ونتخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه لا يمكن أن نسمى ذلك تغليبا، لأننا لم نسكن متحركا فيجتمع ساكنان ونعطيهما حكما واحدا، بل على النقيض كان الحرفان ساكنين أى فى حكم واحد هو السكون، ولاستثقاله، وكراهته فرقنا بين الساكنين فأعطينا الأول حكما آخر يختلف عن السكون وهو الحركة أو الحذف، ولذا كان الموضع موضع غلبة يغلب فيه الساكن الثانى الساكن الأول بصموده أمامه، وأحيانا يغلب الأول الثانى فيتحرك الثانى، فالفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب هو أنه مع التغليب يعطى شيء حكم آخر بإيثار أحد اللفظين على أخيه، فيطلق لفظ واحد على الاثنين معا، أو يخاطب العنصران معا مخاطبة واحدة، كمخاطبة المذكر والمؤنث بلفظ المذكر، ومخاطبة العاقل وغير العاقل بلفظ العاقل أوالعكس، وسيتضح ذلك بدراسة مواطن التغليب وأشكاله فى اللغة العربية على مستويى البنية والتركيب.

## المبحث الثانى: التغليب

### أولا: التغليب على مستوى البنية :

### (أ) تغليب اسم (جمع المؤنث السالم) على (جمع الألف والتاء):

الجموع التى تنتهى بالألف والتاء المزيدتين تسمى جموع الألف والتاء، إلا أن كثيرا من العلماء يطلق عليها جمع المؤنث السالم، تغليبا لاسم المؤنث على المذكر فى هذا النوع من الجموع، ذلك أن من هذه الجموع ما هو مؤنث ومنها ما هو مذكر، كجمع مجال على مجالات، وإصطبل على إصطبلات، وكلاهما مذكر، بيد أن معظم الكلمات التى تجمع بزيادة الألف والتاء مؤنثة، ومن باب تغليب اسم المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، على الرغم من أن كلمات مذكرة تجمع هذا الجمع، فالتغليب هنا ليس من حيث الأصل ولا من حيث الأهمية، ولا من حيث التمكن، فالتذكير هو الأصل، وهو الأشد تمكنا، وقد نص سيبويه على ذلك حين قال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا" [1] ولكن منطق التغليب هنا أن الكثرة تغلب القلة، فلما كانت الكلمات التى تجمع على هذا الجمع أكثرها من المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، هذا على مستوى البنية، ولأن الأمر يتعلق بمسمى يطلق على شكل من أشكال الجموع، فلما كان للمفرد باب، وللمثنى باب، ولجمع المذكر باب آثر اللغويون أن يطلقوا على هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم ليكون له باب كغيره، أما على مستوى التركيب فالغلبة للمذكر فى التغليب لأنه الأصل الأشد تمكنا كما قال سيبويه، وإن كان أقل، ولأن الحديث هنا عن مسميات الأشياء، والحديث فى التركيب عن ذواتها ويتجاوز فى الأسماء ما لا يتجاوز فى الذوات، فلم يكن التغليب هنا للمؤنث على المذكر، وإنما كان لاسم المؤنث على اسم المذكر وسيأتى بإذن الله تغليب المذكر على المؤنث فى التركيب.

### (ب) تغليب أحد الاسمين على صاحبه لخفته أو لشهرته:

---

[1] الكتاب 241/3.

ذكره السيوطى فى المزهر فى باب (ذكر المثنى على التغليب) منسوبا إلى ابن السكيت، قال: "قال ابن السكيت: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته، من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جؤية" [1]، ومن ذلك ما جاء فى المعجم الوسيط: "كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر" [2]، فى باب التغليب، وقال التهانوى: "غلب المشرق لأنه أشهر الجهتين"[3]، أو لما أثبته العلم الحديث من أن كل مشرق مغرب، وكل مغرب مشرق وكان القرآن معجزا فى ذلك، ففى هذا يغلب اسم من الاسمين على أخيه فيعطى الثانى حكم الأول، ويطلق الأول عليهما معا، لما بينهما من علاقة سماها مجمع اللغة العربية فى المعجم الوسيط العلقة أو الاختلاط [4]، ومن ذلك ما ذكره سيبويه فى معرض حديثه عن العَلَم بالغلبة حين قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر" [5].

**(ج) المجموع على التغليب:**

ذكره السيوطى فى المزهر أيضاً فى باب ذكر المجموع على التغليب منسوبا إلى المبرد، قال: "قال المبرد فى الكامل من ذلك قوله (سلام على إلياسين) [6] فجمعه على لفظ إلياس ... وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى والمكنى بابا لذلك" [7]، ففى تفسير قوله تعالى (إلياسين) قولان الأول أنه لغة فى إلياس، والثانى أن المقصود به إلياس وأتباعه، وعلى التفسير الثانى يكون رب العزة سبحانه قد غلب اسم إلياس على أتباعه فقال (إلياسين).

**ثانيا: التغليب على مستوى التركيب:**

---

[1] المزهر فى علوم اللغة 185/2.

[2] المعجم الوسيط [ غ. ل. ب] 658.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3 و1090.

[4] انظر: المعجم الوسيط [ غ. ل. ب ] 658.

[5] الكتاب 100/2-101.

[6] الصافات 130.

[7] المزهر 204/2.

**(أ) تغليب المذكر على المؤنث:**

فى الأشباه والنظائر: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل، والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية وفى الجمع، وفى عود الضمير وفى الوصف وفى العدد [1]، وفى شرح المفصل: "ولما كان المذكر أصلا والمؤنث فرعا عليه لم يحتج المذكر إلى علامة لأنه يفهم عند الإطلاق إذا كان الأصل، ولما كان التأنيث ثانيا لم يكن بد من علامة تدل عليه، والدليل على أن المذكر أصل أمران: أحدهما مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث [التغليب]، الثانى أن المؤنث يفتقر إلى علامة ولو كان أصلا لم يفتقر إلى علامة " [2]، وفى الكتاب: "وتقول هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل؛ لأن المذكر يغلب المؤنث" [3]، وقد بين سيبويه منطق التغليب فى ذلك، فقال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا .. فالتذكير قبل، وهو أشد تمكنا عندهم، فالأول هو أشد تمكنا عندهم"[4] ومنه ما جاء فى كتاب سيبويه: "وتقول: ثلاثة أشخص وإن عنيت نساء؛ لأن الشخص اسم مذكر" [5]، والأمثلة على هذا النوع من التغليب كثيرة جدا فى القرآن الكريم، قال تعالى: "وكانت من القانتين" [6]، وقد علق التهانوى على ذلك فى كشافه فقال: "والأصل قانتات فعدت الأنثى من المذكر تغليبا ... وإنما كان التغليب مجازا لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، فإن القانتين مثلا موضوع للذكور، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير الموضوع له، كذا فى الإتقان فى نوع الحقيقة والمجاز" [7].

---

[1] الأشباه والنظائر 114/1.

[2] شرح المفصل 88/5.

[3] الكتاب 561/3.

[4] الكتاب 241/3.

[5] الكتاب 562/3.

[6] التحريم 12.

[7] كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3 و1090.

ويدخل فى ذلك كل خطاب موجه إلى الناس بصيغة المذكر قصد به المذكر والمؤنث جميعا، تغليبا للمذكر على المؤنث، كقوله تعالى: "**هدى للمتقين**" [1] أى هذا الكتاب هدى للمتقين والمتقيات وغلب المذكر، ومنه قوله تعالى: "**قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون**" [2] فالمقصود المؤمنون والمؤمنات، والخاشعون والخاشعات، والمعرضون والمعرضات، والفاعلون والفاعلات، والحافظون والحافظات، وكان الخطاب بصيغة المذكر تغليبا للمذكر، فهذه الكلمات المذكورة فى الآيات موضوعة فى اللغة للذكور، وإطلاقها على الذكور والإناث من باب جعل اللفظ لما ليس له، أو من باب إعطاء الشىء حكم شىء آخر، وهذا هو التغليب المقصود، وهو أشهر أنواع التغليب فى اللغة العربية وأكثرها ورودا، وهو حقيق بالرعاية والدراية، وفى ذلك يقول الآلوسى: "لأن رعاية ما هو الغالب فى النوع أولى من رعاية الأصل، والحشر مع الجماعة عيد" [3]، ومنه قوله تعالى: "**وقيل ادخلا النار مع الداخلين**" [4]، فالحديث عن امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا هذين العبدين الصالحين فقيل لهما ذلك، و(الداخلين) لفظ موضوع فى اللغة لجماعة الذكور، وغلب على الذكور والإناث معا فى الآية الكريمة، ومنطق التغليب فى كل ما تقدم أن المذكر يعم المذكر والمؤنث جميعا لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة.

**(ب) اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة:**

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل قال: "إذا اجتمع النكرة والمعرفة غلبت المعرفة، تقول: هذا زيد ورجل منطلقين، فتنصب منطلقين على الحال تغليبا للمعرفة، ولا يجوز الرفع، ذكره الأندلسى فى شرح المفصل"

---

[1] البقرة 2.

[2] المؤمنون 1-5.

[3] روح المعانى 65/1.

[4] التحريم 10.

[1]، وقد عقد سيبويه بابا لذلك، قال فيه: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة، وذلك قولك هذان رجلان وعبد الله منطلقين، وإنما نصبت المنطلقين لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفة لعبد الله، ولا أن يكون صفة للاثنين. فلما كان ذلك محالا جعلته حالا صارا فيها، كأنك قلت: هذا عبد الله منطلقا" [2]، وقد كان السيوطى مبدعا عندما قال (اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة) وذكر كلمة اجتماع، مشعرا بأن هذا النوع من التغليب يتحقق عندما تجتمع النكرة والمعرفة فى سياق ما ويكون ردفهما وصفا، فتغلب المعرفة على النكرة، على الرغم من أن النكرة هى الأصل، لأنها "أشد تمكنا من المعرفة، لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف" [3]، وقد جاء فى شرح المفصل : "واعلم أن النكرة هى الأصل والتعريف حادث، لأن الاسم نكرة فى أول أمره مبهم فى جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتعريف ... فلا تجد معرفة إلا وأصلها النكرة إلا اسم الله تعالى؛ لأنه لا شريك له سبحانه وتعالى، فالتعريف ثان أتى به للحاجة إلى الحديث عن كل واحد من أشخاص ذلك الجنس" [4]، وهذا الشكل من التغليب مقرون بالسياق الذى جاء فيه إذ لا سبيل فى هذا السياق أن يكون رديف النكرة والمعرفة صفة لهما، ولما كان ذلك محالا – على حد قول سيبويه – جعل الرديف حالا صارا فيه .

**(ج) اجتماع العاقل وغير العاقل وتغليب العاقل أو غيره:**

ذكره التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون، قال: "وقوله تعالى: (ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض) [5] غلب فيه غير العاقل على العاقل فأتى بـ(ما) لكثرته، وفى آية أخرى عبر بـ (من) فغلب العاقل لشرفه"[6]، يقصد قول الله تعالى: "ولله يسجد من فى السماوات والأرض" [7]، ففى الآية الأولى المقصود العاقل وغلب غير

---

[1] الأشباه والنظائر 113/1.

[2] الكتاب 81/2.

[3] الكتاب 241/3.

[4] شرح المفصل 85/5.

[5] النحل 49.

[6] كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3.

[7] الرعد 15.

العاقل على العاقل لكثرته، فأتى بـ(ما) وهى موضوعة فى اللغة لغير العاقل، وفى الآية الثانية غلب العاقل لشرفه وعلو قدره فأتى بـ(من) وهى موضوعة للعاقل، وذلك من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، هذا وللسياق أثر فى هذين التغليبين، فالحديث فى سورة الرعد عن شىء من الآيات المعجزة للإنس والجن، يسوقها رب العباد لعباده لعلهم يؤمنون، وقد قال تعالى فى أول هذه الآيات: "ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" [1]، والناس يناسبهم الضمير (من) لأنه للعاقل ولذا جاء به رب العزة سبحانه فى هذه السورة، وقد ذكر رب العزة فى هذه السورة أن الرعد يسبح بحمد الله وهو من غير العاقل، ثم ذكر (من) للعاقل ليجتمع العاقل وغير العاقل فى عبادة الواحد، وفى سورة النحل ذكر خلق السموات والأرض والأنعام والآيات فى خلقها، والخيل والبغال والحمير، والماء المنزل من السماء لينبت به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، وفيها أيضا ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، والبحر وما فيه من آيات ومعجزات، وغير ذلك مما لا يعقل، فناسب ذلك الإتيان بـ(ما) فى هذه السورة لأنه موضوع فى اللغة لغير العاقل، وفى السورة جمهرة من غير العاقل.

ومن أشكال التغليب أيضا ما ذكره التهانوى أيضا فى قول الله تعالى: "فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" [2]، قال: "عد إبليس منهم بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم" [3].

وفى كل ما تقدم من ضروب التغليب نجد عنصرا لغويا يعطى حكم عنصر آخر لما بين العنصرين من علقة أو اختلاط. وبإعطاء أحد العنصرين حكم الآخر، يصير العنصران فى حكم واحد، وكأنهما شىء واحد، وكلا العنصرين مغلب لأنه ضد، أى أن هذا الإجراء تغليب لما ساد حكمه على أخيه، فعند إطلاق لفظة (الأبوين) على الأب والأم نكون قد غلبنا (الأب) على (الأم) فى اللفظ، أو أعطينا (الأم) حكم (الأب) فغلبنا اللفظ عليهما معا، وعندما يغلب المذكر على المؤنث فى السياق يعطى المؤنث

---

[1] الرعد 1.

[2] الحجر 30 و 31 .

[3] كشاف اصطلاحات الفنون 1089/3 و 1090

حكم المذكر، فيصيران وكأنهما شيء واحد، ويخاطبان مخاطبة واحدة، وكذا عندما تغلب المعرفة على النكرة، أو عندما يعطى العاقل وغير العاقل حكما واحدا وهكذا، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته على أخيه، أو لشرفه، أو لأنه الأصل فى اللغة، وهذا التغليب فى الأصل غلبة ولذا قال لسيبويه: "هذا باب ماغلبت فيه المعرفة النكرة " [1]، إلا أن الغلبة لا يعطى فيها شيء حكم آخر، فعندما تغلب ألف الاستفهام واو العطف مثلا فى الظفر بالتصدير لاتعطى الواو حكم الاستفهام، فالتغليب غلبة يغلب فيها أحد العنصرين أخاه فيغلب عليه بإعطاء شيء حكم غيره وهذا هو الفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب .

[1] الكتاب 81/2.

**خاتمة :**

هذا البحث محاولة للتوصل إلى المعنى الوظيفى لكل من الغلبة والتغليب وإلى الفرق الدقيق بينهما، حاولت فيه تتبع هذين المصطلحين فى كتب الأقدمين فبدأت بكتب المعجم بغية الوصول إلى معنى معجمى يحيلنا إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، ثم عرجت على كتب اللغة، محاولا الوقوف على دلالات الغلبة والتغليب، وقد قسمت البحث إلى مستويين : الأول لدراستهما على مستوى البنية والآخر لدراستهما على مستوى التركيب، وقد خلصت إلى الآتى :

– الغلبة هى انهزام عنصر أمام آخر، فتكون الغلبة للآخر الفائز، من دون أن يعطى شىء حكم شىء آخر، وذلك لقوة الفائز أو حقه فى التصدير أو لخفة تقتضيها الغلبة.

– التغليب هو اجتماع عنصرين لغويين وتغليب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك بإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته، أو لشرفه، أو لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة، وبإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر يصبحان كالشىء الواحد فيكون حكمهما واحدا ويخاطبان مخاطبة واحدة .

– التغليب يكون بين شيئين بينهما علاقة سماها مجمع اللغة العربية العلقة أو الاختلاط، والغلبة لايشترط لها ذلك .

– الخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق يميل نحو هذا وذاك، فقد تقترب الغلبة من التغليب كثيرا وذلك كغلبة الياء على الواو عندما يجتمعان ويكون الأول منهما ساكنا، فالواو تعطى حكم الياء فتقلب ياء وتدغم الياء فى الياء .

– التغليب قد يكون فى أول الأمر غلبة بحيث يغلب أحد العنصرين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب .

والله تعالى أعلى وأعلم،

## ثبت المراجع


1- الأشباه والنظائر، للسيوطى (المتوفى 911 هـ) : بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1985م .

2- الأصول فى النحو، لابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادى المتوفى 316هـ)، بتحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة (بيروت –لبنان)، الطبعة الثالثة 1408 هـ - 1988م .

3- الإنصاف فى مسائل الخلاف، لابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد الأنبارى 513هـ - 577هـ) دار الفكر .

4- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، مكتبة محمد على صبيح، الطبعة الرابعة 1968م.

5- تاج العروس، للزبيدى (محمد مرتضى الزبيدى)، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، الطبعة الأولى 1306هـ.

6- الخصائص، لابن جنى (أبو الفتح عثمان ابن جنى)، بتحقيق محمد على النجار، دار الهدى (بيروت لبنان)، الطبعة الثانية .

7- روح المعانى، للآلوسى (شهاب الدين السيد محمود الآلوسى)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث ودار الفكر (بيروت – لبنان) 1403 هـ - 1983م .

8- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية .

9- شرح شافية ابن الحاجب : تأليف الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى (المتوفى 686هـ) بشواهد البغدادى صاحب خزانة الأدب، بتحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت – لبنان) 1395 هـ - 1975م .

10- شرح شذور الذهب، لابن هشام، المكتبة العصرية (صيدا – بيروت) 1997م .

11- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلى المصرى) مع كتاب منحة الجليل لمحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة 2004م.

12- شرح المفصل، لابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى 643هـ)، مكتبة المتنبى بالقاهرة .
13- القاموس المحيط، للفيروز آبادى، عالم الكتب (بيروت – لبنان)
14- كتاب سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
15- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى 170هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.
16- كتاب كشاف اصطلاحات الفنون، تأليف الشيخ الأجل المولوى محمد أعلى بن على التهانوى، دار صادر – بيروت .
17- لسان العرب المحيط، لابن منظور، دار لسان العرب (بيروت – لبنان) بإعداد وتصنيف يوسف خياط .
18- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، المكتبة العصرية، (صيدا – بيروت) 1408 هـ - 1987م.
19- المصباح المنير، للفيومى (المتوفى 770هـ)، بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى، دار المعارف، الطبعة الثانية .
20- المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ .
21- مغنى اللبيب، لابن هشام (المتوفى 761هـ) بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع .

الفصل الرابع

# تراكيب الفاتحة بين البناء والفهم

## توطئة

للجملة العربية أسرارها وإعجازها بناء وفهما ، ذلك أن هناك فرقا بين بناء الجملة وفهم معنى الجملة ، أو بين المبنى والمعنى ، أو بين التركيب والتحليل ، " أما بناء الجملة فهو إحياء كم غير منظم من المفردات بترشيح مجموعة من العلاقات النحوية بينها ، وأما فهم الجملة فهو يتمثل في إدراك مجموع العلاقات الأساسية التي تربط بين مفرداتها المتفرقة " [1] ، أو يتمثل فهم الجملة فى فهم المعنى الدلالى الأكبر الذى هو نتاج العلاقة بين البنية العميقة المتمثلة فى سياق الجملة ( المقامى مسرح حدثها ) والبنية السطحية المتمثلة فى علاقات التجاور بين الوحدات التركيبية المكونة لهذه الجملة ، أى أن الذى يبنى الجملة يحتاج إلى أمرين : الأول جمهرة من المفردات الموجودة فى الذهن أو المجموعة فى المعاجم والثانى هو تحريك أو إحياء بعض هذه المفردات مستعينا بالعلاقات النحوية اللازمة لذلك ، مراعيا المناسبة المعجمية بين المفردات المتجاورة المركبة للجملة ، وينبغى على من يريد فهم هذه الجملة أن يدرك العلاقات التى تربط بين مفرداتها من خلال فهم المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى أو النحوى ومسرح الحدث ، ومن ثم الوصول إلى المعنى الدلالى الأكبر الذى هو نتاج هذه الثلاثية مجتمعة ، أو هو نتاج العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية ، أى أن البانى ومحاول الفهم يحتاج كل منهما إلى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى أو النحوى والتجربة أو مسرح الحدث ، بيد أن الأول يحتاج هذه الثلاثية للكتابة أو البناء ، والثانى يحتاجها للفهم ، وبذلك تكون وسائل أو آليات العمل واحدة والهدف المرجو مختلفا وإذا كان بناء الجملة من عمل الكاتب وفهمها من عمل الناقد أو المحلل أو الشارح إلا أنه عندما يحلل الناقد جملة ما ويكتب نصه التحليلى الشارح لهذه الجملة يكون قد أجرى عمليتين متلازمتين فى آن واحد الأولى تحليلية والثانية تركيبية ، إذ أن الناقد عندما يكتب نصه النقدى أو التحليلى

---

([1]) نظرية التبعية فى التحليل النحوي ، للدكتور سعيد حسن بحيرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو 21 .

يحلل الجملة ويحاول فهم معناها مترجما ذلك كله فى صورة جملة أو جمل هى بدورها مبان تحتاج إلى فك وتحليل ، وبذلك يصبح الناقد كاتبا يحتاج إلى من يحلل نقده وكتاباته ، وتستمر هذه الثنائية المتلازمة بين البناء والفهم بدون توقف ، وبذلك يمكن القول إن البناء فهم والفهم بناء ، فالبيت الشعرى بناء وتحليله فهم ، والآية القرآنية بناء وتفسيرها فهم ، والنص الأدبى أو المقالة الأدبية بناء وشرحهما فهم ، وكل هذه الأفهام تتحول بمجرد تدوينها فى صورة جمل إلى أبنية تحتاج إلى من يفهمها .

وهذا البحث محاولة للوقوف على العلاقة بين بناء الجملة وفهمها من خلال بعض النصوص التى تعنى بذلك ، وشروحها التى عنيت بفكرة النص المشروح نفسها ولو لم ينوه أو يشر الشارح إلى أن هذا النص شرح أو تحليل لذلك وسأقوم بتطبيق ذلك على فاتحة الكتاب فهى أعظم سورة فى القرآن وهى السبع المثانى ولأنها اشتملت على أنواع التوحيد ، ولما فى جملها القصار من إعجاز وإحكام فى البناء على الرغم من قلة عدد مفرداتها وقصر جملها وآياتها ومع هذا الإيجاز فى البناء نجدها اشتملت على معان عظيمة تحير العقول ، وهذه مزية فريدة وشكل عجيب من أشكال إعجاز القرآن الكريم الذى تحدى الله به البشر ، " وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأ له، إما لمبدئيتها له، وإما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم .... وتسمى الكنز ... وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء "[1] وهذه المشتملات هى ( التفصيلية ) وهى أحد الروابط المعنوية فى فاتحة الكتاب .

---

([1]) تفسير أبى السعود ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ) لقاضى القضاة أبى السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى 951 هـ الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث ، بيروت 8/1 ، وانظر البيضاوى 5/1

## أولاً : البناء

(أ) المناسبة المعجمية :-

لابد لأى بناء لغوى محكم من تناسب معجمى بين مفرداته بحيث تتناسب كل مفردة مع ما قبلها أو ما بعدها معجميا أو مع ما تتعلق به هذه المفردة وظيفيا فيتم بهذا التعليق المعنى المقصود ، وبين مفردات فاتحة الكتاب تناسب معجمى فريد يجعل بناء جملها أكثر تماسكا وإحكاما ، ومن ثم يتماسك بناء السورة كلها ، وليس المقصود بالمناسبة المعجمية المعنى المعجمى المفرد لكل مفردة على حدة ، فاستخدام الكلمة فى الجملة بمعناها المعجمى ليس مسوغا للتناسب والانسجام بينها وبين غيرها من المفردات ، ذلك أن هناك فرقا بين المعنى المعجمى والمناسبة المعجمية ، أما المعنى المعجمى فهو معنى الكلمة خارج السياق وهو ما نراه بين دفتى كل معجم ، وأما المناسبة المعجمية فهى علاقة بين المفردات داخل الجمل يتناسب فيها المعنى المعجمى لكل مفردة مع المعنى المعجمى للمفردة المترابطة معها أو المتعلقة بها ، فلو قلنا جاءت الشجرة وأثمر الإنسان ، لانتفت المناسبة المعجمية فى الجملتين ؛ لأن الشجرة لا تجىء ، والإنسان لا يثمر ، فإذا قلنا جاء الإنسان وأثمرت الشجرة تحققت المناسبة واستقام المعنى ، والبسملة – فى رأى قراء مكة والكوفة والشافعى – [1] آية من فاتحة الكتاب وفيها من المناسبة المعجمية ما ليس بخفى ؛ ذلك أن الاسم فى قول ربنا

---

([1]) اختلف الأئمة فى شأن البسملة فى أوائل السور الكريمة فقيل إنها ليست من القرآن وهو قول ابن مسعود وغيره وقيل إنها آية من القرآن وقيل إنها آية من كل سورة وقيل آية من الفاتحة مع كونها قرآنا فى سائر السور ؛ انظر تفصيل ذلك فى تفسير أبى السعود 8/1 ، والقرطبى 92/1 ، 93 ، والبيضاوى 5/1 .

" بسم الله " إما مشتق من الوسم وهو العلامة وهذا مذهب الكوفيين وإما مشتق من السمو بمعنى العلو وهذا مذهب البصريين ، والراجح أن الاسم مشتق من السمو بمعنى العلو ؛ يدل على ذلك قولهم فى جمعه أسماء وأسامى ، وفى تصغيره سُمَيّ [1] وعلى الرأى القائل بأن الاسم مشتق من السمو نجد مناسبة معجمية رائعة بين كلمة اسم ولفظ الجلالة ( الله ) وقد بين القرطبى هذه المناسبة عندما قال فى تفسيره : " فإن من قال الاسم مشتق من العلو يقول : لم يزل الله – سبحانه – موصوفا قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم ( أى بالعلو ) ولا تأثير لهم فى أسمائه ولا صفاته ، وهذا قول أهل السنة " [2] والله هو الإله الذى يُؤْلَهُ إليه أى يُرجع إليه ويعبد ، وقيل إنه مشتق من العلو والارتفاع فالعرب كانت تقول لكل شىء مرتفع ( لاها ) ، فكانو يقولون للشمس إذا طلعت لاهت أى ارتفعت [3] ، وهو ما يعبر عنه قول ربنا : ( فتعالى الله عما يشركون ) [4] أى علا وارتفع بنفسه لا بغيره ، فكلمة ( اسم ) ولفظ الجلالة ( الله ) بينهما مناسبة معجمية منطقها العلو والارتفاع ، ومن الأدلة على ذلك أيضاً أن الآية الأولى من سورة الأعلى " سبح اسم ربك الأعلى " [5] أضيف فيها كلمةرب إلى كلمة اسم وأردفتا بكلمة الأعلى وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن هل الأعلى صفة لرب أو لكلمة اسم ؟

الحق أن ( الأعلى ) اسم مقصور وهو مما يقدر عليه العلامة الإعرابية أى أن الكلمة تصلح صفة لكليهما ، وإن أعربها الجمهور [6] صفة لرب ، على اعتبار أن الرب أعم من الاسم وصفة الأعم تنسحب منطقا على الأخص لأنه جزء منه ، أى هو البالغ النهاية علواً و رفعةً ، ذاتا واسما باعتبار أن كلمة الأعلى تصلح صفة منصوبة

---

([1]) انظر إملاء ما من به الرحمن للعكبرى 4/1 ، والبحر المحيط 123/1 والقرطبى 101/1

([2]) تفسير القرطبى 101/1 ، وانظر : البيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى 33/1 .

([3]) انظر إملاء ما من به الرحمن للعكبرى 5/1 ، والبحر المحيط 124/1 – 125 والقرطبى 102/1–103 .

([4]) الأعراف 190 .

([5]) الأعلى 1 .

([6]) انظر البحر المحيط 458/8 .

لكلمة ( اسم ) أو مجرورة لكلمة ( رب ) أى أنهما تتنازعان الصفة ، والعلو وصف لكل منهما ، وهذا منطق المناسبة بينهما حيث لا توجد قرينة مبنية تبين إعراب كلمة الأعلى ، بخلاف قول ربنا " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " [1] وقول ربنا " تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام " [2] فكلمة ( وجه ) ، وكلمة ( ذى ) فى الآية الثانية صفة مرفوعة بالواو لكلمة ( وجه ) ، وكلمة ( ذى ) فى الآية الثانية صفة مجرورة لكلمة ( رب ) ، والعلامة الإعرابية هنا قرينة مبنية ، وعن مناسبة العلو بين اسم ولفظ الجلالة يقول أبو السعود القاضى " وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد فى قولنا لا إله إلا الله ولا يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أصلا كاف فى ذلك [3] وعن المناسبة المعجمية بين لفظ الجلالة ( الله ) واسمى ( الرحمن الرحيم )

فمعلوم أن ( الله ) هو اسم ربنا الأعظم الذى لايُسمى به أحد سواه وهو يشتمل على أنواع التوحيد : الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فالله هو المعبود وهو الخالق المدبر وله الأسماء الحسنى المتضمنة فى اسمه الأعظم ، وباستقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظة ( الرحمن ) نجدها تضمنت مع الرحمة وهو المعنى الأشهر – معنى السيطرة والعظمة المتناسبة معجمياً مع اسم الله الأعظم ، يقول ربنا سبحانه وتعالى :" الرحمن / علم القرآن / خلق الإنسان / علمه البيان " [4]ويقول سبحانه : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " [5] أى المسيطر عليهم الرحمن وهم العابدون له والإضافة للملكية ( السيطرة ) ، ويقول سبحانه : " وإذا قيل لهم اسجدوا

---

([1]) الرحمن 27

([2]) الرحمن 78 .

([3]) تفسير أبى السعود 10/1 : وانظر البيضاوى 6/1و7 .

([4]) الرحمن 1–4 .

([5]) الفرقان 63 .

للرحمن قالوا وما الرحمن " [1] كما نلحظ اقتران العبادة باسم الرحمن فى ثلاث الآيات السابق ذكرها ، ويتمثل ذلك فى كلمات (علم القرآن ) و(عباد) و (اسجدوا)، فالقرآن مناط العبادة ، وكلمة (عباد) جمع لكلمة ( عبد ) إذا قصدت العبادة ، فإذا قصدت السيطرة تجمع الكلمة على (عبيد)،بقول سبحانه"وما ربك يظلام للعبيد" [2] والسجود من أجل القربات إلى الله وهو أقرب ما يكون العبد من ربه ، وبدلالة (الرحمن ) على العبادة نجد مناسبة معجمية بينه وبين اسم الله الأعظم منطقها العبادة والسيطرة ،ومعلوم أن(الرحيم) من الرحمة وهذا رأى كثير من العلماء [3] وبينه وبين (الرحمن) مناسبة معجمية مناطها هذا المعنى الجليل ، والمناسبة المعجمية بين (الرحمن) و (الرحيم ) هى أوضح أشكال التناسب المعجمى فى البسملة .

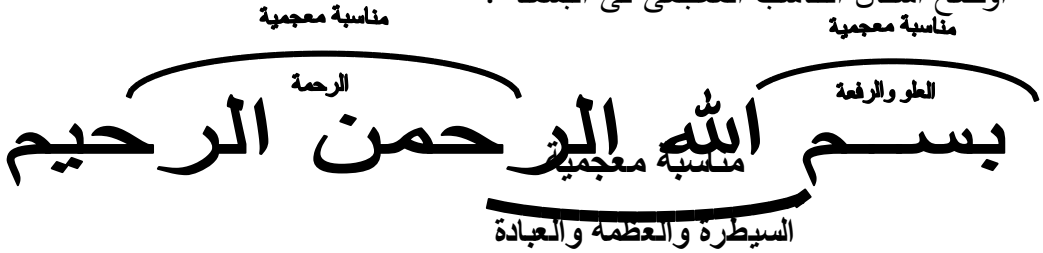


يقول الآلوسى : " بين الله والرحمن من المناسبة ما ليس بينه وبين الرحيم فلهذا قدم الرحمن على الرحيم بيان ذلك أما أولا فلاقتران الرحمن بالجلالة فى قوله تعالى : "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن" [4] وقد يشعر هذا الاقتران بجعلهما للذات ... وأما ثانيا فلأن فى الله وفى الرحمن ألفين ألف الذات وألف العلم والأولى فى كل خفية والثانية ظاهرة " [5] .

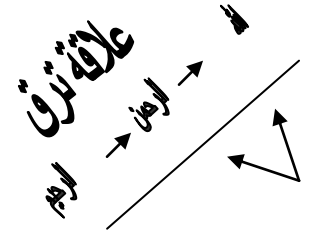


---

([1]) الفرقان 60 .

([2]) فصلت 46 .

([3]) انظر : البحر المحيط 16/1 – 17 .

([4]) الإسراء : 110 .

([5]) روح المعانى 64/1 .

## بسم

" ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة ، وهى نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلى الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال فقال جل شأنه : " الحمد لله رب العالمين " [1] والحمد كما هو معلوم أعم من الشكر [2] فهو فى السراء والضراء ولسبب ومن غير سبب ، ومن هنا تناسب عموم الحمد مناسبة معجمية رائعة مع عموم التوحيد فى لفظ الجلالة ، واللام بينهما للاستحقاق أى أن الذى يستحق الحمد فى السراء والضراء هو الله ، فيُحمد معبودا ويحمد خالقاً ومدبراً ورازقاً ويُحمد بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العُلا ، وٌرب كل شىء مالكه ، والرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال فى غيره إلا بالإضافة [3]والرحمن الرحيم " [4] اسمان أيضا من أسماء الله الحسنى يجمعهما فى الآية الكريمة مناسبة معجمية هى الرحمة وقد جاء فى البسملة والتوحيد أراه المناسبة المعجمية الكبرى فى قول ربنا (الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم ) لأن هاتين الآيتين اشتملتا على أنواع التوحيد الثلاثة وهى الألوهية والربوبية ، والأسماء والصفات ، فالله هو الإله المعبود الذى يؤله إليه ، والرب هو المالك المدبر ، والله والرب والرحمن والرحيم جميعها من أسماء الله الحسنى وعن المناسبة المعجمية بين رب العالمين والرحمن الرحيم يقول القرطبى " وصف نفسه تعالى بعد(رب العالمين ) بأنه ( الرحمن الرحيم ) لأنه لما كان فى اتصافه بـ ( رب العالمين ) ترهيب قرنه بـ ( الرحمن الرحيم ) لما تضمن من الترغيب "[5]

---

([1]) روح المعانى 67/1

([2]) انظر الفروق اللغوية 45 .

([3]) مختار الصحاح ( ر . ب . ب ) وانظر تفسير أبى السعود 13/1 ، والبيضاوى 8/1 ، والقرطبى 136/1 .

([4]) الفاتحة 3 .

([5]) القرطبى 1 /139 .

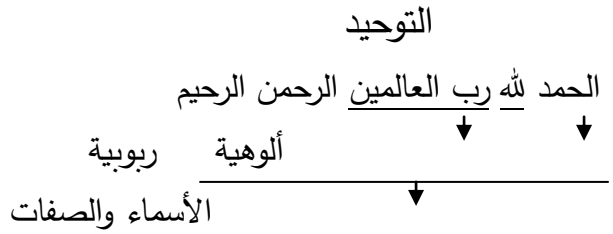


وفى كلمة ( رب ) مزية فريدة بإضافتها إلى كلمة العالمين ، لاشتمالها على نوعين من أنواع التوحيد هما الربوبية والأسماء والصفات ، فرب العالمين خالقهم ومدبر شئونهم ، وهم أصناف كثر وكل صنف منهم عالم ، والرب اسم من أسماء الله ولابد لكل عالم من خالق مدبر هو رب العالمين جميعا ، ولذا أضيفت رب إلى العالمين .

ومن المناسبة المعجمية فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [1] أن كلمة ( مالك ) أو ( مَلِك براوية قالون ) [2] تتناسب مع ما قبلها معجميا بمناسبة توحيد الأسماء والصفات فالمَلِك اسم من أسماء الله الحسنى ، وتتناسب مع ما بعدها بالإضافة إلى يوم الدين يوم الحساب أو الجزاء إذ لا مَلِك فى هذا اليوم إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو ملك الملوك وقد جاء فى سورة غافر " **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** " [3] والحديث فى الآيتين عن يوم الجزاء ، وثمة تناسب من نوع آخر بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها وهى مناسبة الترتيب وفى ذلك يقول أبو حيان الأندلسى: " الترتيب القرآنى جاء فى غاية الفصاحة لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة ثم ذكر شيئين

---

([1]) الفاتحة 4 .

([2]) وقد روى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قرأ مَلْك ( بسكون اللام ) وأصله ملك ففيه خمس قراءات : مالك ومَلْك ومِلِك ومليك وملاك ، انظر البيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى ، تحقيق طه عبد الحميد طه 35/1 .

([3]) غافر 16 .

أحدهما ملكه يوم الجزاء والثانى العبادة فناسب الربوبية للملك والرحمة للعبادة ، فكان الأول للأول والثانى للثانى " [1] فكيف يحاسب الله العباد إلا إذا كان مالكا لهم ملكا عليهم ومالكا لهذا اليوم العظيم وملكه ومليكه ، ومن الإعجاز أن المفردات تتناسب فى هذه الآية معجمياً ونحوياً ودلالياً أى بجميع أنواع المعنى ، معجميا من خلال تناسب المعانى المعجمية للألفاظ ، ونحويا لأن الإضافة هنا معناها الملكية المتناسبة مع المعنى المعجمى ومن ثم فإن دلالة السياق أو معناه الدلالى الأكبر أن الله هو الملك فى يوم الحساب ، وكما أن لكل عالم ربا كذلك لكل شىء مالك ، ومليك هذا اليوم لا شك أنه الله .

وفى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [2] وما بعده مناسبة معجمية ، فالعبادة لا تكون إلا لله والاستعانة لا تكون إلا به " وقد ورد ( هَدَى ) فى الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه : معدى بنفسه كقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " [3] ومعدى باللام كقوله تعالى " الحمد لله الذى هدانا لهذا " [4] ومعدى بإلى كقوله تعالى " واهدنا إلى سواء الصراط " [5] وهدى واهتدى بمعنى " [6] .

وقد استأثرت فاتحة الكتاب بالفعل المتعدى بنفسه ، وبين اهدنا ونستعين مناسبة ، فاهدنا " بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا " [7] " واتصال ( نا ) بـ ( اهد ) مناسب لنعبد ونستعين لأنه لما أخبر المتكلم أنه هو ومن معه يعبدون الله ويستعينونه سأل له ولهم الهداية إلى الطريق الواضح " [8].

---

([1]) البحر المحيط 133/1

([2]) الفاتحة 5 .

([3]) الفاتحة 6 .

([4]) الأعراف 43 .

([5]) ص 22

([6]) مختار الصحاح [هـ . د . ى ]

([7]) البيضاوى 10/1

([8]) البحرالمحيط 147/1 .

واستئثار الفاتحة بالفعل المتعدى بنفسه أنسب وأبلغ لأنه آكد وأقوى من الفعل المتعدى بالجار من جهة وقوع الفعل على المفعول وفى ذلك مناسبة معجمية فالطريق يُهدَى إليه ولابد له من هاد ، والهادى هو الله ، لمن يستحق الهدايةبتدبر أنواع التوحيد الواردة فى السورة الكريمة ، ولا يكون الصراط صراطا إلا إذا كان مستقيما ، وقد وصفت كلمة الصراط فى الآية الكريمة بالمستقيم لتأكيد الهداية إلى هذا الصراط المستقيم أو الطريق القويم وهو صراط الذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى بالهداية والتدبر من المسلمين المتقين وثمة مناسبة معجمية بين الصراط المستقيم والإنعام ، فأكبر نعمة من الله بها على عباده الصالحين هى هدايتهم إلى الصراط المستقيم أو الطريق الواضح الذى لا عوج فيه وهو الإسلام وهذه النعمة هى لغير المغضوب عليهم من اليهود الذين أعرضوا عن الحق تكبراً وحسداً ، ولا للضالين من النصارى البعيدين عن جادة هذا الصراط المستقيم " ومعنى ( غير ) معنى ( لا ) فلذلك رُدت عليها ( ولا ) " [1] وهذا أيضا من المناسبة المعجمية .

مع ما بين المغضوب عليهم والضالين من مناسبة عدم الإنعام ، ومن المناسبة فى السورة ما يسمى ( تناسب التسجيع ) [2] فى أواخر الآي ،ومنه أيضاً انتهاؤها بالمقطع[ ص ح ح ص] فى الكلمات ( العالمين ) و ( الرحيم ) و ( الدين ) و ( نستعين ) و ( المستقيم ) و ( الضالين ) عند الوقف على رءوس الآى .

(ب) العلاقات النحوية :-

جاء آنفا أن بانى الجملة يركب مجموعة من المفردات المعجمية مستعينا بقوانين النحو التى تلزم لذلك ، فالنحو هو انتحاء طرائق العرب فى التركيب ومعناه اتباع القوانين التى تحكم الكلام العربى بحيث تكون مقياساً لكل من يريد أن يركب كلاماً ، إذ إن التركيب هو التعبير الصحيح عن علم النحو [3] ، فالإعراب لا يحصل

---

([1]) معانى القرآن للفراء ، عالم الكتب ( بيروت – لبنان ) ، الطبعة الثانية 1980 ، 8/1 .

([2]) البحر المحيط 152/1– 153 .

([3]) انظر فقه اللغة فى الكتب العربية ، للدكتور عبد الراجحى 209 .

إلا بسبب العقد والتركيب [1] ، والتركيب شرط حصول موجب الإعراب [2] ، والباء فى البسملة حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وكلمة ( اسم ) مجرورة بها وعلامة جرها الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف ، عند البصريين المحذوف مبتدأ ، والجار والمجرور خبره والتقدير : ابتدائى باسم الله ، أى كائن به والباء متعلقة بالكون ، وقال الكوفيون : المحذوف فعل تقديره : ابتدأت أو أبدأ ، والجار والمجرور فى موضع نصب بالفعل المحذوف [3] ، فعلى تقدير البصريين تكون جملة البسملة اسمية ن وعلى تقدير الكوفيين تكون الجملة فعلية " وقدر الزمخشرى – فعلا غير بدأت وجعله متأخراً قال تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو إذ الذى يجىء بعد التسمية مقروء " [4]وهذا يتناسب مع قول ربنا " اقرأ باسم ربك الذى خلق " [5] ومعلوم أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار ، والجملة الفعلية التى فعلها مضارع تفيد التجدد ، وإبقاء المتعلق وحذف المتعلق به شكل من أشكال الإعجاز فى البسملة للدلالة على المعنيين الثبوت والتجدد ، فالبسملة ثابتة متجددة ، ثابتة من الناحية العقدية لأنها فاتحة كل أمر ، ومتجددة من الناحية التطبيقية أو التصديقية لتجدد قولها عند الشروع فى أى عمل ،وعلى الإيمان بكليهما حثنا الإسلام، والرحمن والرحيم صفتان للفظ الجلالة أو بدلان منه ، وعلنا نلحظ هنا أن العلاقة النحوية بين الرحمن الرحيم ولفظ الجلالة هى علاقة الوصف أو البدلية ، والمناسبة المعجمية كما جاء آنفا بين هذه الأسماء هى توحيد الأسماء والصفات ، وهذا ما قصده عبد القاهر الجرجانى بالتعليق ، فالعلاقة الكبرى فى البسملة هى علاقة تربط بين توحيد الأسماء والصفات ، وإعراب هذه الأسماء نعوتا أو صفات ، أو هى علاقة التوافق بين المناسبة المعجمية والوظيفة النحوية .

---

([1]) انظر المفصل فى علم العربية 24 .

([2]) انظر شرح الكافية 33/1

([3]) انظر إملاء ما من به الرحمن 4/1 ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم 9 .

([4]) البحر المحيط 1/ 127

([5]) العلق 1 .

وآية ( الحمد لله رب العالمين ) [1] جملة اسمية بسيطة مكونة من مبتدأ ، وخبر شبه جملة ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت لدلالة أن الحمد ثابت لله سبحانه ، واللام بينهما للاستحقاق ، والجملة غير مؤكدة بـ ( إن ) وعدم تأكيد الكلام أحيانا يكون أبلغ وآكد من تأكيده ، فالذى يحتاج إلى التأكيد دائما هو الشىء غير المؤكد ، والحمد آكد لله سبحانه ولا حاجة هنا للتأكيد وهو أبلغ ، وكون الخبر شبه جملة يؤيد ذلك لأنه يعرب متعلقا بخبر محذوف : تقديره كائن أو مستقر ، أى أن الحمد كائن لله أو مستقر له ولا حاجة معه لتأكيد ، وحسن التركيب هنا أدى إلى حسن البناء ، ووقع آية الحمد بدون ( إن ) على النفس أقوى لاتساقها مع ما قبلها وما بعدها ، وما قيل فى إعراب " الرحمن الرحيم " [2] صفتين أو بدلين من لفظ الجلالة يقال هنا مع ما بينهما من علاقة التوافق بين المناسبة المعجمية والوظائف النحوية ، والإضافة فى ( رب العالمين ) معناها الربوبية التى هى دليل عقلى يفضى بالناس إلى الألوهية لأن معرفة أن الله خالق مدبر تحتم على الناس عبادة هذا الخالق المدبر الذى يدبر شئونهم .

والإضافة فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [3] معناها النحوى الملكية التى يقدرها النحاة بحرف ( اللام ) أى مالك لهذا اليوم وأراها أيضا بمعنى ( فى ) أى مالك فى يوم الدين ، فالوظيفة النحوية للإضافة هنا متعددة لأنها بمعنى ( اللام ) وبمعنى ( فى ) ، وهنا شكل آخر من أشكال الإعجاز فى الفاتحة وهو احتمال الإضافة هنا لمعنيين نحويين ، يترتب عليه تعدد فى المعنى الدلالى فقد يكون مالك الشىء غير موجود فيه بيد أن الله مالك هذا اليوم ، وتواترت الأخبار والأدلة على وجوده سبحانه وتعالى فيه ؛ والمعنيان مقصودان فى الآية الكريمة ، يقول تعالى " وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً " [4] وفى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [5] تقديم واجب للمفعول به ؛ لأنه ضمير

---

([1]) الفاتحة 2

([2]) الفاتحة 3

([3]) الفاتحة 4

([4]) مريم 95

([5]) الفاتحة 5

منفصل لو تأخر لَزِم اتصاله ، فلو أُخر المفعول لَزِم الاتصال فيُقال " نعبدك " ، وثمة علاقة هنا يتضافر فيها النحو والبلاغة ، فقد قال سيبويه وهو يذكر الفاعل والمفعول :" كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم " [1] وتقديم المفعول فى الآية للاهتمام ، وهو ما يسميه علماء البلاغة قصراً " ليكون أدل على الاختصاص ، وللترقى من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود ، فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضوراً " [2] ( الالتفات ) ، فالعبادة مقصورة على الخالق ، والبناء النحوى فى الآية بليغ متماسك ، وما قيل فى العبادة ينسحب على الاستعانة به سبحانه وتعالى ، والتركيب واحد ، ولا عجب أن يتضافر فى هذه الآية الموجزة جداً المناسبة المعجمية مع البناء النحوى المتماسك وبلاغة الأسلوب لتبين المعنى المقصود " وقرنت الاستعانة بالعبادة للجمع بين ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى وبين ما يطلبه من جهته ، وقدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة " [3] .

وقد ورد الفعل ( اهدِ ) فى الفاتحة متعديا بنفسه وهو ما يسمى فى النحو الفعل المجاوز أو غير القاصر ، وهو الذى يصل إلى المفعول بغير حرف جر ؛ ليقع الفعل على المفعول مباشرة ، وهو أمر غرضه الدعاء ، فناسب الفعل – وهو يفيد التجدد – الدعاء المقصود ، وتجدد قراءة الفاتحة فى كل صلاة يترتب عليه تجدد الدعاء ، والعلاقة المباشرة بين الفعل المتعدى والوصول إلى مفعوله بغير واسطة تناسب العلاقة بين الهداية والصراط فالوصول إلى الصراط أو الهداية إليه لابد أن تكون مباشرة مستقيمة لا عوج فيها كما كان تعدى الفعل إلى المفعول مستقيما بغير واسطة ، والإضافة بين " صراط " و " الذين أنعمت عليهم " بمعنى اللام أى تفيد الملكية أى أن هذا الصراط هو للذين ينعم الله سبحانه وتعالى وعليهم بالإسلام لا للمغضوب عليهم ولا الضالين .

---

([1]) الكتاب 1 /34

([2]) تفسير البيضاوى 9/1 .

([3]) البحر المحيط 1/ 142 – 143

(ج ) الربط المادى :

الربط قرينه من القرائن لا تقل أهمية عن غيرها من القرائن فى إحكام السبك أوصياغة الجملة ؛ لأنه كما قال عبد القاهر الجرجانى يجعل الكلام " يأخذ بعضه يحُجَز بعض " [1] وذلك بأن " تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول " [2] ، وهو نوعان مادى ملفوظ ومعنوى ملحوظ ، ويتمثل الملفوظ المادى فى أدوات الربط وغيرها كالضمائر وعناصر المطابقة والإعراب ، ويتمثل المعنوى فى العلاقات الكبرى المدركة بين الجمل ، والروابط المادية التى اشتملت عليها فاتحة الكتاب وقامت بدور الوصل بين المفردات والجمل تتمثل فى حروف الجر والإضافة والتبعية والضمائر والموصول ، فالباء فى البسملة ربطت بين المحذوف ( إن كان اسما أو فعلا ) و " اسم الله " ، وهى تفيد الاستعانة [3] أى أبدأ مستعينا باسم الله ، أو ابتدائي مستعين به ، فحروف الجر تربط بين الاسم والاسم أو بين الفعل والاسم ، واللام بين الحمد ولفظ الجلالة رابط بين الاسم والاسم فلا يقال ( الحمد الله ) بدون اللام لانتفاء الربط ، وغرضها الاستحقاق كما جاء أى الذى يستحق الحمد هو الله .

وفى قوله تعالى " أنعمت عليهم " [4] ربط حرف الجر " على " بين الفعل " أنعم " والضمير " هم " إذ لا يقوى الفعل " أنعم على الوصول إلى المفعول بنفسه فيتصدى الرابط لهذه المهمة ، والإضافة ( التجاور بين المضاف والمضاف إليه ) رابط مادى جاء فى الفاتحة فى ستة مواضع هى ( باسم الله ) ، و ( رب العالمين ) ، و ( مالك يوم الدين ) و ( صراط الذين ) و ( غير المغضوب عليهم ) ولا تخرج

---

([1]) دلائل الإعجاز 78 .

([2]) دلائل الإعجاز 78 .

([3]) من العلماء من ذكر أنها للمصاحبة ، والاستعانة أرجح وأمس بقوله تعالى( إياك نستعين ) ، انظر البحر المحيط 126/1 .

([4]) الفاتحة 7

الإضافة عن كونها بمعنى ( من ) أو ( فى ) أو ( اللام ) والإضافة فى معظمها للملكية بمعنى اللام فالاسم لله ،والرب للعالمين ، والله مالك ليوم الدين ، والصراط للذين أنعم الله عليهم من المسلمين ، والتبعية فى الفاتحة شكل من أشكال الربط المادى ، فالوصف علاقة مادية ظاهرة تربط بين الصفة والموصوف ، والبدل كذلك ثمة علاقة بينه وبين المبدل منه ، فالرحمن والرحيم صفتان للفظ الجلالة فى البسملة أو بدلان منه و ( رب العالمين ) بدل من لفظ الجلالة ، والرحمن والرحيم صفتان أوبدلان فى الفاتحة وكذلك ( مالك يوم الدين ) ، وكلمة ( المستقيم ) صفة للصراط ، و ( صراط ) الثانية بدل مطابق من ( صراط ) الأولى وكل ذلك من أشكال الربط المادى فالوصف من باب إعادة اللفظ بمعناه ، وإعادة اللفظ من طريق المعنى شكل من أشكال الربط المادى فى اللغة العربية ، والبدل المطابق هو من باب إعادة اللفظ للتحدث عنه مرة أخرى أو هو من باب إعادة الذكر ، وإعادة الذكر رابط مادى أيضاً ، هذا ومن أنواع التبعية العطف ، فالواو فى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [1] عطفت قصر العبادة على الله على قصر الاستعانة به سبحانه ، والواو بين ( المغضوب عليهم ) و ( الضالين ) عطف نسق كذلك ، عطف من خلاله بين المغضوب عليهم والضالين فى عدم الإنعام والهداية إلى الطريق الواضح المستقيم ، والواو من أوضح الروابط المادية فى اللغة العربية وأكثرها استخداما للربط بين المفردات والجمل، والموصول واحد من الروابط المادية فى فاتحة الكتاب ، وقد جاء فى الفاتحة فى موضع واحد " صراط الذين أنعمت عليهم " [2] ، فالاسم الموصول ( الذين ) ربط بين ( صراط ) و ( أنعمت عليهم ) ، والضمائر أيضا أحد الروابط المادية الظاهرة فى السورة الكريمة ، وعود الضمير هو مناط ذلك الربط ، ومنها الضمير ( إياك ) وهو واجب التقديم لانفصاله ، والالتفات فيه شكل من أشكال الربط بين ما قبله وما بعده ، والضمير المتصل ( نا ) فى ( اهدنا ) إحالة إلى الضمير المستتر فى( نعبد ونستعين ) والضمير ( هم ) فى ( عليهم ) الأولى عائد على ( الذين ) ، وفى ( عليهم ) الثانية إحالة إلى المغضوب

---

([1]) الفاتحة 5 .

([2]) الفاتحة 7 .

عليهم ، وفى كل ما تقدم من الضمائر أو المحيلات نجد مطابقة بينها وبين ما عادت عليه ، والمطابقة شكل من أشكال الربط المادى الظاهر أيضاً .

ومن خلال ما تقدم نلحظ كيف تضافرت المناسبة المعجمية مع العلاقات أو القوانين النحوية ، وأدوات الربط المادية الظاهرة فى إحكام بناء فاتحة الكتاب ، فجاءت جملها محكمة المبانى على إيجازها ، وهو الذى يسعى إليه بناة الجملة ، ولا يصل منهم إلى الهدف المنشود إلا من له دربة ودراية فى توظيف ذلك كله ، ولا مقارنة بين بناء رب العالمين وبناء البشر .

ثانياً : الفهم

( أ) الربط المعنوى :

إذا كان الربط المادى أحد وسائل بناء الجملة ، فإن فهم الروابط المعنوية ضروري جداً لفهم معنى الجملة ، وذلك بإدراك العلاقات التى تربط معنويا بين مفرداتها المعجمية ، وعن مفهوم الربط المعنوى يقول الدكتور سعيد حسن بحيرى : " كثيرا جدا ما يوجد ربط بلا أداة ربط ، حيث لا يجب أ ن يشار إلى الرابط مورفولوجيا بشكل مستمر ، ذلك أن مفهوم الربط أكثر اتساعا من مفهوم أداة الربط ، كما لا يمكن أن تبحث الروابط منفصلة عن الربط " [1] فالربط المعنوى ربط علائقى يُدرك بالعلاقات التى ليس لها وجود مادى ، هذه العلاقات تقوم بدور الربط بين عناصر الكلام وتجعل منها كلا مفهوماً متناسقاً، وهذا الربط المعنوى ملحوظ ليس ملفوظا ويعرف الربط العلائقى لدى بعض النحاة بالارتباط وهو نشوء علاقة نحوية سياقية بين معنيين دون واسطة لفظية أو هو أشبه بعلاقة الشىء بنفسه ، ومعنى هذا أن الارتباط قرينة معنوية وأن الربط قرينة لفظية وأن الارتباط علاقة موجودة بالفعل وأن الربط علاقة توجد بالقوة [2] ، وكان عبد القاهر من أوائل من تنبه لهذا الفرق بين الارتباط والربط عندما قال " بأن

---

([1]) نظرية التبعية فى التحليل النحوى 100 .

([2]) انظر نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية ، للدكتور مصطفى حميدة 15 .

تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول " [1] ، فالربط المعنوى أو الارتباط معناه العلاقات التفاعلية التى تحكم بناء الجملة دون وساطات لفظية ، كالتفسيرية ، والسببية ، والتفصيل ، وتقدير الحذف ، أما التفسيرية فمعناها أن الشىء بالشىء يفسر ، وقديماً قال المفسرون " القرآن يفسر بعضه بعضا " ، وليس بالضرورى أن تفسر الجملة أو الآية بجملة أو آية أخرى فى نفس النص بل إن الأمر أوسع من ذلك ، فقد تفسر بعض الجمل أو الآيات بجمل أو آيات أخرى فى نصين مختلفين متباعدين ، فعندما يقول ربنا سبحانه وتعالى قال الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ) [2] ، هذه الآية يفسرها قول ربنا سبحانه فى سورة الفجر : كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [3] فالملائكة مصطفون بانتظار أوامر الله ولا يستطيع واحد من البشر أن ينفذ من هذه الصفوف المتراصة المحكمة ) وعندما يقول ربنا سبحانه وتعالى:"فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" [4] يتبادر سؤال إلى الذهن : كيف ذلك ، واليوم يوم حساب ؟ والتفسير فى نفس النص ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [5] فالتفسيرية إحدى علاقات الربط المعنوية التى تربط بين المبانى المعبرة عن المعانى ربطاً غير ملفوظ أو غير مرئى ، وهى عندى أوسع من قول المفسرين " القرآن يفسر بعضه بعضا " ، إذ يمكن تلخيص فكرة التفسيرية فى أن ( النصوص ومحيطاتها يفسر بعضها بعضا ) حيث لا يقتصر الأمر على النصوص ، فمسرح الحدث والتجربة الشعرية وأسباب النزول ليست جزءاً من النص [6] إلا أنها تتدخل بشكل كبير فى تفسير النصوص وشرحها أو فى الوصول

---

([1]) دلائل الإعجاز 78 .

([2]) الرحمن 33

([3]) الفجر 21-22

([4]) الرحمن 39

([5]) الرحمن 41

([6]) على الرغم من أنها نصوص مستقلة مكتوبة ترتبط بالنص المفسر .

إلى المعنى الدلالى الأكبر ، وقد يكون التفسير إشارة أو صمتاً ، فالبكر تستأذن فى نفسها ، وإذنها صمتها ، والصمت هنا أبلغ من القول والتعبير ، لأنه تفسير للإجابة بغير لفظ ، والعلاقة التفسيرية بين البسملة وفاتحة الكتاب علاقة معنوية أو رباط معنوى رائع فالبسملة فاتحة الفاتحة وفاتحة كل أمر " ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيها رواه عنه أبو هريرة وأخرجه الحافظ عبد القادر الرهاوى " كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بباسم الله فهو أبتر "[1] وبيان ذلك فى القرآن نفسه ، فعندما شرع نوح فى ركوب السفينة التى أمره الله سبحانه بصناعتها بأعينه ووحيه قال " اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها " [2] ، وقد قالت ملكة سبأ " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) [3] وثمة ارتباط معنوى إيجابى رائع بين علاقتين من علاقات الربط المعنوى فى البسملة وهما التفسيرية وتقدير الحذف ، فعندما قدر النحاة أو العلماء المتعلق به المحذوف فى البسملة قدروه بـ " أَبْدأُ " أو ابتدائى " وهذا يتناسب مع أن البسملة هى فاتحة أو ابتداء كل أمر ، وعن التفسيرية فى آية الحمد فإن اللام فى ( الحمد لله ) للاستحقاق أي الذى يستحق الحمد هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن لم يستحق الحمد ؟ لأنه رب العالمين خالقهم والمنعم عليهم ومدبر شئونهم وأرزاقهم ، فعلاقة التفسيرية هنا جلية بين مبانى الآية ، وهذه العلاقة تتعدى مفردات الآية ومبانيها إلى كل آيات الإنعام فى القرآن الكريم ، فكل آيات الإنعام هى تفسير للسؤال السابق ولآية الحمد ذاتها ، فنعم الله لا تحصى وكل نعمة من هذه النعم تستوجب حمد الله والثناء عليه ، وثمة علاقة هنا بين التفسيرية والسببية وكلاهما من علائق الربط المعنوى ، والسببية هى علاقة يتوصل من خلالها إلى الشىء بغيره ، والنعم أحد أسباب الحمد ، وإذا نظرنا إلى كل آيات القرآن الكريم التى تبدأ بقوله تعالى ( الحمد لله الذى ) نجدها تتحدث عن الحمد متلوا بسبب من أسبابه ففى سورة الأنعام " الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات

---

([1]) روح المعانى 66/1 وانظر البيضاوى 6/1 .

([2]) هود 41 .

([3]) النمل 29 – 30 –31 .

والنور " [1] وفى سورة الأعراف " الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله " [2] وفى إبراهيم " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق " [3] وفى الكهف " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " [4] فلكل هذه الأسباب نحمد الله سبحانه وتعالى والعلاقة فى آية الحمد بين التفسيرية والسببية رائعة تتضح من خلال الآيات التى تتحدث عن النعم فى القرآن الكريم ، فهى تفسير الحمد وسببه وعن التفسيرية فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [5] فقد جاء فى سورة غافر " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار " [6] وعن قصر العبادة على الله فى قوله تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين"يقول ربنا فى سورة الذاريات : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " [7] ، والتفسيرية فى قول ربنا " اهدنا الصراط المستقيم " [8] مرتبطة بكل آيات الهداية فى القرآن الكريم فكل هذه الآيات تتحدث عن أن الهادى هو الله ولا هادى غيره ، والآيات كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها ، وبينها وبين هذه الآية علاقات تفسيرية وتناص .

وفاتحة الكتاب هى تفصيل للحمد الذى هو الثناء على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله وهى تفصيل لأنواع التوحيد : الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتفصيل لطوائف العباد من المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين ، والتفصيل هذا يرتبط ارتباطا وثيقاً بكل آى الكتاب العزيز التى تتحدث عن أنواع التوحيد ، وحمد الله والثناء عليه وطوائف العباد .

---

([1]) الأنعام 1 .

([2]) الأعراف 43 .

([3]) إبراهيم 39 .

([4]) الكهف 1 .

([5]) الفاتحة 4 .

([6]) غافر 16 .

([7]) الذاريات 56

([8]) الفاتحة 6

وجاء تقدير الحذف فى فاتحة الكتاب فى خمسة مواضع أولها تقدير المحذوف فى البسملة ب ( أبدأ ) أو ( ابتدائى ) وثانيها تقدير مبتدأ محذوف بـ ( هو ) عند قطع النعت عن المنعوت فى قول ربنا ( الرحمن الرحيم ) سواء فى البسملة أو فى فاتحة الكتاب ويكون إعراب الرحمن والرحيم خبرين لمبتدأ محذوف ، ويمكن فى نفس الموضع إعراب الرحمن مفعولا به لفعل محذوف تقديره ( أمدح ) [1] ، والثالث تقدير خبر محذوف فى قول ربنا ( الحمد لله ) بكائن أو مستقر يتعلق به الجار والمجرور وأرى أن تقدير المحذوف هنا كائن أو مستتر أو مستحق ، والرابع الفاعل المستتر وجوبا الذى تقديره ( نحن ) فى قوله تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين " [2] ففاعل الفعلين نعبد ونستعين مستتر تقديره ( نحن ) و الخامس الفاعل المستتر وجوبا فى الفعل اهدنا وتقديره ( أنت ) ، وتقدير كل هذه المحذوفات من الروابط المعنوية فتقدير ( أبدأ ) أو ( ابتدائى ) ربط بين المقدر المحذوف والجار والمجرور ( بسم ) وإلا لما تعلق الجار والمجرور بشىء ، ولتأكيد " أنه موطن ينبغى ألا يقدم فيه سوى ذكر الله تعالى ، فلو ذكر الفعل .. لم يكن ذكر الله مقدما " [3] وعند قطع النعت عن المنعوت تعرب ( الرحمن ) خبر مرفوعا ، أو مفعولا به منصوبا لفعل تقديره أمدح وفى كلا التقديرين ربط معنوى فإذا قدرنا ( هو ) فذلك إقرار بتوحيد الأسماء والصفات أى هو الرحمن الرحيم ، وإذا قدرنا ( أمدح ) فثمة تناسب فى المعنى بين ( الحمد لله ) ( وأمدح الرحمن ) فحمد الله هو المدح أو الثناء على الله بما هو أهله وإن كان الحمد أعم ، ولذا كان تقدير الحذف رابطا معنويا هنا ، وثمة رباط معنوى رائع بين استتار ( نحن ) فى الفعلين نعبد ونستعين ، واستتار ( أنت ) فى الفعل ( اهد ) أو بين ( نحن ) و ( أنت ) من عدة أوجه : أولها تقديم المستتر (نحن ) فى الجملة على المستتر ( أنت ) لأن العبادة من البشر هى التى توصل إلى الهداية من الله ، ثانيها أن العلاقة بين ( نحن )

---

([1]) " نصبهما أبو العالية وابن السميقع وعيسى بن عمر ورفعهما أبو رزين العقيدى والربيع بن خيثم وأبو عمران الجونى ... والنصب والرفع للقطع " البحر المحيط 132/1 .

([2]) الفاتحة 5

([3]) البحر المحيط 129/1 .

و ( أنت ) هى علاقة العباد برب العباد وهو التوحيد الذى تتحدث عنه فاتحة الكتاب ، ثالثها اقتران ( نحن ) بالعبادة والاستعانة واقتران ( أنت ) بالهداية وهذا ديدن العباد فى الكون عبادة لله وتوكل عليه أو استعانة به ثم الهداية من عند الله سبحانه يهدى إليه من يشاء .

(ب ) قرائن التعليق :

القرائن فى اللغة العربية نوعان لفظية ومعنوية ، وقد جاء فى حاشية العليمى على شرح التصريح على التوضيح [1] أن أهم قرائن منع البس القرينة اللفظية نحو ضرب زيد عَمرا ( يقصد الإعراب ) ، وقتلت سلمى موسى ( يقصد أن اتصال الفعل بالتاء دليل لفظى على أن الفاعل فى الجملة هو سلمى ) ، والمعنوية كأرضعت الصغرى الكبرى ، وأكل الكمثرى موسى ( ويقصد هنا القرينة العقلية فدائما الكبرى هى التى ترضع الصغرى ومن شأن الكمثرى أن تكون مأكولة أى مفعولا وليس فاعلاً وإن تقدمت على الفاعل ) ، ونوع القرائن الذى يسهم فى فهم الجملة هو القرائن المعنوية ، كقرنية الإسناد ،وقرينة التبعية ، والإضافة ، والحال ، والعهد ، وكلا النوعين اللفظية والمعنوية يتضافر مع غيره من القرائن فيفهم كل منهما من خلال فهم الآخر ، وقد يقول قائل إن التبعية والإضافة جاءا ضمن الروابط اللفظية المادية ، أمادية هى أم معنوية ؟ وأقول ثمة أشياء تدخل فى البناء والفهم معاً ومنها التبعية والإضافة ، فجعل المضاف والمضاف إليه فى الجملة فى تركيب أفقى بناء ، ومحاولة التوصل إلى العلاقات بينهما فهم ، ووصف الكلمة أو توكيدها أو أن تبدل منها كلمة أخرى كل ذلك يجريه البانى ، والذى يحاول الفهم يبحث عن العلاقات بين هذه التوابع ومتبوعاتها ، يقول عبدالقاهر الجرجانى : " معلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن تكون للفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ، ويراعى هنالك أمر يصل إحداهما بالأخرى [2] " والقرينة العقلية هى أوضح قرائن التعليق فى فاتحة الكتاب ، فبالعقل عرفنا الأدلة الكونية الدالة على وجود الله ، وبالعقل نميز أن خالق هذه

---

([1]) انظر شرح التصريح على التوضيح بحاشية العليمى 281/1 .

([2]) دلائل الإعجاز 263 .

الموجودات ومقدر هذه الأكوان هو الذى يستحق الحمد ، وبالعقل عرفنا أنه رب العالمين ، ومدبر حياتهم ، وبالعقل نصل إلى أن الذى يَخلق ويَرزق هو الذى يُعبد ولا أحد غيره وهو المستعان ، وهو الذى يدعى فيجيب وله الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وقد حثنا ربنا سبحانه وتعالى على فهم الأشياء والتدبر فيها من خلال هذه القرينة العقلية ، وكل الآيات القرآنية التى تشتمل على تصاريف التفكر والتدبر والتذكر دليل على ذلك وهى كثيرة جداً فى القرآن الكريم منها " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " [1] ويقول سبحانه " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب " [2] ودليل الحث على إعمال هذه القرينة فى تفسير القرآن وفهم العلاقات بين مبانيه " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " [3] .

والإسناد قرينة معنوية من قرائن التعليق فى فاتحة الكتاب ومعناه نسبة شىء إلى شىء آخر ، والمسند إليه فى الجملة الاسمية هو المبتدأ و المسند هو الخبر ، وفى الجملة الفعلية المسند إليه هو الفاعل والمسند هو الفعل ، فيتحدث فى الجملة الاسمية عن المبتدأ بالخبر ، ويتحدث فى الفعلية عن الفاعل بالفعل ، وكلا الفعل والخبر وصف أو خبر فى المعنى ، أى أن بين الجار والمجرور ( بسم ) والمقدر المحذوف ( ابتدائى ) علاقة إسناد ، وبين ( الحمد ) والجار والمجرور (لله) علاقة إسناد وبين ( نعبد ) والمستتر ( نحن ) علاقة إسناد وكذلك فى جملة ( نستعين ) ، وبين الفعل ( اهد ) والمستتر وجوبا ( أنت ) علاقة إسناد ، وكل هذه الإسنادات فى فاتحة الكتاب هى قرائن تعليق ، ينسب فيها المسند الخبر إلى المسند إليه المبتدأ ، وينسب فيها المسند الفعل إلى المسند إليه الفاعل .

ومن قرائن التعليق أيضاً قرينة العهد ، والعهد معناه فى الجملة الاسمية الشأن أى من شأن المبتدأ أن يكون معروفاً للمتكلم والسامع ومن هنا اشترط النحاة أن يكون

---

([1]) البقرة 219

([2]) آل عمران 190.

([3]) النساء 82 .

المبتدأ معرفة أو نكرة واللبس معها مأمون ، ومن شأن الخبر أن يكون معروفا للمتكلم ( المخبِر بالخبر ) مجهولا للسامع ( المخبَر بالخبر ) وهذا معنى الإفادة التى هى مطلب من مطالب الاتصال اللغوى بين البشر ، ولذا اشترط للكلام النحوى الإفادة لأنها المطلوب منه ، وفاتحة الكتاب تبدأ بـ ( الحمد ) وهو معروف للمتكلمين والسامعين لأنه من ألفاظ العرب والقرآن نزل " بلسان عربى مبين " [1] أى بلغة عربية واضحة لا غموض فيها ولا لبس ، وأما الخبر الذى يريد أن يخبر به رب العزة سبحانه وتعالى هو أن الحمد لله كائن أو مستقر أو مستحق له ؛ لأنه رب العالمين ولأنه الرحمن الرحيم ، أما التبعية فهى قرينة من قرائن التعليق تشمل الوصف والبدل والتوكيد فعندما نتحدث عن تراص أو تجاور الموصوف والصفة أو المبدل منه والبدل أو المؤكَد والمؤكِد بشكل أفقى فذلك من أعمال بناة الجملة الذين يركبون هذه المفردات أفقيا قاصدين معنى معيناً ويتركون محاول الفهم يفهم حسبما يشاء أو وفق القوانين المقررة فى عقله ، وقد يصيب معنى البانى وقد يخطئه بحسب وضوح العلاقات بين المفردات أو غموضها ، أى أن التجاور الأفقى شكل من أشكال التركيب وكون الكلمة صفة أو بدلاً أو توكيداً فهذا ربط مادى ظاهر ، أما فهم العلاقات الكبرى بين هذه المفردات أو التى تتخلل هذه الإجراءات فهذا هو التعليق المقصود هنا ، فهو أكبر من مجرد تركيب أفقى أو تجاوز مفردات ، ويتخطاه إلى ما هو أعمق من ذلك كله ، فالعلاقة بين لفظ الجلالة ( الله ) واسمى ( الرحمن والرحيم ) أكبر من مجرد كونهما صفتين أو بدلين من لفظ الجلالة ، وإنما هى علاقة كبرى وصلنا من خلالها إلى معنى أكبر هو التوحيد ومعرفة الأسماء والصفات .

(ج) المعنى الدلالى الأكبر :

المعنى الدلالى الأكبر هو الهدف الأول الذى يسعى إليه اللغويون من بناة وفهامين ، وهو حصيلة ثلاثة أشياء هى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى والمقام أو مسرح الحدث أو أسباب النزول فى القرآن الكريم ، ويكاد يسهم كل ما تم تناوله من

---

([1]) الشعراء 195 .

مناسبة معجمية أو علاقات نحوية أو ربط أو ارتباط أو تعليق فى التوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب وهو اشتمالها على أنواع التوحيد الثلاثة وهو سر عظمتها ، ولذا قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى من حديث ابن المعلى " الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته " [1] ويستخلص المعنى الدلالى الأكبر من إنعام النظر فى سياقين هما سياق المقال وسياق الحال ( المقام ) أما سياق الحال أو ( المقام ) فهو كل ما يحيط بالنص المكتوب ويسهم فى الوصول إلى المعنى ، ويمكن ( لتطبيق كيف يتوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر ) تقسيم فاتحة الكتاب إلى ثلاث جمل كبرى نفهم من خلالها المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب كاملة بوصفها وحدة واحدة متماسكة من خلال هذه المتضافرات السابقة ، وليس معنى ذلك أن كل هذه الإجراءات تسهم مجتمعة فى فهم كل جملة ، فقد يكتفى ببعضها فى التوصل إلى المعنى الدلالى لجملة ما ، ويسهم بعضها الآخر فى التوصل إلى المعنى الدلالى لجملة ثانية وهكذا ، وسيتضح ذلك بالتطبيق الآتى :

( الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ) [2]

1- المناسبة المعجمية : تناسب فيها عموم الحمد وهو أعم من الشكر مناسبة معجمية رائعة مع عموم التوحيد فى لفظ الجلالة واللام بينهما للاستحقاق ، وتناسب اسما ( الرحمن الرحيم ) بمناسبة توحيد الأسماء والصفات مع الله ورب العالمين ومالك يوم الدين ( الملك ) ، وتناسب ( مَلِك ) بمناسبة " توافق الابتداء والاختتام فى قوله " ملك الناس " [3] .

2- النحو أو التركيب : ( الحمد ) مبتدأ و ( لله ) جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف ، وما بعدهما نعوت أو أبدال ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت ، أى أن الحمد ثابت مستقر لله .

---

([1]) صحيح البخارى كتاب التفسير 97/3 ، وباب فاتحة الكتاب 228/3 .

([2]) الفاتحة 2-3-4 .

([3]) البحر المحيط 138/1 .

3- الربط المادى : اللام بين الحمد ولفظ الجلالة ربطت بينهما ، وتجاور المضاف والمضاف إليه أفقيا فى ( رب العالمين ) نوع من الربط الظاهر ، وكذلك التجاور بين النعوت أو الإبدال ومتبوعاتها فى الجملة .

4- الربط العلائقى : آية الحمد ترتبط بعلاقات وثيقة بكل الآيات التى تتحدث عن نعم الله فى الإنسان وفى الكون وبينها وبين هذا الآيات علاقات تفصيلية وتفسيرية .

5- العهد ( الإسناد ) : من شأن المبتدأ أن يكون معروفاً للمتكلم والسامع كليهما ومن شأن الخبر أن يكون معروفا للمتكلم مجهولا للسامع ، والخبر مسند إلى المبتدأ " أى الحمد المعروف بينكم لله " [1] .

6- المعنى الدلالى الأكبر : من خلال ذلك كله نتوصل إلى أن الذى يستحق الحمد هو الله سبحانه وتعالى ، لأنه الخالق والرازق والحمد ثابت لله فى جميع الأحوال وهو مستحق له سبحانه ، وأن أنواع التوحيد ثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

" إياك نعبد وإياك نستعين " [2]

1- المناسبة المعجمية : العبادة لا تكون إلا لأله والاستعانة لا تكون إلا بإله وهو الله سبحانه وتعالى لا إله غيره .

2- النحو والتركيب : ( إياك ) مفعول به وهو ضمير منفصل يجب تقديمه ولو تأخر اتصل ، و ( نعبد ونستعين ) فعلان مضارعان استتر فيهما الفاعل ( نحن ) وجوباً ، والفعل المضارع يفيد التجدد فالعبادة لله وستكون لله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وتكرار ( إيا ) لقصد العبادة والاستعانة معاً على الله وحده .

3- الرتبة : تقدم المفعول به على الفعل والفاعل للاهتمام والقصر أى قصر العبادة على الله وحده ، والتقديم واجب للتنبيه " على أن العابد ينبغى أن يكون نظره إلى المعبود أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه " [3] .

---

([1]) البحر المحيط 131/1 .

([2]) الفاتحة 5 .

([3]) البيضاوى 10/1 .

4- الربط المادى : الضمير ( إيا ) ربط ربطا رائعا – من خلال الالتفات ( وهو التحول من الغيبة إلى الخطاب ) – بين جزأى السورة الكريمة ، " ذلك أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لليوم المذكور أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره أنه وغيره يعبده ويخضع له " [1] .

5- الإسناد :- فى الفعلين نعبد ونستعين فاعلان مستتران وجوباً يسند إليهما فعلا العبادة والاستعانة .

6- الربط العلائقى :- بين هذه الآية والآيات التى تتحدث عن العبادة فى القرآن الكريم علاقات تفسيرية وسببية وتناص وكذلك بينها وبين أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى تتحدث عن ذلك .

7- المعنى الدلالى الأكبر : هو قصر العبادة والاستعانة على الله سبحانه وتعالى ، وتكرار ( إيا ) لقصدهما معاً ، وأن العبادة هى التى توصل إلى الاستعانة ومن ثم الإجابة .

(اهدنا الصراط المستقيم*صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين) [2]

1- المناسبة المعجمية :- الصراط يهدى إليه ولا بد له من هاد ، ولا يكون الصراط صراطاً إلا إذا كان مستقيماً ، والصراط المستقيم يتناسب مع المنعم عليهم وليس مع المغضوب عليهم ولا الضالين .

2- النحو والتركيب : الفعل ( اهد )متعد بنفسه أى يصل إلى المفعول به مباشرة بغير وساطة أو بغير حرف الجر كذلك العلاقة بين الهداية والصراط لابد أن تكون مباشرة مستقيمة لا عوج فيها .

3- الربط المادى : الضمير ( نا ) فى ( اهدنا ) إحالة إلى الضمير المستتر ( نحن ) في ( نعبدونستعين ) ، والإحالة ربط مادى ظاهر والضمير ( هم ) فى عليهم عائد على (الذين )

---

([1]) البحر المحيط 141/1 .

([2]) الفاتحة 6-7 .

4- الإسناد :- بين الفعل ( اهد ) والفاعل المستتر وجوباً ( أنت ) علاقة إسناد مفادها أن الهداية تسند إلى الله سبحانه وتعالى .

5- الربط المعنوى : هاتان الآيتان بينهما وبين آى الكتاب العزيز علاقات تفسيرية وتناص يقول الله تعالى " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " [1] ويقول سبحانه وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " [2] .

6- المعنى الدلالى الأكبر : أن الله يهدى إليه من يشاء فهو الهادى الذى يهدى إلى الصراط المستقيم وهذا الصراط للذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى بالهداية وليس للمغضوب عليهم ولا الضالين .

ويكون المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب إجمالاً أن الحقيق بالحمد هو الله الأحد لكونه تعالى رب العالمين موجدهم والمنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة ، ولأنه مالك أمورهم يوم الدين .

---

([1]) القصص 56 .

([2]) الأنعام 153 .

## خلاصة البحث

1-بانى الجملة ومحاول فهمها يحتاج كل منهما إلى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى ( النحوى ) أو القواعد النحوية المقررة بالإضافة إلى كل ما يحيط النص وهو المقام للتوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر ، بيد أن الأول يحتاج إلى هذه الثلاثية للكتابة أو البناء ، والثانى يحتاجها للفهم أى أن وسائل أو آليات العمل واحدة والهدف مختلف .

2- عندما يحاول الناقد أو المحلل فهم الجملة أو نقدها يترجم ذلك كله فى صورة جمل هى بدورها مبان تحتاج إلى من يفهمها ، وبذلك تستمر هذه الثنائية المتلازمة بين البناء والفهم بدون توقف ، وبذلك يمكن القول إن البناء فهم والفهم بناء .

3- ثمة فرق بين المعنى المعجمى والمناسبة المعجمية ، أما المعنى المعجمى فهو معنى الكلمة خارج السياق وهو ما نراه بين دفتى كل معجم ( وليس معنى ذلك أن الكلمة خارج السياق لا معنى لها بل لها معنى مقرر بحسب الأصل ، وقد يتغير هذا المعنى عند الاستعمال ) ، والمناسبة المعجمية هى علاقة بين المفردات يتناسب فيها المعنى المعجمى لكل مفردة مع المعنى المعجمى للمفردة المتراكبة معها .

4- الربط المعنوى أو الارتباط معناه العلاقات التفاعلية التى تحكم بناء الجملة دون وساطات لفظية .

5- المناسبة المعجمية والقواعد النحوية أو المعانى الوظيفية وأدوات الربط الظاهرة والارتباط والتعليق أو تنسيق دلالات الألفاظ فى العقل كل ذلك يوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر لأى سياق مقالى .

6- لا تقوى قرينة بعينها أو فكرة من الأفكار السالف ذكرها بمفردها على الوصول إلى المعنى الدلالى الأكبر لأى نص ، فالمعنى الأكبر يتوصل إليه بتضافر كل هذه الأفكار والإجراءات .

7- ينبغى أن تفهم النصوص وفق العلاقة بين البناء والفهم بالسير فى خطين متوازيين أحدهما للبناء والآخر للفهم ، وصولاً إلى العلاقة بينهما ، ومن ثم الوصول إلى الأهداف الكبرى لهذه السياقات المقالية .

ثبت المراجع


1- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه.

2- إملاء ما من به الرحمن ، للعكبرى ، المكتبة التوفيقية .

3- البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسى ( المتوفى 745 هـ ) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1993م .

4- البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ، بتحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2006 م .

5- تفسير أبى السعود ، للقاضى أبى السعود محمد بن محمد العمادى ( المتوفى 951 هـ ) الطبعة الأولى دار إحياء التراث ، بيروت .

6- تفسير البيضاوى ، لناصر الدين البيضاوى ( المتوفى 791 هـ ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1988 م .

7- تفسير القرطبى لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربى 1985 م .

8- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، المكتبة التوفيقية .

9- روح المعانى للآلوسى ( شهاب الدين السيد محمود الآلوسى ( المتوفى 1270 هـ ، دار الفكر ، بيروت 1983 م .

10- شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية .

11- شرح الكافية ، للرضى ، الشركة الصحافية العثمانية 1310 هـ .

12- صحيح البخارى بحاشية السندى ، للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار المعرفة ، بيروت .

13- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى بتحقيق البارون ، المكتبة التوفيقية .

14- فقه اللغة فى الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2000 م .
15- مختار الصحاح ، للإمام عبد القادر الرازى ، دار المنار .
16- معانى القرآن ، للقراء ( أبو زكريا يحيى بن زياد ) ( المتوفى 207 هـ ) الطبعة الثانية ، عالم الكتب بيروت لبنان 1980 م .
17- المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت .
18- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية ، للدكتور مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر 1997 م .
19- نظرية التبعية فى التحليل النحوى ، للدكتور سعيد حسن بحيرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1988 م .

الفصل الخامس

# ظلال المعاني في سورة القصص

**( دراسة على مستوى النص )**

## ***توطئـة :***

**إن ما قدمه لنا عبد القاهر الجرجاني من دراسات للنظم والتعليق في دلائل الإعجاز يعد إشارات ذكية إلى المنهج الذي يجب على النحاة أن يتبعوه في دراستهم للنحو ، حيث "** *عنى عبد القاهر بشرح دلالات الألفاظ واختلافها باختلاف مواقعها في الجمل ، كما وسع دائرة النحو ليشمل علم المعاني وبعض المحسنات البديعية والبيانية* **"** [1] **"** *وقد ركز في دراسته على الاهتمام بما بين السطح والمحتوى من علاقات ، وأن مواطن الجمال والقبح يتركزان في علاقة الأجزاء بعضها ببعض ، وعلاقة كل جزء بالكل* **"** [2]**، "** *إلا أنه في تدليله على نظريته اقتصر على الأبيات المفردة المعزولة عن سياقها النصي ، ولم يتناول نصّاً مكتملاً* **"**[3] **، وقد عنيت دراسات علماء المعاني بمعاني التراكيب والجمل ، في حين عنيت دراسات النحويين بالتحليل ومعاني الأبواب الفرعية التي في داخل الجمل ، وقد تحدث علماء التفسير في أسباب النزول ، وأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فيما سُمِّيَ بالتناص ، "** *ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعني يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة* **"** [4] **، "***والأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب ، وإن كان موضوعها قد تشعب إلى مستويات عدة ، وأصبح لها أهداف واتجاهات متنوعة واختلطت بعلوم أخرى لا تخص المجال اللساني إلا أنها أصبحت هي صلة اللسانيات بالأدب ونقده ، وبها ننتقل من دراسة اللغة جملة إلى دراسة اللغة نصّاً* **"**[5] **ودمج كل هذه الأفكار مجتمعة يعنى ما يسمي في الدرس الحديث نحو النص ، وهو " نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما**

---

(1) النقد الأدبي الحديث ، لمحمد غنيمي هلال 276 .

(2) الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) للدكتور/ عز الدين إسماعيل 199 .

(3) منهج في التحليل النصى للقصيدة (تنظير وتطبيق) للدكتور /محمد حماسة عبد اللطيف ، مجلة فُصُول ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني 1،115/1996 .

(4) اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور/ تمام حسان 337 .

(5) الأسلوبية وتحليل الخطاب ، منذر عياش 69 .

**وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة ، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي يبدأ من علاقات ما بين الجمل ، ثم الفقرة ، ثم النص أو الخطاب بتمامه "[1] ، " والنقلة من نحو الجملة إلى نحو النص ليست مجرد نقلة حجمية من الجملة إلى النص وإنما أيضاً نقلة في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه ، بحيث إذا كانت الجملة وحدة نحوية فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع وإنما هو وحدة من نوع مختلف ، وحدة دلالية ، الوحدة التي لها معنى في سياق هذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل ، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة "[2].**

**إن نحو النص يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ، ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي[3]، وهو يختلف عن الجملة اختلافاً بيناً ، حيث يحدد نحو الجملة مجموعة من القواعد للدراسة محاولاً إثباتها من خلال النماذج التي يمكن أن تصنع من أجل ذلك ، أما نحو النص فيدرس النص المنجز فعلاً من حيث هو بنية كلية موضوعة في مقام ما أو سياق ما لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، ولهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد التي تعترف للنص بنصيته ، ولا شك أن بعض الموضوعات والقضايا تشترك بين نحو الجملة ونحو النص غير أن التطبيق سوف يختلف وكذلك النتائج[4].**

*المعنى وظل المعنى :*

**لابد أن يكون المعنى هو الهدف الأخص لنحو النص "** *لأن كل دراسة لغوية . لا في العربية الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم – لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة*

---

[1] العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، للدكتور / سعد مصلوح ص407 .

[2] البديع بين البلاغة العربية ، واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد 68 .

[3] علم لغة النص ، للدكتور / سعيد حسن بحيري 143 .

[4] نحو النص ( اتجاه جديد في دراسة النحو العربي ) للدكتور / أحمد عفيفي ، صحيفة دار العلوم ، العدد 16 ديسمبر 2000، ص302 .

*هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبني بالمعنى* "[1]، **وللوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لابد أن نستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة من صوتيات وصرف ونحو ومعجم والحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعني الدلالي ، فوضوح معاني المفردات لا يكشف عن المعنى الحرفي الذي يُسمي ظاهر النص أو معنى المقال لأن التعامل حينئذ يكون مع المفردات لا مع النص كله ، وانفراد العلاقات بين المفردات ومعانيها يجعل الأمر بحاجة إلى معني المقام أو المعنى الاجتماعي الذي هو شرط لاكتمال المعنى الدلالي الأكبر ، ومعنى هذا أننا حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ومن تحليل العلاقات بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم لا نستطيع أن ندعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعي أو المقام ، فهو ضروري جداً لفهم المعني الدلالي** [2] .

**ومعنى هذا أن المعنى الحرفي للمفردات غير كاف لفهم ما قيل لأنه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن التي تدخل في تكوين المقام ، وإن الكثير من نصوص التراث العربي قد جاء غامضاً لأن الذين رووا هذه النصوص لم يعنوا بإيراد وصف كاف للمقامات التي أحاطت بها ، ومن ثم ينبغي أن نبذل الجهد مضاعفاً عند التصدي لشرح هذه النصوص حتى نستطيع إعادة بناء المقام**[3]، **ذلك أن** " *المعنى لا يستدل عليه بالألفاظ فحسب وإنما تتعدد وسائل الدلالة عليه بحيث تشمل الأحداث والمواقف والانطباعات وما يكون من تجريدات ذهنية تحدث عند إدراك المعنى بأي وسيلة مما سبق* "[4].

*والمعنى ثلاثة أنواع :* **معنى معجمي تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم ، ومعنى وظيفي تكشف عنه المباني التحليلية للغة ، أي عندما تقع الكلمة موقع الفاعل**

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور / تمام حسان 9 .

[2]

[3]

[4]

**وتؤدي وظيفته في الكلام تكون الفاعلية هي المعنى الوظيفي لهذه الكلمة وكذا إذا وقعت الكلمة موقع المفعول به ، ثم المعنى الدلالي أو المقامي وهو المعنى الذي لا يقف عند تحليل تركيب المقال أو النص ولا عند معاني كلماته المفردة وإنما يتعدى ذلك إلى دور المقام في تحليل المعنى ، أما من ناحية الإدراك فينقسم المعنى إلى ثلاثة أنواع أخر[1]: الأول عرفي والثاني ذهني والأخير انطباعي ، أما العرفي فهو ما تدل عليه العناصر اللغوية من الأدوات والصيغ الصرفية والأسماء والأفعال ومفردات المعجم وصور الجمل المختلفة وكل ما يشتمل عليه العرف من العناصر ، وأما الذهني فهو الذي يعتمد على الاستنباط ويلخصه لفظ (إذن) والمعنى الانطباعي هو الذي يعتمد على رد الفعل باعتبار ما يثيره في النفس من انفعال ، وليس من شأنه أن يتوقف على عرف أو على إدراك ذهني وإنما يتوقف على رد الفعل المباشر .**

---

(1) انظر :اللغة العربية معناها ومبناها 341 .

(2) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص373 .

(3) ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان 1 .

(4) انظر : البيان في روائع القرآن ، للدكتور / تمام حسان 426/1 .

**ويستدل على المعنى العرفي في عمومه بواسطة سياقين : سياق النص ، وسياق الموقف (المقام) أما المقصود بسياق النص فهو الجانب القولي بما فيه من عناصر التركيب وما ينتظم به من تصنيف وتأليف ، وعلاقات ، وقرائن ، ومعاني مفردات ، وأما المقصود بالموقف فهو ما يصاحب المنطوق من عناصر تداولية توصف بأنها عناصر الموقف ، يسميها المفسرون (أسباب النزول) ، ويسميها شراح النصوص (المقام) ، وهو عظيم الفائدة في التوصل للمعنى الدلالي فقد نجد النص واضح الصياغة ولا يتحقق فهمه إلا بعد التقديم له بذكر الظروف والملابسات التي دعت لنظمه ومن عناصر الموقف ما إذا كان الأداء لغوياً فقط أو كان مصحوباً بجانب حركي ، ومن عناصر الموقف مستقبِل النص**

---

(1)

فرداً كان أو جماعة وظروف قوله وما تركه من أثر في النفوس ، وعلاقة المبدع بالمتلقي[1] .

وبعد إدراك المعنى من خلال تحليل الوظائف في النص على مستوى الأصوات والصرف والنحو ، وما يصاحب المنطوق من عناصر الموقف عندئذ نستطيع أن نفهم العلاقة بين المعنى وظل المعنى ، ذلك أنه لا يمكن فهم ظل المعنى إلا بعد فهم المعنى الذي هو ظله فهماً مكتمل الجوانب على جميع المستويات .

والريادة الحقيقية في التفريق بين المعنى وظل المعنى يمكن نسبتها إلى عبد القاهر الجرجاني وذلك لأنه قدم في عصور مبكرة لمصطلح أصبح مألوفاً في الدراسات اللغوية والنقدية في القرن العشرين وهو معنى المعنى، يقول الجرجاني " *هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعنى بالمعني المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر* "[2] ، وقد قسم الجرجاني الكلام على ضربين : ضرب نصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده كأن نخبر عن زيد مثلاً بالخروج (على الحقيقة) فنقول خرج زيد ، وضرب آخر لا نصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده . ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية نصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر – عنده – على الكناية والاستعارة والتمثيل ، ومَثَّل عبد القاهر لمعنى المعنى بقول العرب : " *فلان كثير رماد القدر* " وفيه لا يُقصد المعنى المأخوذ من ظاهر اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره (المعنى السطحي) أو المعنى غير المقصود ، ثم يتوصل السامع أو القارئ من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال إلى معنى ثانٍ هو المقصود[3] ، وبين المعنيين غير المقصود والمقصود سلسلة أو طائفة من المعاني يُتوصل من أحدها إلى الآخر لنصل في النهاية إلى المعنى المقصود ، فعندما نقول فلان كثير الرماد أو كثير رماد القدر فإن ذلك يدلنا على طائفة من المعاني نتوصل من خلالها إلى المعنى المقصود ، فكثرة الرماد تعني إيقاد قدر كبير من الحطب تحت القدور ، وقد تعنى أن الزوجة كسول لا

---

[1] انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم للدكتور / تمام حسان (2) .

[2] دلائل الإعجاز ص177 .

[3] انظر : دلائل الإعجاز ص177 .

**تقوم بتنظيف الموقد أولاً بأول مما يؤدي إلى تراكم الرماد تحت القدر أو تدل على إسراف الزوجة في استخدام كميات كبيرة من الحطب لإيقاد القدر أو على عدم خبرتها في عملية الإيقاد هذه ، وقد تعنى أن عملية الطهي لا تتوقف مما لا يعطي فرصة للزوجة لتقوم بتنظيف الموقد ، وهو يعنى أن هذه الأسرة تقوم بإعداد الطعام كثيراً مما يدل على كرم ضيافة هذه الأسرة وهكذا توصلنا إلى المعنى المقصود مروراً بعدة معان يمثل كل واحد منها ظلاً للمعنى السابق عليه ، والمعنى وظل المعنى هو ما عناه حازم القرطاجنى بالمعاني الأُول والمعاني الثواني حين قال في منهاج البلغاء** "*ولنسم المعاني التي تكون من الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأُوَل ، ولنسم المعاني التي ليست من الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك واستدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأول بها أو ملاحظة وجه يجمع بينها على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثواني* "[1] ، **وإذا نظرنا إلى موقف السكاكي من البيان وجدنا أن موقفه من الحقيقة والمجاز لا يختلف في جوهره عن موقف عبد القاهر ، يقول السكاكي :** "*الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع* "[2]، **أما بالنسبة لاستخدام اللفظ على المجاز فهو يتفق أيضاً مع الجرجاني في أن الدلالة المجازية هي دلالة عقلية يتم التوصل إليها عن طريق القرائن داخل النظام أو النسق اللغوي ، فبينما يقوم الاستخدام على الحقيقة على المعنى المعجمي للفظ ، دون قرينة ، يعتمد الاستخدام المجازي على القرائن داخل النص[3] ، والواقع أن أفكار البلاغيين العرب عن المعنى ومعنى المعنى أو المعاني الأول والمعاني الثواني لا تختلف في جوهرها عن تعدد الدلالة أو تعدد المدلولات للدال في الدرس الحديث الذي يعرف اللغة بأنها نظام من العلامات ،والعلامة هي اتحاد بين شكل يدل يسميه سوسير الدال وفكرة يدل عليها تسمي المدلول[4] ، وإذا عدنا إلى قول العرب** "*فلان كثير رماد القدر*

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى 23 .

[2] مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي 358 .

[3] المرايا المقعرة ، للدكتور / عبد العزيز حمودة 301 .

[4] انظر : فرديناندي سوسير (أصول اللسانيات وعلم العلامات) ، لجوناثان كللر، ترجمة الدكتور / عز الدين إسماعيل 72 .

**" وبعد القراءة الأولى التي تمثل حقيقة ما وضع الألفاظ من أجله ، تبدأ عمليات الاستدلال بالابتعاد أولاً عن قراءة المواضعة أو القراءة الحقيقية ، ثم بتحول مدلول كل قراءة منها إلى دال على مدلول آخر هو القراءة التالية ، وبالقراءة الأخيرة فقط نكون قد قطعنا شوط الابتعاد عن استخدام اللفظ على الحقيقة حتى نهايته ووصلنا إلى القراءة المجازية أو ما يسمي معنى المعنى ، وهي عملية تحول المدلول إلى دال في عرف الحداثيين ، وعلى الرغم من أن عبد القاهر لم يستخدم هذا التعبير الحداثى فإن المفهوم واحد إلى حد التطابق[1] .**

**والحق أن عبد القاهر والسكاكي والقرطاجنى لم يتركوا فرصة في مؤلفاتهم دون أن يشيروا إلى خطأ التوقف عند الدلالة الظاهرة للفظ وضرورة الحفر عند جذور اللغة للوصول إلى ما وراء المعنى الظاهر أو ما تحته[2] ، ولكن يؤخذ عليهم أنهم درسوا ظل المعنى على مستوى البلاغة فقط ولم يدرسوه على مستوى النص أو في ضوء العلاقة النحوية والقرينة ، فمن ظلال المعاني على مستوى النص السؤال الوارد على دعوى سابقة نحو قوله تعالى "** فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان **"[3] ، السؤال هو: كيف ذلك واليوم يوم حساب ؟ والجواب "** يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام **"[4] ومن ظلال المعاني على مستوى النص أيضاً دلالة الاستفهام الإنكاري على الإثبات إذا كان مبدوءا بحرف النفي نحو قوله تعالى : "** ألم يجدك يتيماً فآوي **"[5] ، أي لقد وجدك ، وعلى النفي أو النهي إذا كان غير مبدوء بحرف النفي ، نحو قوله تعالى: "** أفغير الله أبتغي حكماً **"[6] ، أي لست أبتغي غيره ، وعلى مستوى النص قد يكون التركيب استفهاماً وظل المعنى تعجباً ، نحو قول الله**

---

[1] انظر : المرايا المقعرة ، للدكتور / عبد العزيز حمودة 299 .

[2] انظر : : المرايا المقعرة 395 .

[3] الرحمن 39 .

[4] الرحمن 41 .

[5] الضحي 6 .

[6] الأنعام 114 .

**تعالى :** " هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً "[1] . **فالمقصود هنا هو معنى التعجب لأن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عباده عن أمر هو أعلم به ، ومن ظلال المعاني في ضوء العلاقة النحوية والقرينة معنى الجملة ويشمل أسلوب الجملة من خبر وإنشاء وهذا المعنى هو الذي تكون له ظلال فقد يكون مبني الجملة على صورة الخبر ولكن معناها الشرط كما في قوله تعالى :** " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة "[2] ، **أي من أراد أن يتم الرضاعة فعلي الوالدات أن يرضعن أولادهن** [3].

***<u>ظل المعنى وظل النص :</u>***

ينبغي أن نفرق بين نوعين من الظلال الأول يمثل تعدد الدلالة أو مراوغة المدلول أو تعدد المدلول للدال ، وهو ظل المعنى ، الذي نصل إليه لا بدلالة اللفظ وحده ، ولكن بدلالة اللفظ على معنى المواضعة ثم نجد لذلك المعنى دلالة أخرى نصل بها إلى الغرض الحقيقي من وراء الصياغة ، والثاني يمثل تعدد الدال للمدلول وهو ما يعرف بظل النص أو النص الظل أو المزاح وهو نص غير منجز بالفعل ، هذا النص قابع تماماً في الذهن ، ويكون في مرحلة ما قبل النص موازياً تماماً للنص المُنْجَز وقد عبر عن ذلك امرؤ القيس الذي لقب بالذائد حين قال [ المتقارب ] [4] :

**أذود القوافي عنى ذيادا ذياد غلام غوى جرادا**

**فلما كثرن وأعيينني تنقيت منهن عشراً جيادا**

**فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا**

فالمبدع في مرحلة ما قبل النص أو القَبْلية – كما يسميها نقاد الأدب – تتوارد في ذهنه طوائف من القوافي والألفاظ المعبرة عن المعاني ، فينتقي منها الأجود والأصلح لتأدية المعنى المطلوب ، ويعزل ما دون ذلك مكوناً نصّاً مزاحاً يوازي النص المنجز وإذا عمد مبدع آخر إلى التجربة ذاتها فإنه يعبر عن المعنى بنص يعد ظلا لنص المبدع الأول ، وهذا النص بدوره له ظل في مرحلة القبلية وبذلك يكون لدينا مجموعة نصوص " ***متوازية أو متعامدة على النص المكتوب مشكلة فيما بينها نصوصاً ظلالية متغايرة حسب المتلقي بحيث يتحول المبدع من مبدع أحادى إلى حافز***

---

[1] الإنسان 1 .

[2] البقرة 233 .

[3] انظر ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان 2 : 6 .

[4] **انظر المؤتلف والمختلف ، للآمدى 6 .**

***إبداعي لنصوص قد تمت لنصه الأصلي بصلة "***[1] ، " ***وزمنية تحول النص المكتوب إلى نص حافز زمنية مصاحبة لعملية التلقي التي تتجاوز إلى تشكيل النص الظل الذي يغدو بدوره نصّاً حافزاً للآخر***"[2]، أي أن ظل المعنى يعبر عن استدلال مجموعة من المعاني لتركيب واحد ، في حين يعبر ظل النص عن تعدد مجموعة من الألفاظ والتراكيب لمعنى واحد أو تجربة واحدة فالأول هو تعدد المدلول للدال والثاني هو تعدد الدال للمدلول ، والأول من عمل المتلقي ، والثاني من عمل المبدع[3] ، ولذلك فإن استخدام المعاني ذات الظلال في اللغة يخلق نوعاً من المشاركة بين المبدع والمتلقي حيث يترك المبدع المجال للمتلقي لفهم المعنى ؛ وفي ذلك يجد المتلقي عناءً في البحث عن المعنى المقصود وكلما عاني القارئ في طلب المعنى كان أفيد له وأمتع " ***فالمعنى الجيد ليس هو المعنى المباشر ، بل ذلك المعنى الذي يحوجك أو يضْطرك للتفكير فيه ، المعنى الجيد هو الذي يتحدى الفهم السريع بامتناعه على القارئ أو المتلقي*** "[4] " الذي يفك شفرة الصورة اللغوية المجازية ليصل إلى معنى معناه الظاهري أو المعنى الثاني الذي يكمن أو يحتجب خلف القراءة السطحية "[5] .

## ظـلال المعـاني في سورة القصص :

### ***أولاً : دلالة اللفظ المفرد على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** " (القصص 12) .

لفظ (المراضع) دل على أنه عرض عليه جملة من المرضعات[6].

---

[1] **موت النص (النص والنص المضاد والنص الظل) ، للدكتور محمد أبو الفضل بدران ، مجلة كلية الآداب بقنا ، العدد الخامس الجزء الأول 1995 ص17 .**

[2] **موت النص ، للدكتور محمد أبو الفضل بدران ص21 .**

[3] **يكون ظل النص من عمل المبدع فقط إذا كان المتلقي سلبياً ، أما إذا كان المتلقي ناقداً أو مبدعاً فإنه يكون بمعاونة النص المكتوب نصا متوازيا ، وعندئذ يكون ظل النص من عمل المبدع والمتلقي كليهما .**

[4] **المرايا المقعرة 270 .**

[5] **المرايا المقعرة 398 .**

[6] **انظر البحر المحيط 108/7 .**

- قال تعالى : " **قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** " (القصص 27) .

الظاهر في لفظ (من عندك) أن معناه من تجاهك أو من قِبلك ، والمعنى أنه تبرع منك وتفضل لا اشتراط .

ولفظة (أشق) تدل على أشكال المشقة المتمثلة في إلزام أي الأجلين ، أو المعاشرة ، والمناقشة في مراعاة الأوقات وتكليف الرعاة أشياء من المهمات خارجة عن الشرط [1] .

- قال تعالى : " **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون** " (القصص 34) .

ظاهر المعنى في لفظ (يصدقني) أن يقول له صدقت ، وهو معنى سطحي غير مقصود في الآية ، أما ظل المعنى فهو أنه يبالغ في الإعراب عما في النفس وفي الإجابة ودرء الشبهات أثناء جداله الكفار ، وذلك لزيادة فصاحته ، وإلا لما قال موسى : " **وأخي هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معي ردءاً** " ، ولفظ (ردءاً) معناه (معيناً) في الحجة والبرهان ، والترتيب بين ردءاً ويصدقني يوضح المعنى المقصود ، أي : ليوضح ما أقول ويبطل شبهاتهم فيظهرَ صدقي .

- قال تعالى : " **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين** " (القصص38) .

كان فرعون يدعى لنفسه صفة الألوهية وقد أصر على هذا الرأي ولم يعترف بإله غيره ولذا قال (لعلى أطلع إلى إله موسى) " **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** "[2] ، عندئذ أدرك أن هذا الزعم غير حقيقي وأن إله موسى استطاع أن يورده مورد التهلكة ، ولكنه عندما أراد أن يعبر عن ذلك لم يجد من المفردات ما يعبر عن ألوهية هذا الإله إلا أنه إله

---

[1] **انظر البحر المحيط 115/7 .**

[2] **يونس 90 .**

موسى أو الذي آمنت به بنو إسرائيل ، ولم يرد أن يذكر الله جل جلاله وما سمعه من موسى عن صفاته ، وهذا يجعل للمعنى ظلاً خاصاً [1] .

- قال تعالى : " **إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** "(القصص 76).

ذكر المفسرون من أنواع (البغي) الكفر والكبر وحسده لموسى على النبوة ولهارون على الذبح والقربان ، وبخصوص (الكنوز) قيل إن الله أظفره بكنز من كنوز يوسف ، وقيل صارت أمواله كنوزاً ، إذ كان ممتنعاً من أداء الزكاة ، والمراد بالمفاتح كثرة المفاتيح وهو الظاهر وأن تنوء العصبة بحملها ولكنها تعنى الخزائن والكنوز الكثيرة ، وقيل المراد من المفاتح العلم والإحاطة كقوله تعالى : " **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** "[2] ، والمراد وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يتعب حفظها القائمين عليه[3] .

## ***ثانياً : دلالة العلاقة النحوية والقرينة على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " (القصص 8) .

اللام في قوله تعالى (ليكون) هي لام الصيرورة والمآل وتسمي لام العاقبة ، حيث آل التقاط موسى وتربية فرعون له إلى كونه عدوّاً لفرعون وأهله ، وما كان التقاطهم له إلا للتبني وليكون حبيباً لهم ، " وأنكر البصريون ومن تابعهم لام العاقبة قال الزمخشري والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد عن طريق المجاز دون الحقيقة وبيانه أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا بل المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل " [4] ، وعلى الرأي القائل إن اللام هي لام الصيرورة تكون قرينة المعنى النحوي أو المعنى الوظيفي هي الدليل على ظل المعنى ، فاللام حرف من حروف المعاني ، وإحدى وظائفها الدلالة على المآل والعاقبة ، كدلالتها على الجر والتعليل وغيرهما ، فالمعني الظاهر

---

[1] **انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان 5 .**

[2] **الأنعام 59 .**

[3] **انظر البحر المحيط 131،132/7 .**

[4] **مغنى اللبيب 179/1 .**

في الآية أن فرعون وآله التقطوه ليكون لهم عدوّاً وظل هذا المعنى أنهم التقطوه ليكون حبيباً وقرة عين لهم فآل هذا الالتقاط إلى كونه عدوّاً ، ودل على ذلك اللام ومعناها الوظيفي في الجملة ، وإذا نظرنا إلى قوله تعالى : " **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " نجد أن المعنى لا يحتاج إلى التأكيد بقدر احتياجه إلى التعليل ، فلماذا آل الأمر إلى خلاف ما تمنى فرعون وأهله ؟ والجواب : لأن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، فقد حلت (إنّ) محل (لأنّ) في الآية وأدت دورها في الكلام ، ويقال إن في الآية معاقبة[1] ، حيث عاقبت (إن) (لأن) ، فكانت هذه المعاقبة قرينة على ظل المعنى ، أي أن المعنى توكيد وظله تعليل ، وقرينة المعاقبة هي الرابط بين المعنى وظله .

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** " (القصص 12) .

من المعروف أن (قبل) و(بعد) يبنيان على الضم إذا حُذِفَ المضاف إليه وقُصِدَ معناه دون لفظه ، ولكن ما المضاف إليه المحذوف في الآية ؟، هل حُرِّمَتْ على موسى المراضع من أول الأمر ، أو من قبل أن تقص أخته أثره ؟ فالمعنى غير واضح من ظاهر اللفظ ، وله ظلان لا ندري أيهما المقصود ؟ ولكن بقرينتي الحال والسياق نفهم أن ظل المعنى هو تحريم المراضع من قبل القص لا من أول الأمر ، فلا جدوى من تحريم المراضع من أول الأمر وموسى مع أمه ترضعه وتحنو عليه ( قرينة الحال ) ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " وقالت لأخته قصيه " في الآية السابقة ، ومن هنا كانت القرائن دالة على المعنى وظله في الآية .

- قال تعالى : " **قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل** " (القصص 28) .

أي ذلك عهد بيني وبينك ، ويفهم المعنى بقرينة السياق ، ففي النص عرض وطلب بين طرفين ، وبارتضاء هذين الطرفين يتم العقد أو الميثاق ، ويوضحه قول الله تعالى " والله على ما نقول وكيل " ، ووكيل في الآية ليست من الوكالة ، وإنما هي بمعنى شاهد ، أي شاهد على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا ، فوكيل هنا ضمنت معنى شاهد ، ولما ضمنت معنى شاهد تعدت بحرف الجر (على) ،

---

**[1] المعاقبة هي صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل عنصر لغوي آخر ويؤدي دوره في الكلام ، وهي نوع من العلاقات الرأسية الاستبدالية التي تؤدي إلى التوسع في اللغة ، انظر: الخلاصة النحوية للدكتور / تمام حسان 34، والمعاقبة في نظام النحو العربي ، رسالة دكتوراه مخطوطة للباحث / كلية الآداب بقنا 2004م .**

فالتعدية كشفت عن أن المعنى المقصود ليس هو الوكالة ، وإنما هو الشهادة فأشارت بذلك إلى ظل المعنى[1] .

- قال تعالى : " **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون** " (القصص 29).

أي الأجلين قضى موسى ؟ وقد خيره شعيب بين أجلين عندما قال " **إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك** " (القصص 27) .

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام وَفَّي أطول الأجلين وهو العشر[2] ، ولم يكشف ظاهر النص عن المعنى المقصود ، وعرف المعنى بقرينة خارجية هي السنة المطهرة .

- قال تعالى : " **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون** " (القصص 82) .

(وى) عند سيبويه والخليل اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب وكأن للتشبيه ، والمقصود غير ذلك ، لأن المقصود أن تكون الكاف خالية من معنى التشبيه وتأويل ذلك أن تكون (وى) في (ويك) للتعجب والكاف حرف خطاب ، أو (ويكأن) حرف واحد بجملته وهو بمعنى ألم ترو، وقال الفراء ويك في كلام العرب كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله[3] ، وهو ظل المعنى المقصود في الآية .

- قال تعالى : " **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** " (القصص 77) .

الكاف حرف يفيد التشبيه ، والتشبيه غير مقصود في الآية وظله إما التعليل أي وأحسن ليحسن الله إليك أو السببية أي أحسن فيحسن الله إليك[4].

---

[1] **انظر : البحر المحيط 115/7 .**

[2] **انظر : البحر المحيط 115/7 .**

[3] **انظر : البحر المحيط 134/7 .**

[4] **انظر : البحر المحيط 133/7 .**

- قال تعالى : " **قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين** " (القصص 17) .

الباء للقسم أي أقسم بما أنعمت به على من المغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين أو متعلقة بمحذوف والتقدير اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين[1] .

## ***ثالثاً : دلالة الاستفهام الإنكاري على ظل المعنى :***

إذا كان الاستفهام الإنكاري مبدوءاً بحرف النفي فإن ظل المعنى هو الإثبات أو الأمر أما إذا كان الاستفهام الإنكاري بغير حرف النفي فإن ظل المعنى هو النفي أو النهي[2] ، وجاء في سورة القصص :

- قال تعالى : " **أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء** " (القصص 57) .

أي لقد مكنا لهم حرماً آمنا ، فالمعنى استفهام وظله إثبات .

- قال تعالى : " **وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** " (القصص 60) .

أي اعقلوا ، فالمعنى استفهام وظله أمر وغرضه " توبيخ في كونهم أهملوا العقل في العاقبة " [3] .

- قال تعالى : " **أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً** " (القصص 78) .

أي ليعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه ، فالمعنى استفهام ، وظله أمر .

- قال تعالى : " **فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون** " (القصص 62) .

الاستفهام الإنكاري بغير حرف نفي ، وظله النفي ، أي لا شركاء لي .

- قال تعالى : " **أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** " (القصص 61) .

---

[1] **انظر : البحر المحيط 109/7 ، 110 .**

[2] **ظلال المعاني في القرآن الكريم للدكتور / تمام حسان 3 .**

[3] **البحر المحيط 127/7 .**

المعنى استفهام ، وظله نفي أي لا يستوي من وعدناه وعداً حسناً مع من متعناه فيحضر يوم القيامة إلى النار .

## ***رابعاً : دلالة السؤال المطروح خارج النص على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **ولا يُسألُ عن ذنوبهم المجرمون** " (القصص 78)

السؤال : كيف ذلك واليوم يوم حساب ؟! والجواب الذي يسعى إليه السؤال نجده في سورة الرحمن : " **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام** "[1] .

- قال تعالى : " **ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين** " (القصص 45) .

السؤال : كيف يتصل قوله تعالى : " **ولكنا أنشأنا قروناً** " بقوله تعالى "**وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**" (القصص 44) ؛ ومن أي جهة يكون استدراكاً له ؟

معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم العمر وهو القرن الذي أنت فيهم ، أي اندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وبقصة موسى عليه السلام[2] .

- قال تعالى : " **قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** " (القصص 26) .

السؤال : لِمَ وصفته بالقوة والأمانة ؟

والجواب : أنها وصفته بالقوة لأنه رفع صخرة البئر وحده وزاحم بمفرده قوماً حتى غلبهم على الماء ، ووصفته بالأمانة لأنه حين قام يتبعها هبت الريح فلفت ثوبها فوصفتها فقال كوني ورائي ودليني فإني رجل لا أنظر إلى أدبار النساء[3] ، هذا والقوة والأمانة هما الصفتان الملائمتان لحالهم ،

---

[1] **سورة الرحمن 41 .**

[2] **البحر المحيط 122/7 .**

[3] **البحر المحيط 114/7 .**

فالأب شيخ كبير يحتاج إلى القوة في مقابل الهرم ، ولديه ذرية من البنات ، الأمر الذي يتطلب قوة للحفاظ عليهن ، وأمانة في التعامل معهن ، وهذا من ظلال المعاني في السورة .

- قال تعالى : " **فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** " (القصص 30) ، وفي سورة طه : " **نودي يا موسى إني أنا ربك** "[1] ، وفي النحل : " **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها** "[2].

السؤال : هل في ذلك منافاة ؟

والجواب : " ***لا منافاة في ذلك إذ حكي في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء والجمهور على أن الله تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة*** "[3] .

## ***خامساً : قد يكون التركيب إخباراً وظل المعنى إنشاءً .***

- قال تعالى : " **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين** " (القصص 58) .

المعنى إخبار بكثرة إهلاك القرى أما ظل المعنى فهو تخويف وتهديد لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فقابلوا النعمة بالبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم[4] .

- قال تعالى : " **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** " (القصص 84) .

الكلام معناه الخبر ، وظله الشرط ، أما قوله تعالى في نفس الآية " ***فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون*** " فمبني الجملة على صورة النفي ومعناها الإثبات ، أي يجزي الذين عملوا السيئات ما كانوا يعملون ، وهو ما يسمي في النحو الاستثناء المفرغ ، ويتحقق معنى جملته بحذف كل من حرفي النفي والاستثناء ، فالاستثناء معناه إخراج ما بعد (إلا) في الحكم ، أو نفي

---

[1] **طه 11 ، 12 .**

[2] **النمل 8 .**

[3] **البحر المحيط 117/7 .**

[4] **انظر : البحر المحيط 126/7 .**

الحكم عن المستثني وإثباته للمستثني منه ، وعندما يدخل حرف النفي على هذا التركيب يبطل عمل (إلا) ويتحول الأسلوب من النفي إلى الإثبات إذ إن نفي النفي إثبات ، ومثله قوله تعالى : " وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون " (القصص 59) ، أي لقد أهلكنا القرى لأن أهلها ظالمون ، أو حال كونهم ظالمين .

## ***سادساً : دلالة الكناية على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** " (القصص 76) .

المفاتح كناية عن الخزائن والكنوز الكثيرة .

- قال تعالى : " **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** " (القصص 10) .

الربط على القلب كناية عن قراره واطمئنانه ، حيث شُبِّهَ القلب بشيء يُربط مخافة الانفلات [1] .

- قال تعالى : " **وأبونا شيخ كبير** " (القصص 23) .

ظاهر المعنى أنه إخبار بكبر الأب وشيخه ، وإنما المقصود هو المعنى الثاني أو معنى المعنى ، الذي يترتب على هذا الكبر ، وهو عدم القدرة على السقي ، فالكبر والشيخ كناية عن عدم القدرة على القيام بمهام السقي ومباشرته إياه بنفسه ، وللمعنى الظاهر ظلال أخرى ، فهو " ***اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما*** "[2].

- قال تعالى : " **اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين** " (القصص 32) .

( ***واضمم إليك جناحك*** ) كناية عن أنه في موقف خوف وفزع ، فمن شأن الإنسان إذا ضم عضده ، وذراعه وهو الجناح إلى جنبه وقت الفزع أن يخف بذلك فزعه ، ويقوى قلبه ، وقيل مجاز

---

[1] **انظر : البحر المحيط 107/7 .**

[2] **انظر : البحر المحيط 113/7 .**

يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبط نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحه وأرخاهما [1].

## ***سابعاً : دلالة الإيماء على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين** " (القصص 44) .
- وقال تعالى : " **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك** " (القصص 46) .

يؤكد المولى سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه يتلقى الأخبار عن الوحي ، إذ لم يكن موجوداً زمن موسى عليه السلام ، والمعنى لما اندرست العلوم وجب إرسالك إلى قومك بعد انقضاء زمن موسى عليه السلام وكسبناك العلم بقصص الأنبياء ، وبقصة موسى عليه السلام .

## ***ثامناً : دلالة الحذف على ظل المعنى :***

- قال تعالى : " **ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون O وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** " (القصص 6،7) .

عندما علا فرعون في أرض مصر جعل أهلها شيعاً ، واستضعف طائفة منهم ، فراح يذبح أبناءهم ، ويستبقي بناتهم أحياء للخدمة ، ووضعت موسى أُمُّهُ في هذا الزمن (زمن الذبح) وخافت عليه ، فأوحي الله إلى أم موسى أن أرضعيه ، ولم تشر الآيات إلى وضع موسى عليه السلام ، وعُرِفَ المعنى بدلالة الحذف ، وتقدير المحذوف (ووضعت موسى أُمُّهُ زمن الذبح وخافت عليه) ، ودل على المحذوف من السياق الهاء في (أرضعيه ، وألقيه ، ورادوه) فهي عائدة على موسى عليه السلام ، ولا حذف إلا بدليل .

- قال تعالى : " **ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين O فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عَدُوّاً وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " (القصص 7،8) .

---

[1] **البحر المحيط 117/7** .

ثمة كلام محذوف بين هاتين الآيتين تقديره : ففعلت أم موسى ما أُمرت به حيث أرضعته وألقته في اليم فالتقطه البحر ثم التقطه فرعون ، ودل على المحذوف قوله تعالى : ( ***فالتقطه آل فرعون*** ) ، فلو لم تكن أم موسى قد أرضعته وألقته في اليم لما التقطه آل فرعون من هذا اليم .

- قال تعالى : " **وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون** " (القصص 9) .

أي وهم لا يشعرون أنهم يرتكبون خطأ كبيراً في التقاطه ، ولا يشعرون أن الأمر سيئول إلى خلاف ما تمنوا ، فقد التقطوه ليكون حبيباً وقرة عين لا ليكون عدوا وحزنا .

- قال تعالى : " **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** " (القصص 10) .

أي : وأصبح فكر أم موسى فارغاً من العقل لماً بلغها أن موسى وقع في يد فرعون ، ودليل الحذف قوله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها) ، فالربط على القلب كناية عن اطمئنانه واستقراره بعد الفزع والخوف حيث شُبِّهَ القلب بشيء يُربط مخافة الانفلات ، وفي الآية حُذِفَ معمول الفعل (تبدى) :أي لتبدى القول به، ومعنى القول أنها كادت تصبح: وا ابناه عند إلقائه في اليم ، فالفعل (تبدى) فعل متعد بنفسه ، وبمزاولة إعراب الجملة اتضح المفعول به المحذوف ، فدل بذلك على ظل المعنى .

- قال تعالى : " **وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** " (القصص 11) .

أي وقالت لأخته قصيه ، فقصت أثره فأبصرته عن بعد بنظرات مختلسة ، ودل على المحذوف قوله تعالى فبصرت به ، فلو لم تكن قد قصت أثره لما أبصرته .

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحونO فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** " (القصص 12،13) .

بين الآيتين كلام محذوف فبعد أن عرضت أخت موسى على أهل فرعون أن تدلهم على أناس يكفلونه مرت بهم وبه إلى أمه فرده الله إليها ، ولما حُذف الجزء الأول (***فمرت بهم وبه إلى أمه***) صُرِّحَ بلفظة (***أم***) بدلاً من الضمير فقيل فرددناه إلى أمه[1] ، ولو كان الكلام المحذوف مذكوراً في الآية لقيَل ( ***فرددناه إليها*** ) .

---

[1] **انظر : البحر المحيط 108/7 .**

- قال تعالى : " **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها** " (القصص 15،14) .

أي : آتيناه حكماً وعلماً فجاهر فرعونَ وقومه بما يفعلون وكانوا يكرهون المجاهرة بظلمهم ، فأخرجه فرعون من المدينة فاختفي وغابَ عنها سنين ثم عاد فدخلها .

- قال تعالى : " **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما** " (القصص 24،23) .

من القواعد الأصولية في النحو العربي أنه لا حذف إلا بدليل " فإذا كان في الفعل دلالة على المفعول به حَسُنَ حذف المفعول به دفعاً للإطناب"[1] ، فإذا نظرنا إلى هاتين الآيتين وإلى أفعال السقي والإصدار والذود فيهما وجدنا أن المفعول به لكل منها محذوف وتقديره (الغنم) ، فاكتفي النص بذكر الأفعال ولم يذكر مفعولاتها دفعاً للإطناب ، فغير مقبول من ناحية البلاغة أن يقال : ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون الغنم ووجد من دونهم امرأتين تذودان الغنم قال ما خطبكما قالتا لا نسقي الغنم حتى يصدر الرعاء الغنم وأبونا شيخ كبير فسقي لهما الغنم .

- قال تعالى : " **فسقي لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** " (القصص 25،24).

في الآية حذف تقديره : فسقي لهما ثم تولى إلى الظل ، وذهبتا إلى أبيهما ثم قصتا عليه ما حدث معهما من أمر السقي ومن أمر الذي سقي لهما فأمر أبوهما إحداهما أن تدعوه له فجاءته إحداهما لتدعوه .

- قال تعالى : " **وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** " (القصص 31،30) .

لما انقلبت العصا حية فزع موسى عليه السلام واضطرب فاتقي هذه العصا التي صارت حية بيده كما يفعل الإنسان الخائف من الشيء ثم ولي مدبراً ولم يعقب فخاطبه ربه " أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء " ، وقوله تعالى (تخرج بيضاء) دليل

---

[1] **ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان 4 .**

على أن اليد اعتراها تغيير أو أمر عارض يستوجب محوه ، وهي المعجزة الثانية من معجزتي موسى عليه السلام العصا واليد .

ومن ظل المعنى في سورة القصص قوله تعالى :

" **ولا يَصُدُّنَّك عن آيات الله بعد إذ نزلت إليك** " (القصص 87) .

ظاهر التركيب أن النهي متوجه إلى المشركين حيث باشر حرف النهي (لا) الفعل المضارع المتصل بواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فأصل الفعل (يصدون) ، أريد توكيده بنون التوكيد الثقيلة فأصبح (يصدونَنَّ) ولتوالى الأمثال حذفت نون الفعل لدلالة المعنى الوظيفي (الأفعال الخمسة) عليها ، ولأن نون التوكيد موضوعة لغرض بلاغي فالتقي ساكنان واو الجماعة والنون الأولى في نون التوكيد الثقيلة ، فحذفت الواو ودَلّ عليها ضم الدال ، ولما دخلت (لا) على الفعل فُهِم من الظاهر أن النهي متوجه إلى المشركين ، والأمر غير ذلك ، فالنهي متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث ينهاه رب العزة عن طاعة المشركين ، أي ولا تجعلهم يصدونك عن آيات الله بعد إذ نزلت إليك ، ولو كان النهي متوجهاً إلى المشركين لما قال الله تعالى : " **فلا تكونن ظهيراً للكافرين** " (القصص 86) و**(ولا تكونن من المشركين)** (القصص 87) .

- وفي قوله تعالى : " **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** " (القصص 70) .

اشتهر في تفسير الأولى والآخرة ، أن المقصود بالأولى هو الحياة الدنيا وأن المقصود بالآخرة ما بعد الموت ، وهذا غير مقصود في الآية ، فالمقصود بالأولى قوله تعالى " **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** " (القصص 68) وتتمثل الآخرة في قوله سبحانه " **وربك يعلم ما تكن صدورهم** " (القصص 69) ، فالخلق والعلم داعيان من دواعي حمده تعالى . **(1)**

## ***خاتمـــة :***

هكذا يتضح أن دراسة المعنى وظله ليست حكراً على منهج النقد الأدبي ولا على علم البلاغة ، وإنما ترتبط نوع ارتباط بالدراسة المنظمة للغة**(2)** ، فقد كشفت المعاني الوظيفية لبعض المباني والعلاقات النحوية للتراكيب عن ظلال المعاني في سورة القصص ، وأسهمت القرائن سواء

---

(1) **انظر : البيان في روائع القرآن 301/1 .**

(2) **انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان 10 .**

أكانت خارجية (من خارج النص) أم داخلية من بين السياق في الإعراب عن كثير من هذه الظلال ، ولقد عنى البلاغيون بما وراء الصياغة اللغوية ، والمتأمل في موضوع علم المعاني يجده ذا صلة وثيقة بالدراسات النحوية لأنه يفرق بين أضرب الخبر وصور الإسناد الخبري ، وخروج الكلام على خلاف الظاهر ، والتفريق بين الحقيقة والمجاز ، أما علم البيان فتتضح ظلال المعاني فيه من خلال الحديث عن لازم المعنى ، والتضمين ، والاستعارة ، وعندما عرَّف علماء البلاغة الاستعارة قالوا هي نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة ما مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهو نوع من ظلال المعاني ، ويهتم علم البديع بتحسين الكلام ومطابقته لمقتضى الحال ، ومن ظلال المعاني في علم البديع المحسنات المعنوية ، وقد اشتمل نص سورة القصص على مجموعة من ظلال المعاني على مستوى البلاغة تمثلت في الكناية والمجاز في قوله تعالى : " **ربطنا على قلبها** " (القصص 10) ، " **وأبونا شيخ كبير** " (القصص 23) ، " **واضمم إليك جناحك** " (القصص32) ، هذا وقد أسهم التناص في الإبانة عن ظلال المعاني في السورة ، سواء أكان التناص بين آيات سورة القصص ، أم بينها وبين آيات في سور أخر من القرآن الكريم ، فتوضيح قوله تعالى : " **ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون** " (القصص 78) وجدناه في سورة الرحمن في قوله تعالى : " **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام** " (الرحمن 41) ، والحذف أسلوب من الأساليب البلاغية ، التي تهدف إلى تجنب الإطناب ، أو تجنب التصريح بالمحذوف لغرض ما أو لقرينة مانعة ، ويستدل على المحذوف بالقرائن والأدلة فلا حذف إلا بدليل ، وقد كان لدلالة الحذف على ظل المعنى صور وأشكال كثيرة في سورة القصص ، ولا شك أن الوصول إلى ظلال المعاني في السورة باعتبار كل هذه المستويات أفيد منه إذا عمدنا إلى مستوى بعينه واستدللنا من خلاله على ظل المعنى .

## ***أهم النتائج :***

- تمثل فكرة (نحو النص) في رأي المنبهرين بالفكر الحداثى الغربي إنجازاً من إنجازات هذا الفكر الحداثية ، والحق أن هذه الفكرة موجودة في الفكر العربي وتتمثل في مجموعة متفرقة من الأفكار هي النظم والتناص والمقام ، ومعاني الجمل والتراكيب ، بالإضافة إلى القرائن والأسلوبية في العصر الحديث ، ولو قدر لواحد من أبناء العربية أن يدمج كل هذه الأفكار في بوتقة واحدة لخلص إلى هذه الفكرة ، هذا وقد انقطع الفكر اللغوي والبلاغي فيما بعد عبد القاهر الجرجاني الذي طور إنجازات البلاغيين قبله في نظرية النظم الشهيرة التي تضاهي بحق ما وصل إليه الحداثيون الغربيون ، مع مراعاة الفارق الزمني بين عبد القاهر والحداثيين الغربيين ، ولو تواصل الإبداع

والإنتاج الفكري بعد عبد القاهر مباشرة لوصل إلينا سلسلة من النظريات تتفوق على ما أنتجه الفكر الحداثي الغربي وتتقدم عليه بمئات السنين .

- ظل المعنى يعبر عن استدلال مجموعة من المعاني لتركيب واحد في حين يعبر ظل النص عن تعدد مجموعة من الألفاظ والتراكيب لمعنى واحد فالأول هو تعدد المدلول للدال ، والثاني هو تعدد الدال للمدلول ، والأول يخص المتلقي ، والثاني يخص المبدع إذا كان المتلقي سلبيّاً ، فإذا كان ناقداً أو مبدعاً فإن ظل النص يخص المبدع والمتلقي كليهما .

- الوصول إلى ظلال معاني النص من خلال تضافر جميع مستويات الدرس أفيد من التوجه نحو مستوى في حالة انفراد لنستدل من خلاله على ظل المعنى .

- ظلال المعاني تجعل المبدع يبتعد عن لغة الإخبار ، واستعمال اللفظ على حقيقته ، إلى لغةٍ تتعدد فيها الدلالة مما يخلق نوعاً من المشاركة بين المبدع والمتلقي حيث يُعمل المتلقي فكره وينعم نظره لسبر أغوار المعنى ، كما تمكن ظلال المعاني المبدع من استخدام تراكيب غير إخبارية تقيس مدى قدرته على توظيف التراكيب وتنوعها ، وهذه التراكيب بما لمعانيها من ظلال تجذب المتلقي ليشارك المبدع في فهم آليات النص وأسرار بلاغته للوصول إلى ما وراء المعنى الظاهر .
- مصطلح (ظل المعنى) أنسب للتعبير عن دلالات ما وراء الصياغة اللغوية من مصطلحات (معنى المعنى) ، و(الحقيقة والمجاز) ، و (المعاني الأول والثواني) ؛ لما بين المعنى وما وراءه من ملازمة يصعب معها الفصل بينهما ، هذا ويؤخذ في الاعتبار أن ظل المعنى ألصق بالمعنى في بعض التراكيب منه في بعضها الآخر ، فعندما نقول (ما جاء إلا أحمد) يُفهم على الفور – وعلى الرغم من وجود النفي – أن أحمد قد جاء ومجيئه مؤكد ، ويكون الإثبات ظلاً للنفي مع الاستثناء ، ويُفهم ذلك بقرينة التركيب النحوي أي كلما مَرَّ بنا تركيب مماثل لهذا التركيب فُهِم أن ظله الإثبات . وليس الأمر كذلك مع الكناية أو المجاز ، حيث نتوصل إلى ظل المعنى مروراً بعدة معان ، أي أن ظل المعنى يحتاج إلى إعمال فكر للوصول إليه ، حيث توجد مسافة زمنية فاصلة بين المعنى وظله المقصود .

## ***المصادر والمراجـع :***


1- *الأسس الجمالية في النقد العربي ( عرض وتفسير ومقارنة ) :*
الدكتور / عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، 1992م .

2- *الأسلوبية وتحليل الخطـاب :*
/ منذر عياشى ، ( بـدون ) .

3- *البحر المحيط :*
أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان 654 – 754هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، الطبعة الثانية 1990م .

4- *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :*

جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1997م .

5- *البيان في روائع القرآن :*

الدكتور/ تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م .

6- *الخلاصة النحوية :*

الدكتور / تمام حسان،عالم الكتب ،الطبعة الأولى 1420هـ– 2000م .

7- *دلائل الإعجاز في علم المعاني :*

عبد القاهر الجرجاني ، المكتبة التوفيقية ، ( بدون ) .

8- *علم لغة النص ( المفاهيم والاتجاهات ) :*

سعيد حسن بحيرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى 1993م .

9- *فرديناند دي سوسير ( أصول اللسانيات وعلم العلامات ) :*

جوناثان كللر ، ترجمة الدكتور/ عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة 2000م .

10- *اللغة العربية معناها ومبناها :*

الدكتور/ تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، 1418هـ – 1998م .

11- *المؤتلف والمختلف :*

الآمدى (أبو القاسم حسن بن بشر) ، تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة 1961م .

12- *المرايا المقعرة ( نحو نظرية نقدية عربية ) :*

الدكتور/ عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، 1422-2001م .

13- *المعاقبة في نظام النحو العربي (رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب بقنا) :*

الدكتور/ وحيد الدين طاهر عبد العزيز ، 2004م .

14- *مغنى اللبيب ( حاشية الشيخ محمد الأمير ) :*

ابن هشام (جمال الدين بن هشام الأنصاري) ، دار إحياء الكتب العربية (بدون) .

15- *مفتاح العلوم :*

السكاكي (أبو يعقوب) ، بيروت،دار الكتب العلمية ،1983م .

*16- منهاج البلغاء وسراج الأدباء :*

حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي (بيروت) 1981م .

*17- النقد الأدبي الحديث :*

محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت 1973م .

## ***البحوث :***

*1- ظلال المعاني في القرآن الكريم :*

الدكتور/ تمام حسان ، بحث (غير منشور) ، أُلْقِيَ على طلاب السنة التمهيدية للماجستير في كلية الآداب بقنا ، العام الجامعي (2001-2002م) .

*2- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص :*

سعد مصلوح ، جامعة الكويت ، الكتاب التذكاري في الذكري الثانية للأستاذ عبد السلام هارون 1990م .

*3- منهج في التحليل النصي للقصيدة ( تنظير وتطبيق ) :*

الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف ، مجلة فصول ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني 1996م .

*4- موت النص (النص والنص المضاد والنص الظل – نظريّاً وتطبيقيّاً) :*

الدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ، مجلة كلية الآداب بقنا ، العدد الخامس/ الجزء الأول 1995م .

الفصل السادس

# أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

# أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

**توطئة:**

من الاتساع في اللغة أن تجيء الصيغة بلفظ الأخرى، أو أن تدل الصيغة الواحدة علي معنيين، سواء أكانا متقاربين أم متباينين أم متضادين، وهو ما عُرف بتعدد المعني للمبني، أو تعدد المعني للفظ الواحد، فإن كان المعنيان متقاربين فالعلاقة بينهما علاقة ترادف، وإن كانا متباينين فالعلاقة بينهما تسمي المشترك اللفظي، أو يكون المعنيان متضادين فتكون العلاقة علاقة تضاد، وذلك كدلالة الصيغة علي الفاعلية والمفعولية معا أو أن يجيء المفعول بلفظ الفاعل، والفاعل بلفظ المفعول، ويكثر ذلك في القرآن الكريم، فعندما يتصدي أي نحوي لإعراب القرآن الكريم يبدأ بالاستعاذة، وفيها كلمة " الرجيم " وهي علي وزن " فعيل "، و " فعيل " في اللغة تجيء بمعني (فاعل) أو بمعني (مفعول) فيقول: (فعيل هنا بمعني مفعول) أي مرجوم، معتمداً في ذلك علي كثير من المؤلفات، ولكن هل يستقيم هذا النهج مع كلام رب العالمين، أو بمعني آخر هل من الصواب أن نقول عن صيغة في القرآن الكريم إنها هنا ليست على بابها وإنما هي بمعني باب آخر ؟ لماذا لا تكون صيغة " رجيم " في الاستعاذة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، ولماذا تحمل الصيغة علي معني المفعولية . وإن كان أجلي وأرجح – ولا نفكر في فهم الصيغة بمعني الفاعلية ؟ فإذا عُرِف أن الرجم في اللغة بمعني أن " يتكلم الرجل بالظن [1] (فاعلية) وقد قال الله تعالي: " رجما بالغيب " [2] علم أن الصيغة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، فالشيطان مرجوم ولا يخفي ذلك علي أحد، وهو راجم يرجم الناس ويوسوس في صدورهم، ولأنه بالإغواء من الممكن أن يصل بالإنسان إلي ارتكاب كبيرة من الكبائر فيُرجم، الحق أن مفسري القرآن العظيم قد نهجوا في ذلك نهجين، فتارة يحكمون بتعدد دلالة الاسم المشتق كما فعل أبو حيان في تفسير لفظة (الفرقان) حين قال: " الفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق

---

[1] القاموس المحيط [ ر . ج . م ] / 1464 .

[2] الكهف 22 .

ويجوز أن يراد به المفعول أي المفروق " [1] واستند إلي قول ربنا " وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث " [2]، وتارة ينحون باللفظة منحي محددا لا يقبل السياق إلاه، كما في تفسير قوله تعالي " بديع السموات والأرض " [3]، يقول الراغب: " والبديع يقال للمبدع " [4] ويقول الزمخشري " وقيل البديع بمعني المبدع " [5]، ويقول العكبري: " بديع السماوات أى مبدعها " [6]، والسياق في النهجين هو الضابط، والسياق نوعان نص وموقف (مقال ومقام)، وكلاهما يفيد في تحديد دلالة الاسم المشتق في القرآن الكريم، أما المقال فهو النص أو الكلام المقول الذي يسهم في التوصل إلي المعنى الدلالي الأكبر، وهو مجموع الألفاظ والتراكيب مع جمهرة القرائن اللفظية التي تنتمي إلي السياق المقالى وتسهم في التوصل إلي المعني كالإعراب والرتبة، والمناسبة والربط المادي والبنية التي هي أهم القرائن إسهامًا في التوصل إلي المعني هنا لأنها اللفظ محل الدراسة، وأما سياق المقام فهو كل ما يحيط بالنص من قرائن غير ملفوظة تصاحب الأداء اللغوي وتسهم في التوصل إلي المعني كالقرينة العقلية وحركات المتكلم والأحداث ذات العلاقة بالاتصال، والمواقف والاستجابات، وأسباب النزول في القرآن الكريم، وكل ما هو خارج اللفظ المكتوب، بالإضافة إلي الروابط المعنوية، أو الارتباط . وكل ما يجعل السياق متماسكاً من غير اللفظ [7]، فإما أن ينحو السياق بالاسم المشتق

---

[1] البحر المحيط 379/2 .

[2] الإسراء 106 .

[3] البقرة 117 .

[4] المفردات في غريب القرآن 38 .

[5] الكشاف 181/1 .

[6] إملاء ما من به الرحمن 60/1 .

[7] انظر: قرينة السياق للكتور تمام حسان 375، وأثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، للدكتور فتحي ثابت علم الدين رسالة دكتوراه بكلية الدراسات العربية الإسلامية بالمنيا 1994م 9،5، 60، 62، واللغة لفندريس ترجمة الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو 1950م، 231، وسياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر (تحليل وتطبيق) مكتبة النهضة المصرية 30–52، ودلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير محمد أبو السعود مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد السابع 1407هـ 1987م / 507، 509، والنحو والدلالة للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي)، الطبعة الأولى، القاهرة 1983، 98، 113.

نحو أكثر من معني، وإما أن يحدد معني معينا للاسم المشتق، ومثال الأول ما جاء في تفسير لفظة (الفرقان) ومثال الثاني ما جاء في تفسير لفظة (بديع)، وهذا من إعجاز آيات القرآن العظيم وعليه فليس المقصود بأثر السياق في دلالة الاسم المشتق أن يوجب السياق دلالة واحدة فقط لهذا الاسم المشتق في كل الأحوال، فقد يكون لهذا الاسم المشتق أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها، وقد يكون له معني محدد أو دلالة واحدة فقط، والذي يحدد ذلك كله السياق بنوعيه المقالي والمقامي، وسيتضح ذلك أثناء دراسة الآيات.

وإذا كان الأمر كذلك فمنهج الوصفيين أجدر بالاتباع لفهم وتفسير المفردات أو الصيغ في القرآن الكريم، لأنه يعمد إلي كلمات موجودة بالفعل، ويحاول فهم هذه المفردات في سياقاتها قبل الحكم علي الصيغة أنها بمعني صيغة أخرى، فاستصحاب الأصل عندهم أولي في الأخذ بالاعتبار، ثم يجيء بعد ذلك التفكير في العدول عن الأصل أو خروج المفردة عن بابها إلي معني باب آخر، وهذا البحث محاولة لتوضيح أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية، أقف فيه علي المصادر التي تعددت معانيها في القرآن الكريم، فالمصدر أصل المشتقات [1] الثمانية، وإنما قصرت هذا البحث علي المصادر دون غيرها من المشتقات كي يكون البحث محدداً، ففي القرآن عدد غفير من المشتقات يحتاج إلي مؤلفات لفهم دلالاتها المتعددة، وسأعمد في ذلك إلي ذكر آراء العلماء في المصدر محل الدراسة ثم أذيل ذلك برأيي، من طريق التأويل، وهو ترجيح أحد المحتملات من غير قطع[2]، معتمداً علي منهج السياقيين الذي يعمد أصحابه إلي الجملة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلاً،

---

[1] المصدر أصل المشتقات عند البصريين والجمهور، انظر: شرح المفصل لابن يعيش 43/6، وشرح ابن عقيل 77/2.

[2] عقد الآلوسي بابا للكلام علي التفسير بالرأي ذكر فيه أن المنع شائع ولا دليل عليه، لأن في صحة الحديث الذي استند عليه المانعون نظراً، ولأن الدلالة علي جواز الرأي والاجتهاد في القرآن كثيرة وهي تعارض ما يشعر بالمنع، مفرقا بين التفسير والتأويل، وأن التأويل هو ترجيح أحد المحتملات دون قطع، انظر: روح المعاني 4/1-6.

وتتبني هذه المحاولة علي فهم الجدل الذي دار بين العلماء فيما اصطلحوا علي تسميته بالترادف، وعلي فهم المشترك اللفظي فقد أنكر بعض العلماء الترادف بمعناه المطلق، منهم ابن فارس وشيخه ثعلب ومنهم من أنكره مطلقًا وهو أبو علي الفارسي ... ومنهم من جعله مظهرًا من مظاهر الغني في اللغة الفصحي ... وكلا الاتهامين غير قائم وغير صحيح وليس الأمر إلا تراكباً للمعاني والتقاء جزئياً لمعني الكلمتين ثم افتراقا بين الكلمتين فيما عدا هذا الجزء من المعني [1]، " وأما المحدثون فيوسعون مفهوم المشترك اللفظي أكثر وأكثر لأنهم لا يشترطون الوضع من ناحية ولا الدلالة علي السواء من ناحية أخرى مما يسمح بإدخال تعدد المعني الناتج عن المجاز أو تطبيقات الاستخدام أو غيرهما " [2]، وقد انطلقتُ في بحثي هذا من قول أبي هلال العسكري " قال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد علي معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما، فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس علي المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة، إلا أن يدفع لذلك ضرورة أو علة ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل " [3] .

وعندما يتعلق الأمر بآي الكتاب العزيز فالذي لا لبس فيه ولا جدال أن هذا الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والإحكام هو إتقان في التركيب ودقة في التعبير ليس كمثلهما شيء، لأن الأمر يتعلق بذات الله سبحانه، معني ذلك أن الآيات نُظمت نظماً دقيقاً محكما فلا يعتريها شيء من الخلل، وإذا كانت الآيات قد نظمت هذا النظم الدقيق وبإحكام بالغ من عند الحكيم الخبير فلا شك أن كل صيغة أو مفردة قد وضعت في موضعها بإحكام بالغ أيضاً، وعلي كل من يتصدي لفهم آيات الكتاب أو تفسيرها عليه محاولة فهم الآيات بمعاني مفرداتها وصيغها الموجودة بالفعل معجمياً ووظيفياً ودلالياً، رابطاً ذلك بأسباب النزول مراعياً المناسبة بين الآيات والمعاني العامة للسور القرآنية، قانعاً بأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي

---

[1] انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون 13 .

[2] الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم للدكتور أحمد مختار عمر 11 .

[3] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 18 .

بإحكام بالغ في موقعها، وأنه من الممكن أن تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز القرآن الكريم وضروب الاتساع في اللغة العربية، ومن أنماط دلالة المصدر في القرآن الكريم ما يأتي:

**المصدر الدال علي الفاعلية:**

قال تعالي: " **ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم " (البقرة 7)**

السمع في الأصل مصدر سمع، ويري العكبري أن في تقديره وجهين [1]:

الأول: أنه استعمل مصدراً علي الأصل، وفي الكلام تقدير محذوف أي علي مواضع سمعهم، لأن نفس السمع لا يختم عليه، الثاني: السمع هنا بمعني السامعة أو الأذن، وفي القرطبي " فالسمع مصدر سمعت، والسمع أيضاً اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر"[2] وفيه أيضاً " يحتمل أن يكون المعني وعلي مواضع سمعهم لأن السمع لا يختم عليه ودائماً يختم موضع السمع، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقد يكون السمع بمعني الاستماع " [3]، وفي البيضاوي " ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل، فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع، أو علي تقدير مضاف مثل: وعلي حواس سمعهم " [4] وفيه أيضاً " وقد يطلق مجازاً علي القوة الباصرة (أي الختم) وعلي العضو وكذا السمع، ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية " [5] وفي عمدة الحفاظ " السمع في الأصل قوة في الأذن يدرك بها المسموعات، وهو أيضاً مصدر سمع يسمع فهو سامع " [6]، وفي التحرير والتنوير " وإنما أفرد السمع، ولم يجمع كما جمع قلوبهم وأبصارهم إما لأنه أريد منه المصدر الدال علي الجنس، إذ لا يطلق علي الآذان سمع ... وإما لتقدير محذوف أي وعلي حواس

---

[1] انظر: إملاء ما من به الرحمن 15/1، دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور عبد الخالق عضيمة 170/6 .

[2] تفسير القرطبي 190/1 .

[3] تفسير القرطبي 190/1 .

[4] تفسير البيضاوي 23/1 .

[5] تفسير البيضاوي 23/1 .

[6] عمدة الحفاظ، للسمين الحلبي [ س . م . ع ] 1250/2 .

سمعهم أو جوارح سمعهم " [1]، وفي الطبري " فمعني الختم عليها (أي القلوب) وعلي الأسماع التي بها تدرك المسموعات " [2]، وعلي تقدير السمع بمعني السامعة يكون المصدر بمعني اسم الفاعل، وهو تقدير أراه تابعاً للمعني المقصود في الآية وهو الختم علي السمع أو الاستماع لا علي الأذن السامعة فقد يختم علي العضو السامع فلا يحكم الختم، فإذا ختم علي مصدر الشيء أو أصله كان الختم أقوي وأكثر إحكاماً، أما قول العكبري" لأن نفس السمع لا يختم عليه"[3] فمردود عليه لأن الختم غيبي مجازي، ولأن الأمر يتعلق بذات الله، فإذا كان الختم أثراً مادياً يظهر علي الشيء ويعرفه البشر، فإن الختم علي الأصل أو مصدر الحاسة أقوي وأبلغ، وما ذلك علي الله ببعيد، ويؤيده قول محمد الطاهر بن عاشور: " وليس الختم علي القلوب والأسماع ولا الغشاوة علي الأبصار هنا حقيقة كما توهم بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية بل ذلك علي طريق المجاز " [4]، والسياق يقبل كلتا الدلالتين: المصدرية – وهو الأصل الأَوْلي استصحابُهُ في الآية – ومعني الفاعلية الذي أراه معني تابعاً جديراً بالأخذ في الاعتبار، والختم في كلتا الدلالتين مجازي، واستصحاب الأصل في الآية أولي من العدول إلي الفاعلية ذلك أن قرينة التناص وهي إحدي قرائن السياق المقالي لها أكبر الأثر في ذلك، حيث يقول ربنا سبحانه في سورة الجاثية: " ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلي عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها " [5]، فقد وصف الدكتور فاضل السامرائي الأسماع هنا بأنها معطلة " [6] ذلك أنهم يصرون مستكبرين علي عدم السماع لأن الله ختم علي سمعهم وأسماعهم، فكأنهم عطلوا أسماعهم استكباراً فعطلها الله بالختم عليها وعلى السمع، ويناسبه قول ربنا " إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "،

---

[1] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور 206/1 .

[2] تفسير الطبري 87/1 .

[3] إملاء ما من به الرحمن 15/1 .

[4] التحرير والتنوير 254/1، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي 37، والفتوحات الإلهية 15/1 .

[5] الجاثية 7، 8 .

[6] التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان الأردن ط207/5م، 64 .

وتكرار (علي) في الآية " أدل علي شدة الختم في الموضعين " [1]، وقد أثر السياق المقالي في دلالة الصيغة علي الفاعلة ذلك أن العطف معناه التشريك فى الحكم، وعطف (سمعهم) علي قلوبهم معناه " أن الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب إذ كلاهما يشبه بالوعاء ويتخيل فيه معني الغلق والسد " [2] وبذلك يكون الختم علي السمع والأسماع معاً، وهو أقوي وأبلغ، ويؤيده الجمع بين القلوب والسمع في الآية، والختم علي كليهما معا ختم علي المادي والمعنوي وفي ذلك مناسبة.

**قال تعالي: " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " (آل عمران 188)**

يقول العكبري: " يجوز أن تكون المفازة مصدراً فتتعلق من به، ويكون التقدير: فلا تحسبنهم فائزين، فالمصدر في موضع اسم الفاعل " [3]، ويقول القرطبي: " والمفازة المنجاة، مفعلة من فاز يفوز إذا نجا، أي ليسوا بفائزين"[4]، وفي البيضاوي " بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه " [5]، وفي الطبري، " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله" [6]، وفي عمدة الحفاظ: " ولا تسحبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة، وقيل ببُعدٍ وهذا من طريق اللازم لأنهم إذا نجوا منه بعدوا عنه " [7]، وفي الإرشاد: " بمفازة من العذاب أي ملتبسين بنجاة منه علي أن المفازة مصدر ؟ ..... ولا سبيل إلي جعلها اسم مكان علي أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب، وتقدير فعل خاص ليصح به المعني أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغني عنه " [8]، وفي التحرير والتنوير: " والمفازة مكان الفوز ... وحرف (من) معناه البدلية ... أو

---

[1] الكشاف للزمخشري 125/1 .

[2] التحرير والتنوير 255/1 .

[3] إملاء ما من به الرحمن 1/ 162 .

[4] تفسير القرطبي 308/4 .

[5] تفسير البيضاوي 195/1 .

[6] تفسير الطبري 139/4 .

[7] عمدة الحفاظ [ف . و . ز] 2401/3 .

[8] تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم) 462/1 .

بمعني (عن) بتضمين مفازة معني منجاة " [1] وعلي تقدير (مفازة) بمعني (فائزين) يكون المصدر في الآية الكريمة بمعني اسم الفاعل، ولكن كيف يستقيم اسم الفاعل (فائزين) مع قوله تعالي (من العذاب) ؟ والفعل (فاز) لازم يتعدي بحرف الباء، يقال فاز فلان، وفاز بالشيء، ولا يُقال فاز من الشيء، إلا علي التضمين بمعني (نجا) وتأويل مفازة بفائزين، وتضمين كلمة (فائزين) معني (ناجين) فيه بُعْد وتكلف، وتفسير مفازة أنه موضع فوز ونجاة أولي بالأخذ في الاعتبار، أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، وتعلق الجار والمجرور هنا وهما جزء من السياق المقالي أثر في تحديد معني مفازة بمعني موضع فوز ونجاة، وهذا التفسير يتناسب مع قوله تعالي: " **ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شيء قدير** " (آل عمران 189) . أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، كيف يجدون هذا الموضع ولله ملك السموات والأرض ؟ والسياق في الآيتين بليغ متماسك، وقد أثر بنوعيه في تحديد دلالة كلمة (مفازة)، فالآية الثانية تفصيل للأولي وبينهما علاقة مناسبة، والمناسبة بين الألفاظ هي إحدى قرائن السبك والحبك في السياق المقالي، وتعدي الفعل بالحرف وعدمه أثر مقالياً في تحديد دلالة الكلمة، بالإضافة إلي التجاور بين المفردات، وهذا المقام مقام تعذيب يُحتاج فيه إلي موضع فوز ونجاة، والقبضة محكمة علي المعذبين فلا يستطيعون الفوز أو الفرار من العذاب، وهذا يقوي مرجوحية الفاعلية .

قال تعالي: " **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** " (يونس 101)

يقول أبو حبان: " النذر جمع نذير، إما مصدر فمعناه الإنذارات وإما بمعني منذر فمعناه المنذرون " [2] وفي القرطبي: " والنذر أي الرسل، جمع نذير، وهو الرسول صلي الله عليه وسلم " [3]، وفي أبى السعود: " والنذر جمع نذير علي أنه فاعل بمعني منذر أو علي أنه مصدر، أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات عن قوم لا

---

[1] التحرير والتنوير 194/4 .

[2] البحر المحيط 194/5 .

[3] تفسير القرطبي 386/8 .

يؤمنون " [1]، وفي عمدة الحفاظ: " النذر جمع نذير، نحو رغيف ورغف، والمراد به المصدر وجمع لاختلاف أنواعه، قال الراغب والنذير المنذر، ويقع علي كل شيء فيه إنذار إنسانا كان أو غيره وجمعه النذر " [2]، وفي الطبري: " وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم سبق لهم من الله الشقاء وقضي لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار " [3]، والنذير في اللغة هو المنذر والإنذار أيضاً [4]، وقد جعل الدكتور أحمد مختار عمر كلمة نذير من المشترك اللفظي في القرآن الكريم بمعني اسم الفاعل أي منذر وبمعني المصدر أي الإنذار [5]، مستنداً إلي قول ربنا: " **وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً** " (الإسراء 105)، أي منذرا ومحذرا، وقوله تعالي: " **إنها لإحدي الكبر * نذيراً للبشر** " (المدثر 35، 36) أي إنذاراً للبشر وعندي أن الصيغة تحتمل المصدرية والوصف معاً، ويكون المعني: وما تغني الآيات ولا المنذرون مع إنذاراتهم عن قوم صمموا علي عدم الإيمان، والنذير هو المنذر الذي جاء بالإنذارات، يقول تعالي في سورة الملك: " كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير " (الملك 9)، يتضح معني النذير من إجابة أهل النار (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) أي من الإنذارات، وفي قولهم (إن أنتم إلا في ضلال كبير) الضمير للعاقل أي: إن أنتم أيها المنذرون – إلا في ضلال كبير، وفي ذلك يقول القرطبي: " قالوا بلي قد جاءنا نذير، أنذرنا وخوفنا، فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء أي علي ألسنتكم إن أنتم يا معشر الرسل " [6] إلا في ضلال كبير، وفي تفسير قول ربنا " **فستعلمون كيف نذير** " (الملك 17) يقول القرطبي " أي إنذاري، وقيل النذير بمعني المنذر يعني محمداً صلي

---

[1] تفسير أبي السعود 530/2 .

[2] عمدة الحفاظ [ن . ذ . ر] 2602/4 .

[3] تفسير الطبري 120/11 .

[4] انظر القاموس المحيط 668/1 ومختار الصحاح [ن . ذ . ر] 296 .

[5] انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم 68 .

[6] تفسير القرطبي 212/18 .

الله عليه وسلم " [1]، والتناص بين هذه الآية وآيات سورة الملك أثر في الوصول إلي دلالة كلمة (نذر)، والتناص من قرائن السياق المقالي .

**المبحث الثاني: المصدر الدال علي المفعولية [2]:**

قال تعالي: " **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** " (البقرة 25) يقول أبو حيان الأندلسي: " رزقا هنا هو المرزوق والمصدر فيه بعيد جداً لقوله (هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) فإن المصدر لا يؤتى به متشابهاً " [3] ويقول العكبري: "كلما رزقوا منها من ثمرة إلي قوله من قبل في موضع نصب علي الحال من الذين آمنوا تقديره مرزوقين علي الدوام، ويجوز أن تكون حالاً من الجنات في قوله تعالي (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [4] (البقرة 25)، وفي القرطبي: " الرزق مصدر رزق يرزق رَزقا ورِزقا، فالرزق بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم وجمعه أرزاق، والرزق العطاء " [5]، وفي أبى السعود : " كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقاً " [6]، وفيه أيضاً: " ورزقا مفعول بمعني المرزوق " [7] وجاء في عمدة الحفاظ أن الرزق يطلق تارة علي العطاء، وتارة علي ما يصل إلي الجوف ويتغذي به، ويطلق علي كل خبر وصل إلي صاحبه، والرزق في الأصل مصدر، ويطلق أيضاً علي المرزوق [8]، والرزق في اللغة معناه العطاء [9]، ومن كل ما تقدم يمكن القول إن الرزق في الآية الكريمة مصدر بمعني اسم المفعول، أي أن الصيغة تحتمل المصدرية والمفعولية، واستصحاب الأصل في الآية أولي بالأخذ في الاعتبار، وهو أن الرزق مصدر بمعني العطاء، بالإضافة إلي احتماله معني المفعولية،

---

[1] تفسير القرطبي 217/18 .

[2] انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 171/6 .

[3] البحر المحيط 114/1، وانظر: الفتوحات الإلهية 30/1 .

[4] إملاء ما من به الرحمن 25/1 .

[5] تفسير القرطبي 178/1 .

[6] تفسير أبي السعود 85/1 .

[7] تفسير أبي السعود 75/1 .

[8] انظر: عمدة الحفاظ [ر . ز . ق] 1019/2، 1020 .

[9] انظر لسان العرب [ر. ز. ق] 203/5 .

وإذا كان المصدر (رزقا) في الآية بمعني المرزوق هل يستقيم ذلك مع قول ربنا (من ثمرة) ؟ أليس المرزوق في الآية هو الثمر، والرزق في الآية مصدرًا بمعني العطاء؟ يقول القرطبي: " ورزقاً مصدره " [1]، أي أنهم في الجنة يعطون الثمار عطاء دون جهد أو نصب أو تدخل منهم أما قول أبي حيان " والمصدر فيه بعيد جداً لقوله هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها فإن المصدر لا يؤتي به متشابهاً " [2] فيحتاج إلي إنعام نظر لأن قول ربنا (هذا الذي رزقنا من قبل) يحتمل أن يعود علي الثمرة، يقول القرطبي: " هذا الذي رزقنا في الدنيا لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا"[3]، ويقول الطبري: " وإنما معناه هذا من النوع الذي رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق"[4]، وفي البيضاوي " ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم ... وهذا إشارة إلي نوع ما رزقوا " [5]، فإن قال قائل لو كان الكلام يعود علي الثمرة لما قال الله تعالي (هذا الذي) وقال (هذه التي)، والجواب أن (هذا الذي) يقصد به النوع، ويكون المعني: كلما رزقوا منها من نوع من الثمار رزقا قالوا هذا النوع الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها أي النوع، حيث يشتبه مع سابقه، وما هذا بذاك، هذا وسياق الآية المقالي اشتمل علي الفعل (رزقوا) أو بالأحرى علي مادة المصدر، وقد جاء الفعل في التركيب الأفقي قبل المصدر، وهذا النمط التركيبي هو نمط المصدر، وهو مؤكد لفعله، وهو معني مقصود في الآية، وهو أن الله سبحانه يعطي في الجنة عطاء غير منبنٍ علي عمل، بخلاف قول ربنا " **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** " (آل عمران 37)، فالمفعولية هنا أجلي وأوضح، والسياق في كلتا الآيتين هو الضابط، وليس بالضروري أن تسهم القرائن مجتمعة في التوصل إلي المعني فقرينة الإعراب وهي قرينة لفظية من قرائن السياق المقالي باتت عاجزة أمام تبيين المعني المقصود من كلمة (رزقا)، فالكلمة منصوبة بالفتحة الظاهرة، وقد أعربها القرطبي مصدراً [6]، في حين أعربها البيضاوي

---

[1] تفسير القرطبي 240/1 .

[2] البحر المحيط 114/1 .

[3] تفسير القرطبي 240/1 .

[4] تفسير الطبري 134/1 .

[5] تفسير البيضاوي 42/1 .

[6] انظر تفسير القرطبي 240/1 .

مفعولاً به [1] (ثانياً) وهي تصلح سياقياً لكليهما، في حين يتضح أثر هذه القرينة في الوصول إلي المعني المقصود من كلمة (رزقا) في آية (آل عمران) وهو المفعولية بمعني المرزوق حيث تعرب الكلمة مفعولا به للفعل وجد، كما أن انتحاء طرائق العرب في التركيب له أكبر الأثر في وضوح السياقات الكلامية، فبغموض قرينة من قرائن السياق يكون السياق غامضاً، ويأتي الغموض لا من السياق – خلافاً لأحد الباحثين المعاصرين [2] – وإنما من مخالفة الأعراف التركيبية، وهيئات الجمل المكونة لهذا السياق، إلا أن هذا الغموض قد يكون مفيداً أحياناً، فغموض إعراب كلمة (رزقاً) في الآية السابقة جعل المعني الدلالي لها متعدداً، وهو غموض إعراب لا غموض تركيب فتجاور المفردات سليم من الناحية التركيبية وكلا الإعرابين جائز، وبجواز كليهما تعدد الإعراب، ثم تعدد المعني الدلالي للكلمة بين المصدرية والمفعولية، وهذا التعدد واضح من أقوال المفسرين وإعرابهم للكلمة، ولم يقو السياق علي التوجه باللفظة نحو وجهة محددة، ولو كان المرزوق هو المقصود تحديداً في الآية لما قال الله تعالي (رزقا) .

قال تعالي: " **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " (البقرة 196)**

يقول العكبري: " النسك في الأصل مصدر بمعني المفعول لأنه من نسك ينسك، والمراد به ها هنا المنسوك، ويجوز أن يكون اسما لا مصدراً " [3]، وفي القرطبي: " النسك جمع نسيكة وهي الذبيحة ينسكها العبد لله تعالي، وجمع أيضاً علي نسائك، والنسك العبادة في الأصل ... وقيل أن أصل النسك في اللغة الغسل، ومنه

---

[1] انظر تفسير البيضاوي 42/1، والفتوحات الإلهية 30/1، وروح المعاني 230/1 .

[2] هو الدكتور محمد أبو بكر لياس (كلية الآداب جامعة قاريونس)، يقول: " لا أحد ينكر ما للسياق من أهمية عظيمة في فك طلاسم الدلالة وانبهامها، وفتح مغاليق المعني وغموضه، ولكن ينبغي ألا نبالغ في الاحتفال بهذا السياق وفي التعويل عليه دائماً، إذ قد تفاجأ بأن السياق قد يكون في كثير من الأحيان السبب الأساسي في انغلاق المعني وغموضه، ويتجلي ذلك في الأحاجي والألغاز اللغوية، التي تقوم علي الغموض وانبهام المعني" (البنية اللغوية للمشترك اللفظي) بحث منشور في مجلة الباحث التي تصدر عن كلية إعداد المعلمين بوَدّان – جامعة التحدي (سرت) العدد الخامس والسادس 2006، 2007 & 2007، 2008 ص 321 .

[3] إملاء ما من به الرحمن 85/1 .

نسك ثوبه إذا غسله، فكأن العابد غسل نفسه من أدران الذنوب بالعبادة " [1] . وفي الطبري: " نسك الرجل ينسك نسكا ونسيكة ومنسكا إذا ذبح نسكه، والمنسك اسم مثل المشرق والمغرب " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " النسيكة الذبيحة، وجمعها نسك، ... (وقيل): النسك الطاعة، وقال آخرون: النسك ما أمرت الشريعة به " [3]، وفي البيضاوي: " من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية " [4]، وفي التحرير والتنوير: " النّسُك بضمتين وبسكون السين مع تثليث النون العبادة ويطلق علي الذبيحة المقصود منها التعبد وهو المراد هنا ... وأغلب إطلاقه علي الذبيحة المتقرب بها إلي معبود " [5]، وباستقراء ما تقدم نجد أن كلمة نسك في الآية الكريمة تحتمل المصدرية (الحدث)، وتحتمل المفعولية بمعني المنسوك أو المذبوح وتحتمل الاسمية بمعني العبادة، وتحتمل أن تكون جمعا لنسيكة يقول الرازي: " والنسيكة الذبيحة والجمع نُسُك بضمتين " [6]، وهذه الدلالات مقصودة في الآية الكريمة وهذا من إعجاز القرآن العظيم، وأري أن دلالة الكلمة علي الاسمية (العبادة) أرجح في هذا المقام، فالمقام مقام شعائر وعبادات ذلك أن الحاج إذا كان مريضاً أو به أذي من رأسه فلا يستطيع أن يؤجل الحلق حتى يبلغ الهدي محله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك (ذبح الشاة) أي أن الصيغة جاءت في الآية بلفظ الاسمية لأن الذبح هنا شكل من أشكال العبادة، ويحتمل في غير هذا المقام ألا يكون عبادة، وبجوار الاسمية تحتمل الكلمة المفعولية والمصدرية، وأن تكون جمعا لكلمة (نسيكة)، وهذا من إعجاز القرآن أيضاً، هذا ولا يقوي السياق هنا أن يحدد قيمة واحدة بعينها، خلافا لرأي فندريس في أن " السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها علي الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها

---

[1] تفسير القرطبي 386/2 .

[2] تفسير الطبري 172/2 .

[3] عمدة الحفاظ [ن . س . ك] 2618/4 و 2619 .

[4] تفسير البيضاوي 110/1 .

[5] التحرير والتنوير 225/2 .

[6] مختار الصحاح [ن . س . ك] 298 .

أن تدل عليها " [1]، ورأي الدكتور نصيف الجنابي الذي يري أن السياق يقوم ووضع الكلمة في التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها [2]، وأري أن تعدد دلالة الكلمة يؤدي إلي تعدد الأهداف المقصودة، والمرجوة من وجودها في التركيب، وقد يكون هذا التعدد هدفا في حد ذاته إذا كانت كل دلالة من هذه الدلالات المتعددة مطلوبة في السياق، ولها قيمتها الخاصّة، بالشكل الذي لا يحدث غموضاً أو تعارضاً في المعني العام للتركيب، وهذا من ضروب الاتساع في اللغة، فثمة فرق بين تعدد الدلالة، وغموض الدلالة وانبهامها، أما تعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني فهو عنصر إيجاب تفيد منه اللغة أحياناً لتعدد احتمالات القصد من الكلام، وأما غموض الدلالة وانبهامها فهو عنصر سلب يُحسب علي التركيب، وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض، كما يُلحظ هنا أن كثيراً من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية خاصة بلغة بعينها، ربما لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم، ويتضح ذلك بالمقارنة بين كلامي فندريس والجنابي السابقين، فهنالك ظواهر لغوية في لغتنا العربية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون موجودة في غيرها من اللغات، فلغتنا أكثر اللغات اتساعاً، وأعظمها قدراً، وكونها لغة القرآن كاف في ذلك، إلا أن ذلك ينبغي أن يقابل بدراسات بحثية موسعة، فليس من المعقول أن تنسب النظريات اللغوية المسماة بالحديثة إلي الغرب وهي في كتبنا منذ مئات السنين، هذا وقد أقر المفسرون بإمكانية تحمل السياق لأكثر من دلالة للمفردة الواحدة علي حد سواء، ومنهم الزمخشري والآلوسي وأبو حيان [3] في معرض حديثهم عن دلالة (أمين) وأنها تحتمل المبالغة بمعني فاعل أي الآمن

---

[1] اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو 1950م، 231 .

[2] انظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، للدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول 1405هـ / 1984م، 361 و 398 و 400 و 401 .

[3] انظر الكشاف 348/3 وروح المعاني 173/3 والبحر المحيط 490/8 والتعبير القرآني للسامرائي 340 .

أو المفعولية بمعني مأمون أو من الأمانة، ثم أقر الدكتور فاضل السامرائي [1] في تفسير سورة التين بأن هذه المعاني كلها مجتمعة مرادة ومطلوبة . وبالنظر إلي سياق الآية المقالي نجد كلمة (نسك) عطفت علي كلمتي (صيام) و (صدقة) وفي ذلك مناسبة، فكلمة (صيام) مصدر، وكلمة (صدقة) تطلق علي المتصدق به بمعني المفعولية، وعطف (نسك) علي هاتين الكلمتين يجعلها تحتمل هذين المعنيين، " فالكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً " [2] (سياق المقال) .

قال تعالي: " **وإذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها وُيهلك الحرث والنسل** " (البقرة 205)

يقول أبو حيان الأندلسي: " والإطلاق علي الولد نسلاً من إطلاق المصدر علي المفعول يسمي بذلك لخروجه من ظهر الأب، وسقوطه من بطن الأم بسرعة " [3]، وفي القرطبي: " الحرث في اللغة الشق ومنه المحراث لما يشق به الأرض، والحرث كسب المال وجمعه ... والحرث الزرع، والحراث الزراع ... والنسل ما خرج من كل أنثي من ولد، وأصله الخروج والسقوط [4]، وفي عمدة الحفاظ: " ويهلك الحرث والنسل، قيل أراد الزرع وقيل النساء سماهن حرثا كما في قوله تعالي (نساؤكم حرث لكم) (البقرة 223)، ويرشحه قوله (والنسل) قيل نزلت في الأخنس بن شَريق مر بزرع فأحرقه وعقر دوابه"[5]، وفي التحرير والتنوير، " والحرث هنا مرادَ منه الزرع، والنسل أطفال الحيوان مشتق من نسل الصوف نسولا إذا سقط وانفصل " [6]، وفي أسباب النزول للسيوطي، " نزلت في الأخنس بن شَريق الثقفي جاء إلي رسول الله – صلي الله

---

[1] انظر: التعبير القرآني 341 .

[2] (دروس في الألسنية العامة) فردينان دي سوسير، تعريب صالح الفرماوي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة الدار العربية للكتاب 186 .

[3] البحر المحيط 108/2 .

[4] تفسير القرطبي 18/3 .

[5] عمدة الحفاظ [ح . ر .ث] 629/1 .

[6] التحرير والتنوير 270/2 .

عليه وسلم – وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك " [1]، وبإطلاق النسل علي المنسول، والحرث علي المحروث، في رأي العلماء، يكون المصدر في الآية بمعني اسم المفعول، وقبل الخوض في تبيين معنى الحرث والنسل ينبغي أن أشير هنا إلي أن السمين الحلبي طبق نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي في تفسير هاتين المفردتين، وإن كان كتابه معجما لتفسير الألفاظ القرآنية لكنه لم يعزل هذه المفردات عن سياقاتها التي جاءت فيها تماماً كما فعل الراغب الأصبهاني في مفرداته الأمر الذي حد بالزركشي أن يثني علي طريقته في التفسير حيث قال: " وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائداً علي أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق " [2] فقد استعان الحلبي بالسياق المقالي (بالتناص تحديداً) عندما أتي بقول ربنا (نساؤكم حرث لكم)، واستعان بالسياق المقامي عندما تعرض لسبب نزول الآية وأسباب النزول سياق مقامي، والمصدرية أنسب لمعني الحرث والنسل، لأن الآية نزلت في الأخنس بن شَرِيق الذي أظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك، والقرآن يبين أن الذي يظهر الإسلام ويبطن خلافه أكثر ضرراً علي الإسلام، لذا قال ربنا في الآية السابقة علي هذه الآية: " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علي ما في قلبه وهو ألد الخصام " (البقرة 204)، فالذي يفعل ذلك إنما يهلك أصل الشيء وهو الحدث المنبثق عنه هذا الشيء وليس الشيء نفسه، فإذا هلك الأصل هلك المنبثق عنه وفي هذا مبالغة في الهلاك، ولذا بالغ ربنا في الوصف فقال (وهو ألد الخصام)، وهلاك النسل المنبني علي إبطال حدث التناسل أقوي من المنبني علي هلاك المنسولين، حيث لا يكون نسل بلا تناسل، وإهلاك حدث الحرث أقوي من إهلاك المحروث له، وثمة مناسبة بين سبب النزول وتعدد المعني الدلالي للكلمة، فالآية نزلت في الأخنس، والأخنس يظهر ما لا يبطن فهو ذو وجهين وكذلك المصدر فهو أصل الحدث وهو بمعني المفعولية أي أن المفردة في الآية بوجهين المصدرية والمفعولية، فناسب التعددُ التعددَ، هذا وقد ناسبت المصدريةُ مصدرَ إهلاك الحرث والنسل وهو

---

[1] أسباب النزول للسيوطي 60 .

[2] البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم) 172/2 .

عداء الأخنس للإسلام، " فالفهم عن طريق الوقوف علي تلك الظروف والملابسات عملية تتم قبل الفهم للنص اللغوي أو العبارة المنطوق بها " [1] (سياق المقام)

قال تعالي: " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** " (البقرة 216)

في البحر المحيط " أي مكروه، فهو من باب النقض بمعني المنقوض، أو ذو كره إذا أريد به المصدر فهو علي حذف مضاف أو جُعل نفس الكراهة " [2]، وفي القرطبي: " قوله تعالي (وهو كره لكم) ابتداء وخبر وهو كره في الطباع، قال ابن عرفة: الكره المشقة، والكَره بالفتح ما أكرهت عليه، وهذا هو الاختيار ويجوز الضم في معني الفتح فيكونان لغتين، يقال: كرهت الشيء كَرها وكرُها وكراهة وكراهية " [3]، وفي البيضاوي: " شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعني مفعول كالخبز، أو بمعني الإكراه علي المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته " [4] وفي عمدة الحفاظ: " قرئ في المتواتر والفتح والضم فقيل هما بمعني الضعف والضعف، وقيل المفتوح ما ينال الإنسان من المشقة من خارج ما يحُلُّ عليه بإكراه، والكره ما ينال من ذاته وهو ما تعافه، وذلك علي نوعين: أحدهما ما يعافه من حيث الطبع، والثاني ما يعافه من حيث العقل والشرع ... وعلي الأول قوله تعالي (كتب عليكم القتال) ... أي من حيث الطبع " [5] وفي لسان العرب الكره المشقة [6]، وبذلك تكون كلمة (كُره) محتملة المصدرية واسم المفعول فهي مصدر بمعني اسم المفعول، وجاء اللفظ بصيغة المصدرية لأن الكره في اللغة معناه المشقة والكراهة في القتال نابعة في الأصل من المشقة التي فيه، وأن الإنسان يعافه من حيث الطبع كما جاء في عمدة الحفاظ، والمصدرية هنا أبلغ من المفعولية فقد يكون الشيء مكروها ويقدم الإنسان عليه

---

[1] دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، الأنجلو 1980، 45 .

[2] البحر المحيط 143/2 .

[3] تفسير القرطبي 38/3 و 39 .

[4] تفسير البيضاوي 117/1، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل 78 .

[5] عمدة الحفاظ [ك . ر . ه] 2256/3 و 2257 .

[6] انظر: لسان العرب 80/12 .

لحاجة، فإن كان مصدر الكراهة فالأمر يحتاج إلي تدبر، كما أن مكروهية القتال معروفة، وعليه فالمعني: كتب عليكم القتال وهو رأس المشقة والكراهة أو مصدرها ليبتليكم في ذلك، ولو قال ربنا (كتب عليكم القتال وهو مكروه لكم) لم يكن الكلام معجزا لأن القتال مكروه ولا يخفي ذلك علي أحد، هذا واشتمل سياق الآية المقالي علي اللفظ (كُتِبَ) وهو هنا بمعني (فرض) والفروض ارتبطت في القرآن الكريم بالأشياء الشاقة، مما يرجح المصدرية، وقول ربنا (وهو كره) أبلغ من القول (وهو مكروه) لأن معناه أنه هو الكره نفسه، فلكثرة المشقة التي فيه صار مصدراً للكراهة، وعليه أصبح ثواب الجهاد عظيماً، وهو ما اشتمل عليه سياق الآيات فيما بعد .

قال تعالي: " **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً** " **(البقرة 24)**

يقول العكبري: "يجوز أن يكون القرض هنا بمعني المقروض كالخلق بمعني المخلوق فيكون مفعولاً به " [1]، ويقول أبو حيان: " وانتصب قرضاً علي المصدر الجاري علي غير الصدر فكأنه قيل إقراضاً، أو علي أنه مفعول به، فيكون بمعني مقروض ... كالخلق بمعني المخلوق " [2]، وفي القرطبي: " القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ... وقال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ وأصل الكلمة القطع ... والقرض ههنا اسم ولولاه لقال إقراضاً"[3] وفي البيضاوي: " قرضا حسنا إقراضا حسنا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس " [4]، وفي عمدة الحفاظ: " مراد به الصدقة (واجبها ومندوبها) وسماه قرضا تكرما منه، وتطيبا للمتصدقين، وأن ما يعطونه من الصدقة علي الوجه المطلوب . وهو المراد بقوله حسنا – لابد أن يرجع إليهم بدله، وأنه لا يضيع علي ما يتعارفونه فيما بينهم .. وقرضا في الآية مصدر علي حذف الزوائد (اسم المصدر) [5]، وبدلالة القرض علي المقروض يقال هنا (المصدر

---

[1] إملاء ما من به الرحمن 194/1 .

[2] البحر المحيط 252/2 .

[3] تفسير القرطبي 3/ 239 و 240 .

[4] تفسير البيضاوي 129/1، وانظر: التحرير والتنوير 277/1 .

[5] عمدة الحفاظ [ق . ر . ض] 2011/3 & 2111 .

بمعني اسم المفعول)، ودلالة الكلمة علي المصدرية أبلغ لأن المقصود من الإقراض كل شيء يقدمه العبد ابتغاء مرضاة الله معنوياً كان أو مادياً، وللاهتمام بالإقراض لا بالشيء المقروض، كما أن كلمة (قرضا) في سياق الآية الكريمة وصفت بـ (حسنا) لتكون (حسنا) صفة للمصدر بمعني الإقراض بإخلاص وعن طيب نفس، ولتكون أيضاً صفة للمقروض، بمعني أن يكون قد أتي به العبد من طرقه الشرعية، فقد يكون المقروض حسنا والإقراض غير حسن، وقد يكون العكس، والأصل في القرض أن يجتمع فيه حسن الإقراض والمقروض، ودلالة (قرضا) علي المصدر واسم المفعول ثم وصفها بـ (حسنا) معجز في ذلك ليجتمع حسن الإقراض والمقروض معاً، ولو قال ربنا (مقروضا حسنا) لانتفى هذا الجمع، كما أن (حسنا) أكدت احتمال كلمة (قرضا) للمصدرية والمفعولية معاً، وبذلك تضافر كل من السياق المقالي ممثلاً في قرينة الوصف، والسياق المقامي ممثلاً في الاهتمام بالإقراض وملابساته لتبيين دلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية .

قال تعالي: " **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** " (آل عمران 191)

يقول أبو حيان: " يحتمل خلق أن يراد به المصدر، فإن الفكرة في الخلق لهذه المصنوعات الغريبة الشكل، والقدرة علي إنشاء هذه من العدم الصرف يدل علي القدرة التامة والعلم ... ويحتمل أن يراد به المخلوق ويكون أضَافَه من حيث المعني إلي الظرفين لا إلي المفعول به " [1]، ويقول العكبري: " الإشارة في قول ربنا (ما خلقت هذا باطلاً) إلي الخلق المذكور في قوله (خَلْق السموات) وعلي هذا يجوز أن يكون الخلق مصدراً، وأن يكون بمعني المخلوق، ويكون من إضافة الشيء إلى ما هو هو في المعني " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " والخلق مصدر أراد به المخلوق كقول (هذا خلق الله) (لقمان 1) والخَلق والخُلق بمعني إلا أن الخَلق اختص بالهيئات والصور والأشكال المدركة بالبصر " [3]، وفي عمدة الحفاظ أيضاً: " أصل الخلق التقدير المستقيم،

---

[1] البحر المحيط 139/3 .

[2] إملاء ما من به الرحمن 162/1 و 163 .

[3] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] 844/2 .

ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، كقوله (خلق السموات والأرض) (الأنعام 1)، (ومثله بديع السموات والأرض) (البقرة 117) . وإذا كان بمعني الإيداع فهو يختص بالباري ... ويستعمل في إيجاد شيء من شيء قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة) (النساء 1) [1]، وفي البيضاوي " وهذا إشارة إلي المتفكر فيه أي الخلق علي أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة"[2]، وفي التحرير والتنوير: " والمراد بخلق السموات والأرض هنا إما آثار خلقها وهو النظام الذي جعل فيها، وإما أن يراد بالخلق المخلوقات " [3] ويري القرطبي أن في (خلق): " دليل التوحيد وأن هذا العالم والبناء العجيب لابد له من بان وصانع، وجمع السموات لأنها أجناس مختلفة ... ووحد الأرض لأنها كلها تراب " [4]، وفي الطبري: " خلق الشيء صفة له لا هي هو ولا غيره ... وقال آخرون: خلق السموات والأرض وخلق كل مخلوق هو ذلك الشيء بعينه لا غيره فمعني قوله (إن في خلق السموات والأرض) إن في السموات والأرض " [5]، وباستقراء كل ما تقدم نلحظ أن (خلق) في الآية تحتمل المصدرية بمعني الإنشاء والإبداع، وتحتمل المفعولية بمعني المخلوق، وأن من العلماء من يسوي بين الخلق والمخلوق فهما كالشيء الواحد، وأري أن هذه الكلمة أينما حلت في كتاب الله تقتضي التفكر في: الشيء المخلوق لأنه دليل قدرة، ثم عملية الإنشاء أو الإبداع أو القدرة بعينها، ومن ثم التفكر في الخالق سبحانه، فكل مخلوق لابد له من خالق، وخالق المخلوقات جميعا هو الله، وهو التوحيد الذي تحدث عنه القرطبي، فالتفكير في المخلوق وكيفية الخلق معا يؤدي إلي التفكير في الخالق ومن ثم توحيده وإفراده بالعبادة، والإتيان بالمصدر في سياق الآية بليغ في ذلك للتفكر في الخلق والمخلوق معاً، فالتفكير في

---

[1] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] 841/2 و 842 .

[2] تفسير البيضاوي 195/1 .

[3] التحرير والتنوير 196/4 .

[4] تفسير القرطبي 192/2 .

[5] تفسير الطبري 38/2 .

المخلوق فقط أو إفراط التفكر فيه دون الإيمان بالخلق والخالق هو العلمانية المادية التي تسيطر علي العالم الغربي حالياً، ومن القواعد النحوية المقررة أنه " لا يضاف اسم لما به اتحد في المعني " [1] . فإذا كانت (خلق) بمعني المخلوق فكيف تضاف إلي السموات والأرض ؟ إلا علي اعتبار الإضافة بمعني الظرفية أي ويتفكرون في المخلوقات التي في السموات والأرض، وهو ما فكر فيه أبو حيان، ولكن هذا التفكير يُخرج السموات والأرض من بين الأشياء المطلوب التفكير فيها، وهذا لا يناسب سياق الآيات، فقد أثبت العلم الحديث العلاقة الرائعة بين القدرة في خلق السموات والأرض من حيث دوران الأرض في السموات حول الشمس وعَلاقة ذلك باختلاف الليل والنهار الأمر الذي يرجح المصدرية علي المفعولية في هذا السياق، وبذلك تضافر السياق المقالي المتمثل في المناسبة بين المفردات والجمل والتجاور بين المضاف والمضاف إليه ومعني الإضافة، والسياق المقامي المتمثل في الدراسات العلمية الحديثة لتبيين أرجحية المصدرية علي المفعولية في دلالة كلمة (خلق)، فلا السماء وحدها ولا الأرض وحدها (وهما مخلوقان من المخلوقات) تقدر أن تؤثر في اختلاف الليل والنهار، والاختلاف نابع من حدث خلقهما معا ومن دوران الأرض حول الشمس وهو القدرة التامة التي تحدث عنها أبو حيان في تفسيره لدلالة هذه الكلمة .

قال تعالي: " **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة** " (يوسف 20)

يقول العكبري: " بخس مصدر في موضع المفعول أي مبخوس أو ذي بخس " [2] . ويقول أبو حيان: " بخس مصدر وصف به معني مبخوس ... وقال قتادة بخس ظلم لأنهم ظلموه في بيعه، وقال ابن عباس وقتادة أيضاً في آخرين بخس حرام، وقال ابن عطاء إنما جعله بخسا لأنه عِوض نفس شريفة لا تقابل بعوض " [3]، وفي القرطبي: " بثمن بخس أن نقص، وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم، أي باعوه بثمن مبخوس أي منقوص، ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم

---

[1] شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك 24/3 .

[2] إملاء ما من به الرحمن 51/2 .

[3] البحر المحيط 291/5، وانظر: الفتوحات الإلهية 442/2 و 443 .

ما يستفيدونه من خلو وجه أبيهم عنه ... وقال قتادة بخس ظلم وقال الضحاك ومقاتل والسُّدي وابن عطاء: بخس حرام " [1]، وفي معاني القرآن: " وإنما قيل معدودة ليستدل به علي القلة " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " وشروه بثمن بخس قال الهروي أي بثمن ظلم، لأنه حر بيع ظلماً، وقال الراغب باخس أي ناقص، وقيل مبخوس أي منقوص " [3]، وفي التحرير والتنوير: " والبخس أصله مصدر بخسه إذا نقصه عن قيمة شيئه، وهو هنا بمعني المبخوس، كالخلق بمعني المخلوق " [4]، أي أن (بخس) في الآية الكريمة بمعني المبخوس أو المنقوص، ولو قال ربنا سبحانه وتعالي (وشروه بثمن مبخوس) لما كانت هذه المعاني المجتمعة، وهي مرادة مطلوبة في الآية، فكلمة (بخس) تحتمل المصدرية بمعني ظلم، وبمعني حرام، وتحتمل اسم المفعول بمعنى مبخوس، أي منقوص من قدره، ويمكن القول إن المصدرية تخص إخوة يوسف الذين ظلموه وارتكبوا حراما فهي تبين الظلم الذي وقع علي يوسف من إخوته عندما أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، واسم المفعول يخص السيارة الذين جعلوا الثمن مبخوسا وكانوا فيه من الزاهدين ولم يتعمدوا ظلمه لأنهم لا يعرفونه (وهم له منقذون)، وهو من إعجاز القرآن العظيم، كما يمكن أن تكون (بخس) محتملة للمصدرية من جهتين الأولي من جهة إخوته الذين ظلموه بإلقائه في الجب، والثانية من جهة السيارة الذين ظلموه بإنقاص ثمنه، وفي احتمال اللفظة لمعني (الحرام) ووصف كلمة (ثمن) بها دلالة علي أن الدراهم المذكورة في الآية حرام لانبنائها علي حرام، لأن إلقاء إخوة يوسف له في الجب حرام، وبيع السيارة له أو تعويض نفس شريفة لا تقابل بعوض بدراهم قليلة معدودة حرام، وفي كل هذه المعاني مجتمعة مزيات فريدة ومقاصد جليلة .

قال تعالي: " **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض** " (النمل 25)

---

[1] تفسير القرطبي 155/9، وانظر: تفسير الطبري 102/12 .

[2] معاني القرآن للفراء 40/2 .

[3] عمدة الحفاظ [ب . خ . س] 257/1 .

[4] التحرير والتنوير 244/12 .

يقول أبو حيان: " الخبء مصدر أطلق علي المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالي في غيوبه " [1] . وفي الطبري: " ويعني بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض " [2]، وفي الطبري: " خبء السماء قطرها وخبء الأرض كنوزها ونباتها، وقال قتادة الخبء السر، النحاس: وهذا أولي أي ما غاب في السموات والأرض " [3]، وفي عمدة الحفاظ: " الخبء كل غائب وقيل مدخر مستور وقيل المراد السر وقيل خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات"[4]، وفي البيضاوي: " والخبء ما خفي في غيره وإخراجه وإظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار، وإنبات النبات، بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلي الفعل والإبداع " [5]، أي أن الخبء تحتمل المصدرية وتحتمل اسم المفعول، وجاءت في الآية بلفظ المصدر ليعتبر كل إنسان بقدرة الله في صنع وتقدير الأشياء كيف صنعت ؟ ثم يعتبر بعد ذلك بالشيء المصنوع، ولا شك أن الصناعة أهم من المصنوع، والخلق أعظم من المخلوق، فعمال المناجم مثلاً يستخرجون خبء الأرض من الفحم وما شابهه وهو مخبوء، ولكن هل يستطيعون خلقه أو تكوينه أو خلق ما شابهه من الذهب وخلافه ؟ كما أن الله سبحانه وتعالي تحدي البشر بآيتين من آيات قدرته فلا يقوي أحد أن ينزل خبء السماء وهو المطر، أو يخرج خبء الأرض وهو النبات، وفي ذلك يقول ربنا: " أفرءيتم ما تحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " (الواقعة 63 و 64)، ويقول تعالي: " أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون " (الواقعة 68 و69)، وسياق آيات الواقعة يتحدث عن القدرة في الخلق والبعث والحساب، وإخراج المخبوء من السماء والأرض، والتناص بين آيات الواقعة، وآية النمل أثر في احتمال الكلمة للمصدرية والمفعولية والتناص من

---

[1] البحر المحيط 69/7 .

[2] تفسير الطبري 93/19 .

[3] تفسير القرطبي 187/13 .

[4] عمدة الحفاظ [خ . ب . أ] 771/2 .

[5] تفسير البيضاوي 175/2 .

قرائن سياق المقال، فالقرآن وَحدة واحدة متماسكة كما يقول الرازي في تفسيره الكبير: " القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، بل هو كالآية الواحدة " [1]، ومن إعجاز القرآن الكريم المعاقبة بين (في) و (من) في الآية الكريمة، وفي ذلك يقول الطبري: " وقيل يخرج الخبء في السموات والأرض، لأن العرب تضع (من) مكان (في) و (في) مكان (من) في الاستخراج " [2]، ذلك أن المطر ينزل من السماء فيناسبه الحرف (من) والنبات يخرج في الأرض، فيناسبه الحرف (في)، والمعاقبة بين (من) و (في) معجزة في الآية، كما أن تضافرا من نوع خاص في الآية يحدث بين المخبوءين فعندما يسقط المطر تبدأ الأرض في الإنبات، وقد عبر الهدهد عن معرفته لقدرة الله في الخلق من خلال الشيء الذي يعرفه وهو الحب والنبات والمطر، وهذه دعوة للتفكر في الخلق والإنشاء ثم التفكر في المخلوق، ودلالة المصدر علي المفعولية أنسب لذلك .

قال تعالي: " **فالقُ الإصباح وجعلَ الليلَ سكنا والشمسَ والقمرَ حسبانا** " (الأنعام 96)

في البحر المحيط: " والسكن فَعَل بمعني مفعول، أي مسكون إليه " [3]، وفي عمدة الحفاظ: " والسكن ما يسكن إليه " [4]، وفي القرطبي: " والسكن كل ما سكن إليه ... وهو محل السكون، وسكن إليه يسكن سكونا " [5]، وفي البيضاوي: " يسكن إليه التَّعِبُ بالنهار لاستراحته فيه مَن سَكَن إليه إذا اطمأن إليه، استئناسا به، أو يسكن فيه الخلق " [6]، وفي التحرير والتنوير: " السكن بالتحريك علي زنة مرادف اسم المفعول مثل الفلق علي اعتباره مفعولا بالتوسع بحذف حرف الجر، وهو ما يسكن إليه، أي تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، والسكون فيه مجاز ... فمعني جعل الليل سكنا أنه جعل لتحصل فيه راحة النفس من تعب العمل " [7]، أي أن المصدر (سكن) في

---

[1] التفسير الكبير لفخر الدين الرازي المطبعة البهية مصر 214/30 وانظر 319/30 و 32 / 104 .

[2] تفسير الطبري 94/19 .

[3] البحر المحيط 186/4 .

[4] عمدة الحفاظ [س . ك . ن] 1230/2 .

[5] تفسير القرطبي 298/1 .

[6] تفسير البيضاوي 313/1 .

[7] التحرير والتنوير 391/7 ؟

الآيـة بمعنـي (اسـم المفعـول)، وجـاءت (سـكنا) بلفـظ المصـدرية لـئلا يتـوهم القـارئ أو السـامع أن المقصـود هـو الزمـان المسـكون إليـه فقـط دون الحـدث، فقـد يكـون زمـان ولا سكن فيـه، وليكـون الليـل هـو مصـدر السـكن أو هـو السـكن نفسـه، وكـل مشـتقات هـذه المـادة جـاءت فـي القرآن الكـريم تحمـل معنـي الطمأنينـة والراحـة والاسـتكانة والسـكون وجميعهـا مـن الممكـن أن تحتملـه (سـكنا) فـي الآيـة، بجـوار المفعوليـة وهـي أن الليـل مسكون إليه، وقد تكون (سكنا) بمعنـي الفاعلية أي (ساكنا) فيُستراح فيه لما فيه من السكون أو لكونه ساكنا في ذاته .

قال تعالي: " **وجني الجنتين دان** " (الرحمن 54)

فـي البحـر المحـيط: " الجنـي مـا يقطـف مـن الثمـرة، وهـو فَعَـل بمعنـي مفعـول " [1]، وفـي عمـدة الحفـاظ: " والمجتنـي مـن ثمرهـا قريـب، فـالجني مصـدر واقـع موقـع المفعول، وقيل هو فَعْل بمعني مفعول كالقبض والنقص والجَنِيُّ المجتني وهو الثمر أو العسل، وأكثر ما يقال ذلك في الثمر إذا كان غضا " [2]، وفـي البيضـاوي: " وجنـي الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع، وجني اسم بمعني مجني وقُرئ بكسر الجيم " [3]، وفي التحرير والتنوير: " جني الجنتين ما يجني من ثمارها، وهو بفتح الجيم ما يقطف من الثمر، والمعني أن ثمر الجنة دان منهم وهم علي فرشهم، فمتي شاءوا اقتطفوا منه " [4]، وبذلك تكون (جني) في الآية مصدراً بمعني اسم المفعول ولم ترد مادة هذا المصدر إلا في موضعين في القرآن الكريم، هذا أحدهما، والثاني في سورة مريم، فى قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " (مريم 25)، وفـي كليهمـا الصـيغة بمعنـي اسم المفعـول، والمصـدرية أنسـب لآيـة الـرحمن، لتحتمـل الكلمة المصدرية والمفعولية معا، وقد أخبر رب العزة سبحانه عن كلمة (جني) في الآية بكلمة (دان) أي قريب، ليكون الجني قريبا قبل جنيه وبعد جنيه، فهو قريب في أغصانه

---

[1] البحر المحيط 185/8 .

[2] عمدة الحفاظ [ج . ن . ي] 567/1 .

[3] تفسير البيضاوي 455/2 .

[4] التحرير والتنوير 269/27 .

فمتي شاءوا اقتطفوا كما يقول صاحب التحرير، وهو قريب أيضا بعد جنيه يأكلون منه وهم متكئون علي فرشهم دون عناء، وللدلالة علي أن الحدث غير بعيد عنهم فهو في استطاعتهم متى شاءوا ذلك، وهذا معني المصدرية، وقد جاءت اللفظة في مريم بصيغة (فعيل) وهي من أمثلة المبالغة، للمبالغة في سقوط الجني المنبني علي هز مريم للجذع، وفي كلتا الصيغتين احتمال للمفعولية بمعني المجني وهو المعني الأقرب إلي الأذهان، إلا أن المفعولية في آية مريم أوضح وأبين، لأنها حديث عن الرطب المنبني علي الهز، وما تساقط بعد الهز فهو مجني فعلا .

قال تعالي: " **قل هو الله أحد * الله الصمد** " (الإخلاص 1 & 2)

في البحر: " الصمد فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج ويستقل به " [1]، وفي القرطبي: " الله الصمد أي الذي يصمد إليه في الحاجات، كذا روي الضحاك عن ابن عباس، قال الذي يصمد إليه في الحاجات ... قال أهل اللغة: الصمد السيد الذي يصمد إليه في النوازل والحوائج .... وقال قوم الصمد: الدائم الباقي"[2]، وفي البيضاوي: " الله الصمد السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصد، وهو الموصوف به علي الإطلاق، فإنه يستغني عن غيره مطلقا، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته " [3] ، وفي عمدة الحفاظ: " هو السند الذي يصمد إليه في الأمور أي يقصد ... وقيل الصمد الدائم الباقي ... وقيل الصمد المرتفع الرتبة ومنه بناء مُصَمَّد أي مرتفع عال، والصَّمْد بسكون العين ما شرف من الأرض وعلا " [4]، وفي التحرير والتنوير: " الصمد السيد الذي لا يستغني عنه في المهمات وهو سيد القوم المطاع فيهم، قال في الكشاف، وهو فعل بمعني مفعول من صمد إليه إذا قصده، فالصمد المصمود إليه في الحوائج " [5]، وكلمة

---

[1] البحر المحيط 527/8 .

[2] تفسير القرطبي 245/20 .

[3] تفسير البيضاوي 631/2 .

[4] عمدة الحفاظ [ص . م . د] 1468/2 .

[5] التحرير والتنوير 30 /617 .

الصمد من ألفاظ المشترك اللفظي فهو من صفاته تعالي وتقدس لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره، وقيل الصمد الذي لا يَطْعَم، وقيل الصمد الدائم بعد بناء خلقه، وقيل هو الذي يصمد إليه الأمر فلا يقضي دونه، وقيل الذي صمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء وكلها دال علي وحدانيته [1]، ولما كانت (الصمد) تحتمل كل هذه المعاني التى تدل علي وحدانيته سبحانه وتعالي كانت صيغتها أنسب لهذا السياق، لأنها سبقت بقوله تعالي (قل هو الله أحد) وتلاها قوله تعالي (لم يلد ولم يولد) (الإخلاص 3)، فالسياق سياق وحدانية، وبين هذه الآيات وكل الآيات التي تدل علي وحدانية الله في القرآن الكريم علاقات تفصيلية وتفسيرية وتناص، فالقرآن سياق مقالي واحد متماسك يفسر بعضه بعضا، وقد قال المفسرون ذلك منذ مئات السنين، وهو ما عناه (أولمان) بقوله: " إن السياق علي هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله " [2]، (سياق النص)، هذا بالإضافة إلي اتساق كلمة الصمد من ناحية اللفظ مع باقي فواصل السورة الكريمة، هذا ولم يأت أي اسم من أسماء الله الحسني بلفظ اسم المفعول، والصمد أحد هذه الأسماء المقدسة، هذا عن سياق المقال أو النص أما عن سياق المقام فكل الآيات الكونية التي تدل علي وحدانية الله تمثل سياقا مقاميا لهذه الآيات الكريمات .

قال تعالي: " **قل أعوذ برب الفلق** " (الفلق 1)

يقول أبو حيان: " الفلق فَعَل بمعني مفعول" [3] وقيل الفلق كل ما يفلقه الله تعالي كالأرض والنبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل الفلق حب في جهنم أو واد في جهنم أو بيت في جهنم إذا فتح

---

[1] انظر: لسان العرب 404/7 .

[2] دور الكلمة في اللغة (ستيفن أولمان) ترجمة الدكتور كمال بشر مكتبة الشباب الطبعة العاشرة 1986م، 62 .

[3] البحر المحيط 529/8 .

صاح جميع أهل النار من شدة حره [1]، " والفلق بفتحتين الصبح بعينه، يقال فلق الصبح فالقه، وقوله تعالي (قل أعوذ برب الفلق) قيل هو الصبح، وقيل هو الخلق كله " [2] وفي عمدة الحفاظ: " الفلق الصبح ... وقيل الفلق الأنهار لأنها مفلوقة في الأرض " [3]، وفي البيضاوي: " (قل أعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فَعَل بمعني مفعول " [4]، وفي التحرير والتنوير: " والفلق الصبح وهو فَعَل بمعني مفعول مثل الصمد، لأن الليل شبه بشيء مغلق ينفلق عن الصبح، وحقيقة الفلق الانشقاق عن باطن الشيء، واستعير لظهور الصبح بعد ظلمة الليل " [5]، وقد سرد القرطبي معاني عدة للفلق منها أنه سجن في جهنم أو واد أو بيت فيها وقيل شجرة في النار، ويقال لما اطمأن في الأرض فلق، وقال جمهور منهم سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: الفلق الصبح، وقيل هو الجبال والصخور تنفلق بالمياه أي تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور تنفلق بالمياه أن تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور، لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل [6]، فالفلق في الآية (فَعَل بمعني مفعول) لتوجيه الاهتمام إلي الحدث وإلي الشيء المفلوق معا لا إلي المفلوق فقط دون مراعاة حدث الفلق نفسه وقدرة الله في ذلك، وسياق الآية المقالي سياق استعاذة بالله من شرور الخلق، ومن شر نوائب الليل إذا غطي ظلامه، ومن النساء السواحر، ومن الحاسدين، وكأن الله يخبرنا أنه إذا أصابنا شيء من هذه الشرور فلنستعذ بالله الأكبر رب الفلق، فإذا كانت السواحر تنفث في العقد بعد توكيدها فالله وحده قادر علي تفليق هذه العقد، ولا مقارنة بين قدرة الله وفعل هؤلاء السحرة والحاسدين، وإذا خفنا من شر غاسق الليل إذا وقب فإن الله هو " فالق الإصباح " (الأنعام 96) وقد نزلت الآية في النبي صلي الله عليه وسلم – الذي مرض مرضاً شديداً

---

[1] انظر: البحر المحيط 530/8 .

[2] مختار الصحاح [ف . ل . ق] 238 .

[3] عمدة الحفاظ [ف . ل . ق] 2033/3 .

[4] تفسير البيضاوي 632/2 .

[5] التحرير والتنوير 626/30 .

[6] انظر: تفسير القرطبي 254/20 .

فأتاه ملكان، وقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر، سحر، وذكر الساحر، ومكان السحر في بئر آل فلان تحت الصخرة، فلما أصبح النبي بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا البئر ذا الصخرة، وقد كان ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة فإذا بشيء فيه وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزلت السورتان (الفلق والناس) كلما قرأ آية انحلت عقدة [1]، فالمقام مقام سحر وإحكام عُقَد وقد ناسبه الإتيان بلفظ المصدر (الفَلَق) بمعني التفليق والشق والإبطال مع احتماله للمفعولية لتكون العظة في قدرة الله التامة المنبثقة عنها هذه المفلوقات الدالة علي قدرته أيضاً .

قال تعالي: " **إن هذا لهو القصص الحق** " (آل عمران 62)

يقول أبو حيان: " القصص مصدر أو فعل بمعني مفعول أي المقصوص " [2]

وفي القرطبي: " سميت قصصا لأن المعاني تتابع فيها، فهو من قولهم: فلان يقص أثر فلان أي يتبعه " [3]، وفي البيضاوي: " أي مما قص من نبأ عيسي ومريم " [4]، وفي عمدة الحفاظ: " (القصص) البيان من قولهم قص فلان الخبر أي أتي بقصته من قصها وأصله من قص الأثر أي تتبعه حتى عرف صاحبه أين سلك والقصص الأثر نفسه " [5] وفي التحرير والتنوير: " القصص بفتح القاف والصاد – اسم لما يقص . يقال قص الخبر قصا إذا أخبر به، والقص أخص من الإخبار، فإن القص إخبار بخبر فيه طول وتفصيل ... فالقصص اسم لما يقص ... وقيل هو اسم مصدر وليس مصدرا .... فالقص بالإدغام مصدر، والقصص بالفك اسم للمصدر، واسم للخبر المقصوص " [6]، واحتمال الصيغة للمصدرية أو المفعولية وأن تكون اسما للمصدر معجز في الآية، حيث وُصِفت كلمة القصص بالحق ليكون حدث القص حقا، والمقصوص عنهم حق،

---

[1] انظر: أسباب النزول للسيوطي 479 .

[2] البحر المحيط 482/2 .

[3] تفسير القرطبي 105/4 .

[4] تفسير البيضاوي 163/1 .

[5] عمدة الحفاظ [ق . ص . ص] 2131/3 .

[6] التحرير والتنوير 267/3 .

وليعتبر الإنسان بالقص ذاته لِم يُقص في المكان بعينه أو في المقصوص عنهم وما فيهم من العبر والعظات ودلائل القدرة، وتوكيد الجملة بـ (إنَّ) واللام المزحلقة توكيد لكل هذه الدلالات وكذا التوكيد بضمير الفصل لتأكيد أن القص والمقصوص عنهم حق، وأن هذا هو القصص بعينه، وقد اشتملت السورة علي كثير من هذا القصص الحق وبخاصة ما قص من نبأ عيسي ومريم، وقد اشتمل السياق علي المجادلة في أمر عيسي بغير الحق فذكر سبحانه أن هذا هو القصص الحق ولا جدال في ذلك أي أن الأحداث التي تعرض لها عيسي من التوفي والرفع إلي الله والتطهير وأنه كمثل آدم مخلوق من تراب كل ذلك حق فلا تجادلوا فيه، ودلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية أنسب لهذه السياقات ليعتبر الناس بالأحداث وبالمقصوص عنهم أصحاب هذه الأحداث .

قال تعالي: " **وبئس الورد المورود** " (هود 98)

في البحر: " الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء، والورود الإبل الواردة، فيكون مصدرا بمعني الورود واسم مفعول في المعني " [1]، وفي المفردات للراغب الأصفهاني " الورد الماء المرشح للورود ... والورد يوم الحمي إذا وردت واستعمل في النار علي سبيل الفظاعة ... ويعبر عن إتيان الحمي بالورد " [2] وفي عمدة الحفاظ: " الورد هو الماء الذي يورد ويكون للإبل الواردة، ويكون لحمي تجيء كل وقت، والجزء من القرآن يجعله القارئ له ولعبادة موظفة له ... (والورد) القوم يردون الماء فسمي العطاش وردا لطلبهم ورود الماء، كقولهم قوم صَوْمٌ " [3] وفي القرطبي: " وبئس الورد المورود أي بئس المدخل المدخول، ولم يقل بئست لأن الكلام يرجع إلي المورود، وهو كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك، والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد وهو بمعني المفعول " [4]، وفي البيضاوي: " أي بئس المورود الذي وردوه

---

[1] البحر المحيط 251/5 .

[2] المفردات في غريب القرآن 520 – 521 .

[3] عمدة الحفاظ 2833/4 .

[4] تفسير القرطبي 93/9 .

فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطاش والنار بالضد " [1]، وفي التحرير والتنوير: " والورد بكسر الواو أصله السير إلي الماء، وتسمي الأنعام الواردة وردا تسمية علي حذف المضاف، أي ذات ورد، كما يسمي الماء الذي يرده القوم وردا " [2]، وفي القاموس المحيط: " (الورد) من أسماء الحمى، أو هو يومها والإشراف علي الماء وغيره دخله أو لم يدخله ... والجزء من القرآن، والقطيع من الطير، والجيش، والنصيب من الماء، والقوم يردون الماء " [3]، والورد أيضاً هو الجماعة العِطاش [4]، يقول ربنا: " ونسوق المجرمين إلي جهنم وردا" (مريم 186)، ولكن لو كانت (الورد) اسم مفعول في المعني بمعني المورود لما وصفت بكلمة المورود، والمعني المقصود هو الماء المرشح للورود أو يوم الحمي وإتيانه، والقوم يردون الماء، ولا يصح أن يكون الورد هنا بمعني الجزء من القرآن لأن السياق سياق ذم، والمعني بئس الوارد وبئس الورود وبئس المورود، لأن الحديث في الآيات عن فرعون يقدم قومه الذين اتبعوه وخالفوا موسي وآياته فأوردهم الله النار، فبئس الواردون (فرعون وقومه) وبئس الورود الذي يساقون فيه سوقا لأنهم مجرمون كما جاء في آية مريم، وبئس المورود وهو النار.

قال تعالي: " **قال قد أوتيت سؤلك يا موسي** " (طه 36)

يقول أبو حيان: " السؤل فعل بمعنى المسئول ... والمعني أعطيت طِلبتك وما سألته من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، وجعل أخيك وزيراً " [5]، وفي القرطبي: " والسؤل الطّلبة، فُعل بمعني مفعول كقولك خبز بمعني مخبوز، وأكل بمعني مأكول " [6]، وفي البيضاوي: (قال قد أوتيت سؤلك يا موسي) أي مسئولك، فعل بمعني مفعول كالخبز والأكل بمعني المخبوز والمأكول " [7]، وفي التحرير والتنوير: " السؤل

---

[1] تفسير البيضاوي 1/ 469 .

[2] التحرير والتنوير 168/16 .

[3] القاموس المحيط 469/1 .

[4] انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر 469/1 .

[5] البحر المحيط 240/6 .

[6] تفسير القرطبي 195/11 .

[7] تفسير البيضاوي 46/2 .

بمعني المسئول، وهو وزن فعل بمعني مفعول كالخبز بمعني المخبوز والأكل بمعني المأكول، وهذا يدل علي أن العقدة زالت علي لسانه، ولذلك لم يحك فيما بعد أنه أقام هارون بمجادلة فرعون " [1]، فالسؤل في الآية ما يسأله الإنسان أو ما يطلبه، وبمعني اسم المفعول أي المسئول، وقيل سؤلك، ولم يقل طلبك لأن السؤال لا يكون إلا كلاما، ويكون الطلب بالسعي وغيره [2]، وسؤال موسي كان كلاما.

قال تعالي: " **لهم شراب من حميم** " (الأنعام 70)

في البحر المحيط: " شراب فعال بمعني مفعول كطعام بمعني مطعوم " [3]، وفي المفردات الشراب فيه معني التناول [4]، وفي عمدة الحفاظ: " والشراب ما يشرب " [5]، وفي التحرير والتنوير: " وخص الشراب من الحميم من بقية أنواع العذاب المذكور من بعد للإشارة إلي أنهم يعطشون فلا يشربون إلا ماء يزيدهم حرارة علي حرارة العطش " [6]، وفي البيضاوي: " والمعني هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم " [7]، أي أن أهل النار يذوقون العذاب في تناولهم الحميم المشروب قبل شربه لما فيه من الحرارة الشديدة [8]، وشراب لذلك أنسب من مشروب لسياق الآية فلو قيل (لهم مشروب) لكان العذاب في المشروب فقط وإن لم يشربوا لم يُعذبوا، وإنما العذاب بشيئين بالشرب ذاته وشدة الحرارة المنبعثة من المشروب قبل شربه، وبالمشروب نفسه عندما يشربونه، وقوله تعالي لهم شراب دلالة علي أن هذا الشراب قد أعد لهم، وهو خاص بهم لا بغيرهم، وقوله تعالي من حميم دلالة علي شدة العذاب وأن هذا الماء لا يزيدهم إلا عطشا علي عطشهم، وحرارة علي حرارتهم،

---

(1) التحرير والتنوير 214/16 .

(2) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 308 .

(3) البحر المحيط 156/4 .

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن 257 .

(5) انظر: عمدة الحفاظ [ش . ر . ب] 1314/2 .

(6) التحرير والتنوير 299/7 .

(7) تفسير البيضاوي 307/1 .

(8) انظر: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي 190 .

والإتيان بلفظ المصدر في الآية للمبالغة في شدة العذاب وليكون العذاب حاصلا في حدث الشرب ذاته وفي المشروب ونوعه .

قال تعالي: " **إلا من اغترف غرفة بيده** " (البقرة 249)

في البحر المحيط: " هما بمعني المصدر (أي غُرفة بالفتح والضم) وقيل هما بمعني المغروف، وقيل الغَرفة بالفتح المرة، وبالضم ما تحمله اليد " [1]، والغرفة واحدة الغرفات وهي منازل الجنة [2]، قال تعالي: " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا " (الفرقان 75)، وقال تعالي: " وهم في الغرفات آمنون " (سبأ 37) وفي القرطبي: " الاغتراف الأخذ من الشيء باليد أو بآلة، ومنه الغرفة والغرف مثل الاغتراف، وقرئ غَرفة بفتح الغين وهي مصدر، ولم يقل اغترافة لأن معني الغرف والاغتراف واحد، والغرفة المرة الواحدة، وقرئ غُرفة بضم الغين وهي الشيء المغترف " [3]، وفي عمدة الحفاظ: " قرئ بفتح الفاء علي أنها المرة، وبالضم علي أنها اسم لما يغترف كالمضغة والمضغة " [4]، وفي التحرير والتنوير: " والغَرفة بفتح الغين في قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر المرة من الغرف وهو أخذ الماء باليد، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بضم الغين، وهو مقدار المغروف من الماء ... والغرف لا يكون إلا باليد، [5] والمعني الرخصة في القليل دون الكثير " [6]، فكلمة غرفة تحتمل المصدرية بمعني الاغتراف، وتحتمل اسم المفعول بمعني المغروف، وتحتمل الاسمية بمعني منازل الجنة، والمعاني الثلاثة أولي بإنعام النظر، ففي السياق المقالي للآيات بَيَّنَ طالوت لأصحابه أن الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه فليس منه ومن لم يطعمه فإنه منه إلا من اغترف غرفة بيده، أي إلا من اغترف اغترافا بيده، أو إلا من اغترف من هذا المغروف، ومن يطع المصطفين الأخيار فهذه طريقه إلي غرفات الجنة، وكأن من يطع

---

[1] البحر المحيط 265/2 .

[2] انظر المفردات في غريب القرآن 360 .

[3] تفسير القرطبي 253/3 .

[4] عمدة الحفاظ [غ . ر . ف] 1878/3 .

[5] التحرير والتنوير 498/2 .

[6] تفسير البيضاوي 131/1 .

هؤلاء يدخل الجنة وغرفاتها بيديه، أي بسعيه وعمله الذي هو مخير فيه من بعد مشيئة الله تعالي .

قال تعالي: " **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** " (الأعراف 143)

في البحر: "الدك مصدر دككت الشيء، فتته وسحقته، مصدر في معني المفعول"[1]، والدك الأرض اللينة السهلة [2]، وفي البيضاوي: " جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق، وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها " [3] وفي التحرير والتنوير: " قرأ الجمهور دكا – بالتنوين – والدك مصدر وهو والدق مترادفان، وهو الهد وتفرق الأجزاء كقوله وتخر الجبال هدا (مريم 90) وقد أخبر عن الجبل بأنه جعله دكا للمبالغة والمراد أنه مدكوك، أي مدقوق مهدوم " [4]، فكلمة (دكا) في الآية تحتمل المعاني الثلاثة الحدث واسم المفعول والاسمية، وجاء اللفظ في الآية بصيغة المصدرية للتركيز علي الحدث لا علي الشيء الواقع عليه الحدث، ويتبين ذلك من قول ربنا: (وخر موسي صعقا)، فلو لم يكن موسي قد رأي حدثا عظيما لما خر من أجله ولما صُعق، فالتركيز علي حدث الدك أهم من التركيز علي الشيء المدكوك، والدك بمعني المدكوك وبمعني الأرض اللينة السهلة الناتئة معنيان فرعيان علي المعني الأصلي في الآية وهو المصدرية أو الحدث، فعندما يتجلي الله بنوره علي الأشياء فهذا حدث عظيم يستدعي الانتباه، فناسبت المصدرية في كلمة (دكا) المعني المقصود في الآية .

**المبحث الثالث: المصدر الدال علي الفاعلية أو المفعولية [5]:**

قال تعالي: " **الذين يؤمنون بالغيب** " (البقرة 3)

في العكبري: " الغيب هنا مصدر بمعني الفاعل، أي يؤمنون بالغائب عنهم، ويجوز أن يكون بمعني المفعول أي المغيب " [6]، وفي البحر: " الغيب مصدر غاب

---

[1] البحر المحيط 384/4 .

[2] انظر المفردات في غريب القرآن 171، والقاموس المحيط 1244/2 .

[3] تفسير البيضاوي 359/1 وانظر: تفسير القرطبي 278/7، وعمدة الحفاظ [د . ك . ك] 897/2 .

[4] التحرير والتنوير 93/9 .

[5] انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 175/6 .

[6] إملاء ما من به الرحمن 12/1 .

إذا توارى وسمي المطمئن من الأرض غيباً لذلك، أو فعيل من غاب " [1]، وفي عمدة الحفاظ: " الغيب مصدر غاب يغيب ضد حضر ... وقيل الغيب مصدر واقع موقع اسم الفاعل، أي يؤمنون بالغائب ... وقيل الغيب القرآن " [2]، وفي القرطبي: " واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا . فقالت فرقة الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعفه ابن العربي، وقال آخرون القضاء والقدر، وقال آخرون القرآن، وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول " [3]، وفي البيضاوي: " الغيب مصدر، وصف به للمبالغة ... والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهة العقل ... وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور " [4]، فمعني يؤمنون بالغيب أي يؤمنون بالأخبار التي جاءتنا عن الأشياء الغائبة عنا التي غيبها الله سبحانه من جنة ونار وقيامة، فهي غائبة مغيبة أي متصفة بالغيب، وواقع عليها من قبل المولى سبحانه، فالسياق حديث عن المتقين المؤمنين وصفاتهم، وأن أول صفة يجب أن يتحلي بها المتقي هي الإيمان بالغيب بجميع معانيه ومن حيث هو غائب مغيب، و (أل) في الغيب للجنس أي يؤمنون بكل ما يغيب عنهم، وجاءت الكلمة بلفظ المصدرية للاختبار في حدث التغييب نفسه، وفي أنه من قدرة الله عز وجل وفي الأشياء الغائبة عنا، أي أن الذي يؤمن بالغيب يؤمن بقدرة الله في التغييب وبالاختبار في ذلك، وبالأشياء الغائبة التي وقع عليها التغييب، فكما أنه لابد من موجد لكل شيء موجود، كذلك لابد من مغيب لكل شيء غائب عنا وإذا غاب الشيء بهذا المعني فهو فاعل ومفعول، وهذا من باب احتمال الكلمة للضدين، وهو من إعجاز القرآن العظيم .

قال تعالي: " **يسألونك عن الخمر والميسر** " (البقرة 219)

في البحر: " الخمر هي المعتصر من العنب إذا غلي واشتد وقذف بالزبد سمي بذلك من خُمِر إذا سُتِر ... وقال ابن الأنباري سميت بذلك لأنها تخامر العقل أي

---

[1] البحر المحيط 38/1، وانظر القاموس المحيط 209/1، وتفسير القرطبي 163/1 .

[2] عمدة الحفاظ [غ . ى . ب] 1925/3 .

[3] تفسير القرطبي 163/1 .

[4] تفسير البيضاوي 1/ 18 .

تخالطه .... وقيل سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك، يقال اختمر العجين بلغ إدراكه، وخمر الرأي تركه حتى يبين فيه الوجه، فعلي هذه الاشتقاقات تكون مصدرا في الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول " [1]، " وقال ابن الأعرابي: سميت الخمر خمرا لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " الخمر ما خامر العقل أي خالطه ... وسميت الخمرة بذلك لكونها مخمورة من قبل " [3]، وفي البيضاوي: " الخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والثمر إذا اشتد وغلي كأنه يخمر العقر " [4]، وفي التحرير والتنوير: " والخمر اسم مشتق من مصدر خمر الشيء يخمره من باب نصر إذا ستره ... وهي إما تسمية بالمصدر أو هو اسم جاء علي زنة المصدر وقيل هو اسم لكل مشروب مسكر ... ترك حتى يختمر"[5]، فالخمر في الآية اسم للمعتصر من العنب وهي مصدر أريد به اسم الفاعل أو اسم المفعول، وأري أن تحقق المعاني الأربعة في الكلمة له مقاصده في الآية، فالمقصد في الاسمية أن يؤمن المسلم بأن الخمر حرام دون معرفة ماهيتها لأننا مأمورون بذلك، ودلالة المصدرية هي تبيين الضرر الواقع علي البشرية من الحدث أو من تصنيع هذه الخمور، فالصناعة كما هو معلوم أهم من المصنوع ولذا جاءت الكلمة في الآية بلفظ المصدرية أو الاسمية، وفي دلالة المصدر علي الفاعلية والمفعولية تبيين الضرر المنبني علي الخمر من ماهيتها فهي تختمر فتفسد في ذاتها بفعل البشر (المفعولية) فتخامر العقل فتفسده (الفاعلية)، وهذا من سياق المقام .

قال تعالي: " **وأنزل الفرقان** " (آل عمران 4)

---

[1] البحر المحيط 154/2، وانظر القاموس المحيط 547/1 .

[2] مختار الصحاح 103 .

[3] عمدة الحفاظ [خ . م . ر] 852/2، 853 .

[4] تفسير البيضاوي 118/1 .

[5] التحرير والتنوير 341/2 .

يقول أبو حيان: " والفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق ويجوز أن يراد به المفعول، قال تعالي: وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث (الإسراء 106) [1] ويقول الفيروزآبادي: " الفرقان بالضم القرآن كالفرق بالضم، وهو كل ما فرق به بين الحق والباطل " [2]، فكل ما فرق به بين الحق والباطل فارق ومفروق به، وفي القرطبي: " وأصل الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، ومنه يوم الفرقان يعني يوم بدر كان فيه فرق بين الحق والباطل " [3] وفي الطبري: " الفرقان يعني الفصل بين الحق والباطل " [4]، وفي التحرير والتنوير: " والفرقان مصدر فرق، وقد شاع في الفرق بين الحق والباطل، أي إعلان التفرقة بين الحق الذي جاءهم من الله وبين الباطل الذي كانوا عليه قبل الإسلام " [5]، وقول ربنا (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه وأحكمناه، " والفارقات فرقا " (المرسلات 4) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل [6]، فالفرقان بهذه التفاسير تحتمل المصدرية – واللفظ لها – واسم الفاعل واسم المفعول، والاسمية، ومعني المصدرية أن الله أنزل التفريق بين الحق والباطل بكتب سماوية فارقة فرقها الله سبحانه فانفرقت ووقع بها التفريق، فالفرقان جنس الكتب السماوية لأنها كلمة يفرق بها بين الحق والباطل، أو هو المعجزات المصاحبة لهذه الكتب أو ما اشتملت عليه من أحكام بينها الله ليفرق بها بين الحق والباطل [7]، وقد جاء في سياق الآيات ذكر التوارة والإنجيل وأن الله قد أنزلهما من قبل هدي للناس . وفي كل ذلك آيات لأولي الألباب، و (أل) في (الفرقان) للجنس أي أنزل الله كل الكتب السماوية وكل المعجزات المصاحبة لها، وكل ما اشتملت عليه من أحكام، وكل هذه الأشياء تعين في التفريق بين الحق والباطل .

---

[1] البحر المحيط 379/2 .

[2] القاموس المحيط 1216/2 .

[3] تفسير القرطبي 383/1 وانظر عمدة الحفاظ [ف . ر . ق] 1985/3 .

[4] تفسير الطبري 85/2 .

[5] التحرير والتنوير 173/2 .

[6] انظر القاموس المحيط 1215/2 .

[7] انظر البحر المحيط 379/2 .

قال تعالي: "**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور**"(يونس 57)

في العكبري: " قوله تعالي (وشفاء) هو مصدر في معني الفاعل أي وشافٍ، وقيل هو في معني المفعول أي المشفي به " [1]، وفي الطبري " وشفاء لما في الصدور ودواء لما في الصدور من الجهل يشفي به الله الجهال فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته " [2]، وفي القرطبي: " أي وعظ من ربكم يعني القرآن فيه مواعظ وحكم وشفاء لما في الصدور أي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق " [3]، وفي التحرير والتنوير: " الشفاء زوال المرض والألم، ومجازه زوال النقائص والضلالات وما فيه من حرج علي النفس وهذا هو المراد هنا " [4]، فالقرآن الكريم هو الشفاء الشافي المشفي به، وجاءت كلمة (شفاء) في الآية بلفظ المصدرية لتوكيد الحدث ولتبيين أن القرآن مصدر الشفاء، فلو قيل (وشافٍ لما في الصدور) يحتمل ألا يحدث الشفاء، فالطبيب معالج بإذن الله إلا أنه قد يجتهد ولا يحدث شفاء، كذا لو قيل (ومشفي به) فشفاء معناه أن القرآن مصدر الشفاء لما في الصدور، ولا جدال في ذلك، والإتيان بلفظ المصدر مناسب لحدث التداوي الذي يكون بقراءة القرآن أو تلاوته علي موضع المرض ليبرأ الإنسان منه، وليس بتعليق القرآن أو المصحف المكتوب علي الصدر أو وضعه في أماكن بعينها، فالشفاء نابع من الحكم والمواعظ التي فيه لا من كونه أوراقا وكتابات وهو مجازي المقصود منه الشفاء من النواقص والضلالات قبل الآلام والأمراض، والله أعلي وأعلم .

---

[1] إملاء ما من به الرحمن 30/2 .

[2] تفسير الطبري 86/11 .

[3] تفسير القرطبي 353/8 .

[4] التحرير والتنوير 201/11 .

**خاتمة:**

هذا البحث محاولة لفهم دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم، أقف فيه علي المصادر التي تعددت دلالاتها بين الفاعلية والمفعولية ذاكراً آراء العلماء في ذلك موضحا أثر السياق بنوعيه المقالي والمقامي في دلالة هذه المصادر، معتمدا علي المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد أصحابه إلي الجملة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلا، ولا شك أن آيات القرآن العظيم لا يعتريها شيء من الخلل، ومفرداته كذلك نظمت نظما دقيقا داخل الآية الواحدة، وكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضعه بإحكام بالغ وعلي المتصدي لفهم آيات القرآن وتفسيرها عليه فهم الصيغ والمفردات بمعانيها المعجمية والوظيفية ومن ثم الدلالية للوصول إلي المعاني الكبري والمقاصد الجليلة لهذه الآيات ومن ثم للسور القرآنية، وعليه أيضاً ألا يعزل هذه المفردات عن سياقاتها المقالية والمقامية، قانعا بأن القرآن وحدة مقالية متماسكة، وأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي بإحكام بالغ في موقعها وقد تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، **وقد خلصت في ختام هذا البحث إلي الآتي:**

- السياق لا يوجب دلالة واحدة فقط للمصدر في كل الأحوال، فقد يكون لهذا المصدر أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها .
- قد يكون المصدر بمعني الفاعل وقد يكون بمعني المفعول، وقد يكون بمعناهما معا وهذا معجز .
- السياق لا يكون سببا في الغموض، إلا أنه قد يكون غامضا بغموض بعض قرائنه أو بمخالفة الأعراف التركيبية، وهيئات الجمل المكونة لهذا السياق، فقرائن السياق ثابتة مستقرة وتطبيقاته متغيرة زائلة .
- ثمة فرق بين تعدد الدلالة وغموض الدلالة، فتعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني عنصر إيجاب تفيد منه اللغة لتعدد المقاصد، وغموض الدلالة عنصر

سلب يحسب علي السياق وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض .

- كثير من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية قد لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم .
- طبق كثير من علمائنا العرب وأخص المفسرين منهم – نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي أيما تطبيق وإن لم يضعوا هيكلا تنظيريا لها، أي أن الغرب يبني علي أصولنا اللغوية ولا نبني نحن علي أصول أنفسنا .
- كلما كثرت الدراسات البحثية حول آي القرآن العظيم تبينت وجوه إعجازه، وتجلت أسرار عظمته، وفهم وتفسير الآيات ليس حكرا علي أحد ولا علي طائفة بعينها إذا اتبعت طرائق التفسير السليمة واجتنب الشطط . والله من وراء القصد .

**ثبت المراجع:**


1- أثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، فتحي ثابت علم الدين، رسالة دكتوراة بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا 1994م .

2- أسباب النزول للسيوطي، بتحقيق حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة 1423هـ 2002م .

3- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب(القاهرة) الطبعة الأولى 1423هـ 2003م .

4- إملاء ما من به الرحمن (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

5- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثانية 1411هـ 1990م .

6- البرهان في علوم القرآن للزركشي، بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم)، الطبعة الحادية والعشرون (بيروت – دار المعرفة) 1391هـ .

7- البنية اللغوية للمشترك اللفظي، بحث منشور في مجلة الباحث، كلية إعداد المعلمين بودَّان – ليبيا) العدد الخامس والسادس 2006 – 2007 و 2007 – 2008 .

8- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .

9- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي (المتوفي 741هـ)، الدار العربية للكتاب.

10- التعبير القرآني . للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان (الأردن) الطبعة الخامسة 2007م .

11- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر .

12- تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م .

13- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، المطبعة البهية بمصر .
14- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة (بيروت – لبنان) 1409هـ / 1989م .
15- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث (بيروت – لبنان) 1985م .
16- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للدكتور عبد الخالق عضيمة، دار الحديث بالقاهرة.
17- دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب صالح الفرماوي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب .
18- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو 1980م .
19- دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير محمد أبو السعود، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد السابع 1407هـ / 1987م .
20- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة العاشرة 1986م .
21- روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، ودار الفكر – بيروت، 1403هـ و1983م .
22- سياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية .
23- شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك، دار الطلائع – القاهرة 2004م .
24- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب (بيروت – لبنان)
25- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، الدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول 1405هـ / 1984م .

26- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي المعروف بالسمين (المتوفي 756هـ) بتحقيق عبد السلام التونجي، مكتبة الإعلام والبحوث بجمعية الدعوة الإسلامية / الطبعة الأولي 1995م .
27- الفتوحات الإلهية، لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (1204هـ)، المكتبة التجارية الكبري بمصر .
28- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون، المكتبة التوفيقية .
29- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن .
30- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، لبنان) الطبعة الثانية 1420هـ 2000م .
31- قرينة السياق، للدكتور تمام حسان، بحث منشور في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب 1413هـ / 1993م .
32- الكشاف للزمخشري، دار الفكر – بيروت .
33- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثالثة 1419هـ 1999م .
34- اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو 1950م .
35- مختار الصحاح، للرازي بتحقيق الدكتور عبد الفتاح البركاوي، دار المنار .
36- معاني القرآن للفراء، (عالم الكتب – بيروت) الطبعة الأولى 1955م والثانية 1980م.
37- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الخلود للتراث .
38-النحو والدلالة، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، القاهرة 1983م.

**الفهرست**


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **الفصل الأول**<br>**النظم وتضافر القرائن ونحو النص**<br>**جذور النظرية وعناصر مكوناتها** | |
| الفصل الثانى<br>إعجام الصرف وتصريف المعجم | |
| الفصل الثالث<br>الغلبة والتغليب فى البنية والتركيب | |
| الفصل الرابع<br>تراكيب الفاتحة بين البناء والفهم | |
| الفصل الخامس<br>ظلال المعاني في سورة القصص **( دراسة على مستوى النص )** | |
| الفصل السادس<br>أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم | |